كتاب الشفا

بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم

تصنيف القاضي الامام الحافظ ...

عياض ابن موسى ابن عياض اليحصبي ...

ورضي عنه رواية الشيخ الفقيه ابي ...

احمد بن جبير عنه رواية العبد ... الله

سبحانه محمد بن ابرهيم بن عبد ... ري

عنه رحمهم الله تعالى اجمعين ... العالمين

اللهم صل على سيدنا محمد ... وعلى آله

وصحبه وذريته و ... الطاهرين

وسلم تسليما كثيرا ... الدين

يارب العالمين آمين ... ونعم

الوكيل

ولا حول ولا قوة الا بالله ... العظيم

توفي سيدنا ومولانا شيخ الاسلام ابو ... احمد بن علي بن حجر العسقلاني ليلة ...

... من عشر ذي الحجة عام اثنين وخمسين وثمان ... الدنيا الاخره. وكان من كلامه ...

قرب الرحيل الى ديار الاخره ... الهي خير عمري اخره

وارحم مبيتي في القبور ووحدتي ... حين تبقى ناخره

فانا المسكين الذي ايامه ... عرف متواتره

فلين رحمت فانت اكرم راحم ... يا الهي اخره

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم قال الفقيه القاضي الإمام أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رضي الله عنه الحمد لله المنفرد باسمه الأسمى المختص بالملك الأعز الأحمى الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ووهما والباطن تقدسا لا عدما وسع كل شيء رحمة وعلما وأسبغ على أوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من أنفسهم عربا وعجما وأزكاهم محتدا ومنمى وأرجحهم عقلا وحلما وأوفرهم علما وفهما وأقواهم يقينا وعزما وأشدهم بهم رأفة ورحمى وزكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما وآتاه حكمة وحكما وفتح به أعينا عميا وقلوبا غلفا وآذانا صما فآمن به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقا حتما ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى صلى الله عليه صلوة تنمو وتنمى وعلى آله وسلم تسليما

أما بعد أشرق الله قلبي وقلبك بأنوار اليقين ولطف لي ولك بما لطف به لأوليائه المتقين الذين شرفهم بنزل قدسه وأوحشهم من الخليقة بأنسه وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة ووله عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره فهم بمشاهدة كماله وجلاله يتنعمون وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يترددون وبالانقطاع إليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فإنك كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وما يجب له من توقير وإكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر أو قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وأن أجمع لك ما لأسلافنا وأئمتنا في ذلك من مقال وأبينه بتنزيل صور وأمثال فاعلم أكرمك الله أنك حملتني من ذلك أمرا إمرا وأرهقتني فيما ندبتني إليه عسرا وأرقيتني بما كلفتني مرتقى صعبا ملأ قلبي رعبا فإن الكلام في ذلك يستدعي تقرير أصول وتحرير فصول والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم ويضاف إليه أو يمتنع أو يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة والخلة وخصائص هذه الدرجة العلية وههنا مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر بها الخطا ومجاهل تضل فيها الأحلام إن لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض تزل بها الأقدام إن لم تعتمد على توفيق من الله وتسديد لكني لما رجوته لي ولك في هذا السؤال والجواب

من نوال وثواب بتعريف قدره الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو أرفع الحقوق ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولما أخذ الله على الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ولما حدثنا به أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد حدثنا أبو عمر النمري حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن حدثنا أبو بكر محمد بن بكر حدثنا سليمان بن الأشعث حدثنا موسى بن إسمعيل حدثنا حماد أنبأنا علي بن الحكم عن عطاء عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيمة فبادرت إلى نكت مسفرة عن وجه الغرض مؤديا من ذلك الحق المفترض اختلستها على استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن والبال بما طوقه من مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل وترد بعد حسن التقويم إلى أسفل سفل ولو أراد الله بالإنسان خيرا لجعل همه وشغله كله فيما يحمد غدا أو يذم محله فليس ثم سوى حضرة النعيم أو عذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده أو يستفيده جبر الله صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا إلى الله زلفى ويحظينا بمنه ورحمته ولما نويت تقريبه ودرجت تبويبه ومهدت تأصيله وخلصت تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى وحصرت الكلام فيه في أقسام أربعة

القسم الأول في تعظيم العلي الأعلى لقدر هذا النبي قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه في أربعة أبواب

الباب الأول في ثنائه تعالى عليه وإظهار عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول الباب الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا الباب الثالث فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا الباب الرابع فيما أظهره الله على يديه من الآيات والمعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلاثون فصلا القسم الثاني فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه السلام ويترتب القول فيه في أربعة أبواب الباب الأول في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول

الباب الثالث في تعظيم أمره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول الباب الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول القسم الثالث فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الامور البشرية أن يضاف اليه وهذا القسم أكرمك الله هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الأبواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلايل على ما نورده فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التاليف وعند التقصي لموعدته والتفصي عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن باليقين وتملأ أنواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي حق قدره ويتحرر الكلام فيه في بابين الباب الاول يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا الباب الثاني في احواله الدنيوية وما يجوز طروه عليه من الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه عليه السلام وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الاول في بيان ما هو في حقه سب ونقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول الباب الثاني في حكم شانيه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلاة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة ووصلة للبابين اللذين قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله وملايكته وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصر الكلام فيه في خمسة فصول وبتمامها ينجز الكتاب وتتم الاقسام والابواب ويلوح في غرة الايمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وتحسم وتشفي صدور قوم مومنين وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى لا اله سواه استعين

القسم الأول

في تعظيم العلي الاعلا لقدر المصطفى قولا وفعلا قال الفقيه القاضي الامام ابو الفضل وفقه الله وسدده لا يخفى على من مارس شيئا من العلم او خص بادنى لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه السلام وخصوصه اياه بفضايل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الالسنة والاقلام فمنها ما صرح به تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه واثنى به عليه من اخلاقه وادابه وحض العباد على التزامه وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزا الاوفى فله الفضل بدءا وعودا والحمد اولى واخرى

اي التزام ما صرح به في كتابه من تعزيزه وتوقيره والاذعان لاوامره ونواهيه امتثالا واجتنابا

ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال والجلال وتخصصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضايل العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره وراها من ادركه وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا وفاضت انواره علينا صلى الله عليه وسلم كثيرا حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه قال حدثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل احمد بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي قال حدثنا ابو علي السنجي قال حدثنا محمد بن احمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ قال حدثنا اسحق بن منصور حدثنا عبد الرزاق انبانا معمر عن قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه قال فارفض عرقا

الباب الاول

في ثناء الله تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه

اعلم ان في كتاب الله العزيز ايات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول

الفصل الاول

فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثنا وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية قال السمرقندي وقرأ بعضهم من انفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم قال القاضي الامام ابو الفضل وفقه الله اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم يكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى الا المودة في القربى وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه ورافته ورحمته بمومنيهم قال بعضهم اعطاه الله اسمين

من اسمايه رؤوف رحيم ومثله في الاية الاخرى قوله تعالى لقد من الله على المومنين
اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الايه وفي الاية الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا
منهم الاية وقوله كما ارسلنا فيكم رسولا منكم وروي عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه عنه عليه السلام في قوله تعالى من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا
ليس في ابايي من لدن ادم سفاح كلنا نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم
خمسماية ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيا مما كان عليه الجاهلية وعن ابن
عباس في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا وقال
جعفر بن محمد علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون
الصفو من خدمته فاقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم في الصورة ألبسه من نعته
الرافة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته
فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
قال ابو بكر بن طاهر زين الله محمدا بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمايله
وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شي من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه
والواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى ان الله يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال عليه السلام حياتي خير لكم وموتي خير لكم
وكما قال اذا اراد الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال
السمرقندي رحمة للعالمين يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمومن رحمة بالهداية
ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتاخير العذاب عنه قال ابن عباس هو
رحمة للمومنين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة شي قال نعم كنت اخشى
العاقبة فامنت لثناء الله عز وجل علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين
وروي عن جعفر بن محمد الصادق في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك
انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى الله نور السموات
والارض الاية قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد عليه السلام وقوله مثل نوره
اي نور محمد وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادي اهل السموات ثم قال مثل نور محمد

اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكاة صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة
صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة اي من نور
ابراهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها يضي اي تكاد نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل في هذه الاية غير هذا والله اعلم
وقد سماه الله تعالى في القران في غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا فقال قد جاكم
من الله نور وكتاب مبين وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
باذنه وسراجا منيرا ومن هذا قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة
شرح وسع والمراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس شرحه بالاسلام وقال
سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملاه حكما وعلما وقيل معناه الم نطهر قلبك
حتى لا يوذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك قيل ما سلف
من ذنبك يعني قبل الرسالة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل اراد ما اثقل
ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل عصمناك ولولا ذلك
لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن ادم بالنبوة
وقيل اذا ذكرت ذكرت معي قول لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل في الاذان
قال القاضي ابو الفضل وفقه الله هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم
على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه بالايمان
والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه
لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة
لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة ذكره
وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب
ولا متشهد ولا صاحب صلوة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
روى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان
ربي وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت
ذكرت معي قال ابن عطا جعلت تمام الايمان بذكري معك وقال ايضا جعلتك ذكرا
من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة

الا ذكرني بالربوبية واشار بعضهم في ذلك الي الشفاعة ومن ذكره معه تعالي ان قرن
طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال واطيعوا الله والرسول وامنوا بالله ورسوله
فجمع بينهما بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه عليه السلام
حدثنا الشيخ ابو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقراته على الثقة
عنه قال حدثنا ابو محمد بن عبد المومن حدثنا ابو بكر بن داسة حدثنا ابو داود السجزي
حدثنا ابو الوليد الطيالسي حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم ما شا الله وشا فلان ولكن ما شا الله ثم
شا فلان قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الي الادب في تقديم مشية الله تعالى
على مشية من سواه واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك
ومثله الحديث الاخر ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله
فقد رشد ومن يعصهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بيس خطيب القوم انت قم او قال
اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية
وذهب غيره الي انه انما كره منه الوقوف على يعصهما وقول ابي سليمان اصح لما روي في الحديث
الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوي ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون
واصحاب المعاني في قوله ان الله وملايكته يصلون على النبي هل يصلون راجعة
على الله والملايكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه اخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير
بالملايكة وقدروا الاية ان الله يصلي وملايكته يصلون وقد روي عن عمر رضي الله عنه
انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد
اطاع الله وقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الايتين روي
انه لما نزلت هذه الاية قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصاري
عيسى فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف
المفسرون في معنى قوله تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين
انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله
عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكي مكي عنهما نحوه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكي ابو الليث

السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن
فقال صدق والله ونصح وحكي الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد
الرحمن بن زيد وحكي ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك
بالعروة الوثقي انه محمد عليه السلام وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد وقال سهل
في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد عليه السلام وقال تعالى والذي
جا بالصدق وصدق به اوليك هم المتقون الايتين اكثر المفسرين على ان الذي جا بالصدق
هو محمد صلى الله عليه وسلم قال بعضهم وهو الذي صدق به وقري صدق به بالتخفيف
وقال غيرهم الذي صدق به المومنون وقيل ابو بكر وقيل علي وقيل غير هذا من الاقوال
وعن مجاهد في قوله تعالى الا بذكر الله تطمين القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه

الفصل الثاني في وصفه له تعالى بالشهادة وما تعلق بها من الثنا والكرامة قال الله تعالى

يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية جمع الله تعالى له في هذه الاية
ضروبا من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم
الرسالة وهي من خصايصه عليه السلام ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته
وداعيا الي توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدي به للحق **حدثنا** الشيخ ابو محمد
بن عتاب رحمه الله قال حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد
المروزي حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا محمد بن سنان حدثنا
فليح حدثنا هلال عن عطا بن يسار لقيت عبد الله بن عمرو بن العاصي قلت اخبرني عن صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي
سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيية السيية
ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله
ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار
وفي بعض طرقه عن ابن اسحق ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا
اسدده لكل جميل واهب له كل خلق عظيم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوي
ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه

والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد
الضلالة واعلّم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمّي به بعد النكرة واكثر به بعد القلة
واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة
وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس وفي حديث اخر اخبرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة عبدي احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة
او قال طيبة امته الحمادون لله على كل حال وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي
الامي الايتين وقد قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الاية قال السمرقندي ذكرهم
الله منته انه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤوفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول
لتفرقوا من حوله لكن جعله الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال
تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
قال ابو الحسن القابسي ابان الله تعالى فضل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه
الاية وفي قوله في الاية الاخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء
على الناس وكذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الاية وقوله وسطا
اي عدلا خيارا ومعنى هذه الاية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم
بان جعلناكم امة خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق
قيل ان الله جل جلاله اذا سال الانبياء هل بلغتم فيقولون نعم فيقول اممهم ما جاءنا
من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد للانبياء ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الاية
انكم حجة على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال تعالى وبشر الذين
امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق
هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم وعن ابي سعيد
الخدري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال
سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة اودعها الله عز وجل في محمد صلى الله عليه وسلم
وقال محمد بن علي الترمذي هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسايل
المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي

الفصل الثالث فيما ورد في خطابه اياه

مورد الملاطفة والمبرة من ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم قال ابو محمد مكي

قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو
قبل ان يخبره بالذنب حكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم
قال ولو بدا النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة
هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف
حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا
يخفى على ذي لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب
قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك
بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج
عليه في الاذن لهم قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه يجب على المسلم المجاهد نفسه
الرايض بزمام الشريعة خلقه ان يتادب باداب القران في قوله وفعله ومعاطاته
ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الاداب الدينية والدنيوية وليتامل
هذه الملاطفة العجيبة في السوال من رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع
ويستثير ما فيها من الفوايد وكيف ابتدا بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو قبل ذكر
الذنب ان كان ثم ذنب وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا
قال بعض المتكلمين عاتب الله تعالى الانبياء بعد الزلات وعاتب نبينا عليه السلام
قبل وقوعه ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرايط المحبة وهذه غاية العناية
ثم انظر كيف بدا بثباته وسلامته قبل ذكر ما عاتبه عليه وخيف ان يركن اليه
ففي اثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تامينه وكرامته ومثله قوله تعالى قد نعلم
انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك الاية قال علي رضي الله عنه قال ابو جهل
للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم
لا يكذبونك الاية وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه
جبريل فقال ما يحزنك قال كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله
تعالى الاية ففي هذه الاية منزع لطيف الماخذ من تسليته تعالى له عليه السلام والطافه به
في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه
قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه

بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم ظالمين جاحدين فقال تعالى ولكن الظالمين بآيات الله
يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم إذ الجحد
إنما يكون ممن علم الشيء ثم أنكره كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ثم عزاه وآنسه بما ذكره عمن قبله ووعده النصر
بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا الآية فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه
لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون إنك كاذب وقيل لا يحتجون
على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك إلى الكذب وقيل لا يعتقدون
كذبك ومما ذكر من خصائصه وبر الله تعالى به أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم فقال
يا آدم يا نوح يا إبراهيم يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو إلا يا أيها الرسول
يا أيها النبي يا أيها المزمل يا أيها المدثر

الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره

قال الله تعالى لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله
جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم وأصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة
الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية
التعظيم وغاية البر والتشريف قال ابن عباس ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم عليه
من محمد وما سمعت الله تعالى أقسم بحياة أحد غيره وقال أبو الجوزاء ما أقسم الله بحياة أحد
غير محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات اختلف
المفسرون في معنى يس على أقوال فحكى أبو محمد مكي أنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لي عند ربي عشرة أسماء ذكر منها طه ويس اسمان له وحكى أبو عبد الرحمن السلمي
عن جعفر الصادق أنه أراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس يس يا إنسان
أراد محمدا وقال هو قسم وهو من أسماء الله وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل
يا رجل وقيل يا إنسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب يس قسم أقسم الله به قبل أن يخلق
السماء والأرض بألفي عام يا محمد إنك لمن المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين
فإن قدر أنه من أسمائه صلى الله عليه وسلم وصح فيه أنه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويؤكد
فيه القسم عطف القسم الآخر عليه وإن كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق
رسالته والشهادة بهدايته أقسم الله تعالى باسمه وكتابه أنه من المرسلين بوحيه

إلى عباده وعلى صراط مستقيم من إيمانه أي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال
النقاش لم يقسم الله تعالى لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له وفيه من تعظيمه وتمجيده
على تأويل من قال أنه يا سيد ما فيه وقد قال عليه السلام أنا سيد ولد آدم وقال تعالى
لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد قيل لا أقسم به إذا لم تكن فيه بعد خروجك منه
حكاه مكي وقيل لا زائدة أي أقسم به وأنت به يا محمد حلال أو حل لك ما فعلت فيه على
التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة وقال الواسطي أي نحلف لك بهذا البلد
الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعني المدينة والأول أصح لأن السورة
مكية وما بعده يصححه قوله وأنت حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله
تعالى وهذا البلد الأمين قال أمنها الله به بمقامه فيها وكونه بها فإن كونه أمان حيث كان
ثم قال ووالد وما ولد ثم قال أراد آدم فهو عام ومن قال هو إبراهيم وما ولد فهي
إن شاء الله إشارة إلى محمد صلى الله عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به في موضعين وقال تعالى
الم ذلك الكتاب قال ابن عباس هذه الحروف أقسام أقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك
وقال سهل بن عبد الله التستري الألف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد عليهما السلام
وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه إلى سهل وجعل معناه الله أنزل جبريل على محمد بهذا
القرآن لا ريب فيه وعلى الوجه الأول يحتمل القسم أن هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه
من فضيلة قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطاء في قوله تعالى ق والقرآن
المجيد أقسم بقوة قلب حبيبه صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك
فيه لعلو حاله وقيل هو اسم للقرآن وقيل هو اسم لله وقيل جبل محيط بالأرض وقيل
غير هذا وقال جعفر بن محمد في تفسير والنجم إذا هوى أنه محمد صلى الله عليه وسلم وقال
النجم قلب محمد هوى انشرح من الأنوار وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء في قوله تعالى
والفجر وليال عشر الفجر محمد لأن منه تفجر الإيمان

الفصل الخامس في قسمه تعالى جده له

لتحقق مكانته عنده قال جل اسمه والضحى والليل إذا سجى السورة اختلف في سبب
نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت
امرأة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة قال القاضي
الإمام أبو الفضل وفقه الله تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه

اياه ستة وجوه الأول القسم له عما اخبره به بقوله والضحى والليل اذا سجى اي ورب الضحى وهذا من اعظم درجات المبرة الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك الثالث قوله وللآخرة خير لك من الأولى قال ابن اسحق اي مآلك في مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل اي ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما اعطيتك في الدنيا الرابع قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات الإنعام في الدارين والزيادة قال ابن اسحق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الآخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروي عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس آية في القرآن أرجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار الخامس ما عدّه تعالى عليه من نعمه وقرره من آلائه قبله في بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال له فاغناه بما آتاه او بما جعله في قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب عليه عمه فآواه اليه وقيل آواه الى الله وقيل يتيما لا مثال لك فآواك اليه وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا وآوى بك يتيما ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه واصطفائه السادس امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره واشادة ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة الحديث بها وهذا خاص له عام لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اختلف المفسرون في قوله والنجم باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر بن محمد انه محمد عليه السلام وقال هو قلب محمد وقد قيل في قوله والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد واقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلا وانه وحي يوحى اوصله اليه عن الله جبريل وهو الشديد القوى ثم اخبر عن فضيلته بقصة الاسرى وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق بصره

فيما رأى

فيما رأى وانه رأى من آيات ربه الكبرى وقد نبه على مثل هذا تعالى في اول سورة الاسرا ولما كان ما كاشفه عليه السلام من ذلك الجبروت وشاهده من عجايب الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء والكناية الدالة على التعظيم فقال فأوحى الى عبده ما أوحى وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز وقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام في تعيين تلك الآيات الكبرى قال القاضي ابو الفضل واشتملت هذه الآيات على اعلام الله تعالى بتزكيته جملته عليه السلام وعصمتها من الآفات في هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه وقلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم اي اقسم انه لقول رسول كريم اي كريم عند مرسله ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي مكين اي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم اي في السماء امين على الوحي قال علي بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الاوصاف بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل فترجع الاوصاف اليه ولقد رآه يعني محمدا قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل في صورته وما هو على الغيب بظنين اي بمتهم ومن قرأه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاية والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق وقال تعالى ن والقلم الآيات اقسم تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وآنسه وبسط امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى درجات الآداب في المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دايم وثواب غير منقطع لا يأخذه عد ولا يمتن به عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التاكيد فقال وانك لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله قال الواسطي اثنى عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه

سبحانه ما أغمر نواله وأوسع أفضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا وعده به
من عقباهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلث آيات ثم عطف بعد
مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا
لنبيه فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين
إلى قوله أساطير الأولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة
بواره بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله له أتم من نصرته لنفسه ورده
تعالى على عدوه أبلغ من رده وأثبت في ديوان مجده **الفصل** السادس فيما ورد
من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والإكرام قال تعالى طه
ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من أسمائه عليه السلام وقيل هو اسم لله
وقيل معناه يا رجل وقيل يا إنسان وقيل هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي أراد
يا طاهر يا هادي وقيل هو أمر من الوطء والهاء كناية عن الأرض أي اعتمد على الأرض
بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله ما أنزلنا عليك
القرآن لتشقى نزلت الآية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام
الليل أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي أبي الوليد
الباجي إجازة ومن أصله نقلت قال حدثنا أبو ذر الحافظ قال حدثنا أبو محمد
الحموي حدثنا إبرهيم بن خزيم الشاشي قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا هاشم
بن القسم عن أبي جعفر عن الربيع عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام على
رجل ورفع الأخرى فأنزل الله طه يعني طإ الأرض يا محمد ما أنزلنا عليك القرآن
لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من الإكرام وحسن المعاملة وإن جعلنا طه من أسمائه
عليه السلام كما قيل أو جعلت قسما لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة
قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا
أي قاتل نفسك لذلك غضبا أو غيظا أو جزعا ومثله قوله تعالى لعلك باخع نفسك
ألا يكونوا مؤمنين ثم قال إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين
ومن هذا الباب قوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إلى قوله ولقد نعلم
أنك يضيق صدرك بما يقولون إلى آخر السورة وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك

الآية قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكر وهون عليه ما يلقى من المشركين وأعلمه أن من تمادى
على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله تعالى وإن يكذبوك فقد
كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول
إلا قالوا ساحر أو مجنون عزاه الله بما أخبر به عن الأمم السالفة ومقالها لأنبيائهم
قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وأنه ليس أول من لقي ذلك
ثم طيب نفسه وأبان عذره بقوله تعالى فتول عنهم أي أعرض عنهم فما أنت بملوم أي
في أداء ما بلغت وإبلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا
أي اصبر على أذاهم فإنك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى
الفصل السابع فيما أخبر الله به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على
الأنبياء وحظوة رتبته قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من
كتاب وحكمة إلى قوله من الشاهدين قال أبو الحسن القابسي استخص الله تعالى محمدا صلى الله
عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره أبانه به وهو ما ذكره في هذه الآية قال المفسرون أخذ الله
الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا إلا ذكر له محمدا ونعته وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به
وقيل أن يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم الخطاب
لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله
نبيا من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به
ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي وقتادة في آي تضمنت
فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
الآية وقال إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح إلى قوله وكيلا روي
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال بأبي أنت
وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم
فقال وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي أنت وأمي يا رسول الله
لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين
أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا قال قتادة إن النبي
صلى الله عليه وسلم قال كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا

قبل نوح وغيره قال السمرقندي في هذا تفضيل نبينا عليه السلام لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم المعنى أخذ الله عليهم الميثاق إذ أخرجهم من ظهر آدم كالذر وقال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال أهل التفسير أراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه بعثه إلى الأحمر والأسود وأحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس أحد من الأنبياء أعطي فضيلة أو كرامة إلا وقد أعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله أن الله تعالى خاطب الأنبياء بأسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال يا أيها النبي ويا أيها الرسول وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وإن من شيعته لإبرهيم إن الهاء عائدة على محمد صلى الله عليه وسلم أي إن من شيعة محمد لإبرهيم أي على دينه ومنهاجه وأجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل المراد نوح عليه السلام

الفصل الثامن في إعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ودفعه العذاب بسببه

قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم الآية أي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا الآية وقوله ولولا رجال مؤمنون الآية فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم ألا يعذبهم الله وهذا من أبين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرأه العذاب عن أهل مكة بسبب كونه ثم كون أصحابه بعده بين أظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم إياهم وحكم فيهم سيوفهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وفي الآية أيضا تأويل آخر حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه حدثنا أبو الفضل بن خيرون وأبو الحسين الصيرفي حدثنا أبو يعلى بن زوج الحرة حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب المروزي حدثنا أبو عيسى الحافظ حدثنا سفين بن وكيع حدثنا ابن نمير عن إسمعيل بن إبرهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله علي أمانين لأمتي وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فإذا أمضيت تركت فيهم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

قال عليه السلام أنا أمان لأصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأمان الأعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باق فإذا أميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن وقال الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية أبان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته وأمر عباده بالصلاة والتسليم عليه وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض العلماء تأول قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة على هذا أي في صلاة الله علي وملائكته وأمره الأمة بذلك إلى يوم القيمة والصلاة من الملائكة ومنا له دعاء ومن الله رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلوة والبركة وسنذكر حكم الصلوة عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص أن الكاف من كاف أي من كفاية الله لنبيه قال أليس الله بكاف عبده والهاء هدايته له قال ويهديك صراطا مستقيما والياء تأييده قال وأيدك بنصره والعين عصمته له قال والله يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه قال إن الله وملائكته يصلون على النبي وقال تعالى وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه الآية أي وليه وصالح المؤمنين قيل الأنبياء وقيل الملائكة وقيل أبو بكر وعمر وقيل علي وقيل المؤمنون على ظاهره

الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته

قال الله تعالى إنا فتحنا لك فتحا مبينا إلى قوله يد الله فوق أيديهم تضمنت هذه الآيات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء إليه فابتدأ جل جلاله بإعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وأنه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم أراد غفران ما وقع وما لم يقع أي إنك مغفور لك وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا إله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر عليك وقيل بفتح مكة والطايف وقيل يرفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك فأعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له وفتح أهم البلاد عليه وأحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته على أمته المؤمنين بالسكينة والطمانينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم

والستر لذنوبهم وهلاك عدوهم في الدنيا والاخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآيه فعدد محاسنه وخصايصه من شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعقاب وقيل محذرا من الضلالات ليؤمن بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى وتعزروه اي تجلونه وقيل تنصرونه وقيل تبالغون في تعظيمه وتوقروه اي تعظمونه وقراه بعضهم تعززوه برا ابن من العز والاكثر والاظهر ان هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال وتسبحوه فهذا راجع الى الله تعالى قال ابن عطا جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهي من اعلام المحبة وتمام النعمة وهي من اعلام الاختصاص والهداية وهي من اعلام الولاية فالمغفرة تبرية من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ به شرايع غيره وعرج به الى المحل الاعلا وحفظه حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه الى الاسود والاحمر واحل له ولامته الغنايم وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركني التوحيد ثم قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان اي انما يبايعون الله ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس في الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان كان الاول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة لان القاتل والرامي بالحقيقة هو الله وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه وانه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملا عينيه وكذلك قتل الملايكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الاية الاخرى انها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته اي ما قتلتموهم وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع اي ان منفعة الرمي كانت من فعل الله فهو القاتل والرامي بالمعنى وانت بالاسم

الفصل العاشر

فيما اظهره الله في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به

من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه تعالى من قصة الاسرا في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته وما شاهد من العجايب ومن ذلك عصمته من الناس بقوله والله يعصمك من الناس وقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقوله الا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله به عنه في هذه القصة من اذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم نجيا في امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك من الايات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك حسب ما ذكره اهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانيك هو الابتر اعلمه الله تعالى بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب عنه عدوه ورد عليه قوله فقال ان شانيك هو الابتر اي عدوك ومبغضك والابتر الحقير الذليل او المفرد الوحيد او الذي لا خير فيه وقال ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم قيل السبع المثاني السور الطوال الاول والقران العظيم ام القران وقيل السبع المثاني ام القران والقران العظيم سايره وقيل السبع المثاني ما في القران من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم وآتيناك نبا القران العظيم وقيل سميت ام القران مثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له دون الانبيا وسمى القران مثاني لان القصص تثنى فيه وقيل السبع المثاني اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة وقال وانزلنا اليك الذكر وقال وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الاية قال فهذه من خصايصه وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال عليه السلام بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم قال اهل التفسير اولى بالمومنين من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى من اتباع راي النفس وازواجه امهاتهم اي هن

فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وحكمه عليهم انفذ من حكمها واتباع امره ونهيه

في الحرمة كالأمهات حرّم نكاحهن بعده عليهم تكرمة له وخصوصية ولأنهن له
أزواج في الآخرة وقد قرئ وهو أبٌ لهم ولا يقرأ به الآن لمخالفته المصحف وقوله
تعالى وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة الآية قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل بما
سبق له في الأزل وأشار الواسطي إلى أنها إشارة إلى احتمال الرؤية التي لم يحتملها
موسى صلى الله عليهما وسلم

الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقاً
وخلقاً وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقاً **اعلم** أيها المحب
لهذا النبي الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم أن خصال الجلال والكمال
في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا
ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب إلى الله زلفى ثم هي على فنين أيضاً منها
ما يتخلص لأحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل **فأما** الضروري المحض
فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال
صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه وأعضائه
واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم أرضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة
حياته إليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد
تلحق هذه الخصال الآخرة بالأخروية إذا قصد بها التقوى ومعونة البدن
على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة **وأما**
المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية والآداب الشرعية من الدين والعلم
والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود
والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الأدب
والمعاشرة وأخواتها وهي التي جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الأخلاق
ما هو في الغريزة وأصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه
لا بد أن يكون فيه من أصولها في أصل الجبلة شعبة كما سنبينه إن شاء الله تعالى
وتكون هذه الأخلاق دنيوية إذا لم يرد بها وجه الله والدار الآخرة ولكنها
كلها محاسن وفضائل باتفاق أصحاب العقول السليمة وإن اختلفوا في موجب
حسنها وتفضيلها **فصل** إذا كانت خصال الجلال والكمال ما ذكرناه ووجدنا

الواحد منها يشرف بواحدة منها أو اثنتين إن اتفقت له في كل عصر إما من نسب
أو جمال أو قوة أو علم أو حلم أو شجاعة أو سماحة حتى يعظم قدره ويضرب
باسمه الأمثال ويتقرر له بالوصف بها في القلوب أثرة وعظمة وهو منذ
عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال
إلى ما لا يأخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير
المتعالي من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والإسراء والرؤية
والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة
والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث إلى الأحمر والأسود والصلاة بالأنبياء
والشهادة بين الأنبياء والأمم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة
والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والأمانة والهداية ورحمة للعالمين
وإعطاء الرضى والسؤل والكوثر وسماع القول وإتمام النعمة والعفو عما تقدم وتأخر
وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتأييد
بالملائكة وإيتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم وتزكية الأمة
والدعاء إلى الله وصلاة الله والملائكة والحكم بين الناس بما أراه الله ووضع الإصر
والأغلال عنهم والقسم باسمه وإجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم وإحياء
الموتى وإسماع الصم ونبع الماء من بين أصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر
ورد الشمس وقلب الأعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام
وتسبيح الحصا وإبراء الآلام والعصمة من الناس إلى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط
بعلمه إلا مانحه ذلك ومفضله به لا إله غيره إلى ما أعد له في الآخرة من منازل الكرامة
ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول
ويحار دون إدراكها الوهم **فصل** إن قلت أكرمك الله لا خفاء على القطع
بالجملة أنه صلى الله عليه وسلم أعلى الناس قدراً وأعظمهم محلاً وأكملهم محاسن
وفضلاً وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال مذهباً جميلاً شوقني إلى أن أقف
عليها من أوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلاً **فاعلم** نور الله قلبي وقلبك وضاعف
في هذا النبي الكريم حبي وحبك أنك إذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة

وفي جبلة الخلقة وجدته حايز الجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع **اما الصورة** وجمالها وتناسب اعضايه في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وانس بن مالك وابي هريرة والبراء بن عازب وعايشة ام المؤمنين وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة وام معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وابي الطفيل والعدا بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملا صدره سوا البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين سايل الاطراف انور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل الباين ولا بالقصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم **قال** البرا ما رايت من ذي لمة في حلة حمرا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقال** ابو هريرة ما رايت شيا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلالا في الجدر **وقال** جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا **وقالت** ام معبد في بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه من قريب وفي حديث ابن ابي هالة يتلالا وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر **وقال** علي رضي الله عنه في اخر وصفه له من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم والاحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جا فيها وجملة مما فيه الكفاية في القصد الى المطلوب وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هناك ان شا الله

فصل

واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال بني الدين على النظافة **حدثنا** سفين بن العاصي وغير واحد قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس **قال** ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم مسح خده **قال** فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جونة عطار قال غيره مسها بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار انس فعرق فجات امه بقارورة تجمع فيها عرقه فسالها صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله وهو من اطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيبه وذكر اسحق بن راهويه ان تلك كانت رايحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم **وروى** المزني عن جابر اردفني النبي صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان ينم علي مسكا وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمايله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت غايطه وبوله وفاحت لذلك رايحة طيبة صلى الله عليه وسلم واسند محمد بن سعد كاتب الواقدي خبرا عن عايشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك تاتي الخلا فلا نرى شيا من الاذى فقال لها يا عايشة او ما علمت ان الارض تبلع ما يخرج من الانبيا فلا يرى منه شي وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعي حكاه الامام ابو نصر بن الصباغ في شامله وقد حكى القولين عن العلما في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شي يكره ولا غير طيب ومنه حديث علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيا فقلت طبت حيا وميتا **قال** وسطعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله قال ابو بكر رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله

بن الزبير دم حجامته فقال له عليه السلام ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكر عليه ٥ وقد روي نحو من هذا عنه في امراة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدًا ولم يأمر واحدًا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عودة وحديث هذه المراة التي شربت بوله صحيح الزم الدارقطني مسلمًا والبخاري اخراجه في الصحيح واسم هذه المراة بركة واختلف في نسبها وقيل هي ام ايمن وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم ٥ قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيا فسال بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم روى حديثها ابن جريج وغيره وكان صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات قد ولد مختونا مقطوع السرة وروي عن امه امنة انها قالت ولدته نظيفا ما به قذر وعن عائشة رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضا قال عكرمة لانه كان صلى الله عليه وسلم محفوظا

فصل واما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية انه كان اعقل الناس واذكاهم ومن تامل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم ٥ وسياسة العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم ٥ وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا مما لا يحتاج الى تقريره لتحقيقه ٥ وقد قال وهب بن منبه قرات في احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلوة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين وفي الموطا عنه عليه السلام اني لاراكم من وراء ظهري ٥ ونحوه عن انس في الصحيحين وعن عائشة مثله

زيادة زاده الله اياها في حجته ٥ وفي بعض الروايات اني لانظر من ورائي كما انظر الى من بين يدي ٥ وفي اخرى اني لابصر من قفاي كما ابصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد عن عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء ٥ والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم الملائكة والشياطين ٥ ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش ٥ والكعبة حين بنى مسجده وقد حكي عنه انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما ٥ وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة في ذلك وهي من خواص الانبياء وخصالهم كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه قال حدثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني قال حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر عن ابيها قال حدثنا الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسني قال حدثنا محمد بن محمد بن سعيد قال حدثنا محمد بن احمد بن سليمان قال حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق قال حدثنا همام قال حدثنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان تختص نبينا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسرا والحظوة بما راى من ايات ربه الكبرى ٥ وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام ٥ وصارع ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفي صفته ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى تقلعا كانما ينحط من صبب

فصل واما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل ٥ سلاسة طبع ٥ وبراعة منزع ٥ وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول ٥ وصحة معان ٥ وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم ٥ وخص ببدائع الحكم وعلم السنة العرب تخاطب كل امة منها بلسانها وتحاورها بلغتها وتباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسالونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تامل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه ٥ وليس كلامه مع قريش ٥ والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني ٥ وطهفة النهدي ٥ وقطن بن حارثة العليمي ٥ والاشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي ٥ وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن ٥ وانظر كتابه الى همدان ٥

إن لكم فراعها ووهاطها وعزازها تأكلون علافها وترعون عفاها لنا من دفئهم
وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل
والفارض والداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله لنهد
اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له
الثمد وبارك له في المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان
محسنا ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك
ووضائع الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة
وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس
لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق وتأكلوا
الرباق من أقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى فعليه الربوة ومن كتابه
لوائل بن حجر إلى الأقيال العباهلة والأرواع المشابيب وفي التيعة شاة
لا مقورة الألياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى ممن
بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى ممن ثيب فضرجوه بالأضاميم
ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل
على الأقيال أين هذا من كتابه لأنس في الصدقة المشهور لما كان كلام هؤلاء
على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط وأكثر استعمالهم هذه الألفاظ استعملها
معهم ليبين للناس ما نزل إليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله في حديث
عطية السعدي إن اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة وكما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث العامري حين سأله وقال له النبي صلى الله
عليه وسلم سل عنك أي سل عما شئت وهي لغة بني عامر وأما كلامه المعتاد
وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه المأثورة فقد ألف الناس فيه الدواوين وجمعت
في ألفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله
المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم وقوله
الناس كأسنان المشط والمرء مع من أحب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له
والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم

ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم وقوله أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين
وإن أحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين
يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون
عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ومنع وهات
وعقوق الأمهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة
تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الأمور أوساطها وقوله أحبب حبيبك هونا ما
عسى أن يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله في بعض
دعائه اللهم إني أسألك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتلم بها شعثي وتصلح
بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها ألفتي وتعصمني
بها من كل سوء اللهم إني أسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر
على الأعداء إلى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وأدعيته
ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف أنه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها
سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق إليها ولا قدر أحد
أن يفرغ في قالبه عليها كقوله حمي الوطيس ومات حتف أنفه ولا يلدغ المؤمن
من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في أخواتها ما يدرك الناظر العجب في
مضمنها ويذهب به الفكر في أداني حكمها وقد قال له أصحابه ما رأينا الذي هو
أفصح منك فقال وما يمنعني وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين
وقال مرة أخرى بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله
عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها
إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت
أم معبد في وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات
نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله عليه وسلم وأما شرف
نسبه وكرم بلده ومنشئه فما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه ولا بيان مشكل
ولا خفي منه فإنه نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها وأشرف وأفضل العرب
وأعزهم نفرا من قبل أبيه وأمه ومن أهل مكة من أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده

حدثنا قاضي القضاة حسن بن محمد الصدفي رحمه الله حدثنا القاضي ابو الوليد سليمان
بن خلف حدثنا ابو ذر عبد بن احمد حدثنا ابو محمد السرخسي وابو اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن
عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني
ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت
فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة
واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم قال
الترمذي هذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر رواه الطبري انه صلى الله عليه وسلم
قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني ادم ثم اختار بني ادم فاختار منهم العرب ثم اختار
العرب فاختار بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب
فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس ان قريشا كانت نورا بين
يدي الله تعالى قبل ان يخلق ادم بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملايكة بتسبيحه فلما خلق الله
ادم القى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله تعالى الى الارض
في صلب ادم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب ابرهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب
الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة
هذا الخبر شعر العباس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشهور

فصل واما ما تدعو ضرورة
الحياة اليه مما فصلناه فعلى ثلثة ضروب ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته
وضرب تختلف الاحوال فيه **فاما** ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة
وشريعة كالغذا والنوم ولم تزل العرب والحكما تتمادح بقلتهما وتذم كثرتهما لان
كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا
والاخرة جالب لادوا الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة
وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم
دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر

انظر كتابه الى همدان بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من محمد رسول الله لاهل مخلاف خارف ويام واهل جناب الهضب
وحقاف الرمل من همدان مع وافدها ذي المشعار مالك بن نمط ومن اسلم من قومه ان لهم فراعها الى اخره ح بجي

لنا من دفئهم فصله عما قبله ملتفتا من الغيبة الى التكلم لشبه انقطاع بينهما اذ ذاك في حقهم بوهن اراضيهم وما يخرج منها
وهذا ما اختص به نفسه او من معه من مواشيهم اي من ابلهم وغنمهم ضانا ومعزا وما ينتفع به منها سميت دفئا
لانه يتخذ منها ما يستدفأ به ح بجي

وصرامهم اي نخلهم سميت صراما لانها تصرم اي تقطع واحدتها صرمة او من ثمرتهم ح بجي

الثلب بمثلثة مكسورة فلام ساكنة اي لهم مما وجبت عليهم فيها الزكاة من نعم الهرم من ذكور الابل الذي سقطت اسنانه بمعنى لا اخذ

والناب اي ولهم الهرمة من اناثها التي قد طال نابها ح بجي

والفصيل ذكر ما يطلق على اولاد الابل ومن البقر وقد يطلق على اولاد البقر اذ هو ما صدع عن اللبن ح بجي

وكتب لهم في الفريضة ويروى عليكم في الوظيفة الفريضة اي كل نصاب ما فرض فيه

ولا لا يمنع سرحكم اي تمنع ماشيتكم السارحة من مرعى مباح تريده ولا تعدل عنه ح بجي

ولكم الفارض بالفاء وهي المسنة وفي بعض النسخ بالعين المهملة وهي الناقة التي يصيبها كسر او مرض فينحر

وعدم نفع وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة
وينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكما السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح
الحديث واثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار
العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هنا ما لا يدفع من ضرورته وهو
الذي امر به وحض عليه لا سيما بارتباط احدهما بالاخر حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ
بقراتي عليه حدثنا ابو الفضل الاصفهاني حدثنا ابو نعيم الحافظ حدثنا سليمان بن احمد
حدثنا بكر بن سهل حدثنا عبد الله بن صالح حدثني معوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه
عن المقدام بن معدي كرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملا ابن ادم وعاء شرا
من بطنه حسب ابن ادم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه
وثلث لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب قال سفين الثوري بقلة الطعام
يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا وقد روي
عنه صلى الله عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي وعن عايشة
رضي الله عنها لم يمتلي جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله لا يسالهم طعاما
ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا بحديث
بريرة الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سواله صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له
فاراد بيان سنته اذ راهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستاثرون عليه به فصدق عليهم
ظنه وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان
يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة
وقال سحنون لا يصلح العلم لمن ياكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم
اما انا فلا اكل متكيا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعدد في الجلوس له كالمتربع وشبهه
من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل
ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول
انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل
على شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الاثار
الصحيحة ومع ذلك فقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على جانبه الايمن

اقيال جمع قيل وهم رؤسا الملك الاعظم ونزاق العباهلة جمع عبهل وهم الملوك الذين اقروا على ملكهم
فلم يزالوا عنه وكذا كل شي لا يمنع عما يريده ولا يوخذ على يده فيما قصده عبهل وقد عبهلت الابل
اذا تركتها ترد متى شاءت وفيه لتاكيد الجمع كقشاعمة جمع قشعم والارواع جمع رايع اي الحسان
الوجوه والهيئات او الذين يروعون الناس اي يفزعونهم بجمالهم ومنظرهم هيبة لهم وهذا الجمع كالانصار
والاشهاد قليل في كلامهم جدا الشابيب جمع مشوب اي الروسا السادة الحسان المناظر الزهر الالوان
كانما وجوههم تلالا نورا دبي
وفي السيوب الخمس جمع سيب وهو الركاز والركاز عطاء كل ابي
وقيل هي عروق الذهب والفضة تسيب في الارض اي تتكون فيها
وتظهر وقال الزمخشري هي المعدن والمال المدفون في الجاهلية
لانه من فضل الله وعطايه لمن اصابه
ضرجوه بالاضاميم جمع اضمامة لان بعضها يضم الى البعض كالجماعات
من الناس اي ارضوه بالحجارة حتى تدموه وتضرجوه اي تلطخوه بدمائه
دبي
يترقل اي يتامر ويترأس عليهم

استظهاراً على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنا لهدو القلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة
حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام النايم على الجانب
الايمن تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة ولم تغمره الاستغراق **فصل** والضرب
الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والتفخر بوفوره كالنكاح والجاه **اما** النكاح فمتفق فيه شرعاً
وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به
سيرة ماضية **واما** في الشرع فسنة ماثورة وقد قال ابن عباس افضل هذه الامة
اكثرها نساء مشيراً اليه صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا فاني مباه بكم الامم
ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من كان
ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد **قال**
سهل بن عبد الله قد حبّبن الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان
زهاد الصحابة كثيري الزوجات والسراري وكثيري النكاح **وحكي** في ذلك عن علي والحسن
وابن عمر وغيرهم غير شي وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزباً **فان قلت** كيف يكون النكاح وكثرته
من الفضايل وهذا يحيى بن زكريا قد اثنى الله عليه انه كان حصوراً فكيف يثني الله عليه بالعجز
عما تعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام تبتل من النساء ولو كان كما قررته لنكح **فاعلم**
ان ثناء الله على يحيى بانه حصور ليس كما **قال** بعضهم انه كان هيوباً او لا ذكر له بل قد انكر
هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالانبياء وانما
معناه انه معصوم من الذنوب اي لا ياتيها كانه حصر عنها **وقيل** مانعاً نفسه من الشهوات
وقيل ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص
وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى عليه السلام او بكفاية من الله
كيحيى عليه السلام فضيلة زايدة لكونها شاغلة في كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا
ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا وهي
درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم يشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة
لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست
من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره **فقال** حبب الي من دنياكم فدل
انه حبه لما ذكر من النساء والطيب اللذين من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه

بل تحصيله للفوايد التي ذكرناها في التزوج وللقاء الملايكة في الطيب ولانه ايضاً مما
يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لاجل
غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه
ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحالين **فقال** وجعلت قرة عيني
في الصلوة فقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن
وكان صلى الله عليه وسلم ممن اقدر على القوة في هذا واعطي الكثير منه ولهذا ابيح له
من عدد الحراير ما لم يبح لغيره وقد روي عن انس انه صلى الله عليه وسلم كان يدور
على نسايه في الساعة من الليل والنهار وهن احدى عشرة **قال** انس وكنا نتحدث
انه اعطي قوة ثلاثين خرجه النسايي وروي نحوه عن ابي رافع وعن طاوس اعطي عليه
السلام قوة اربعين رجلاً في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت سلمى مولاته
طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسايه التسع وتطهر من كل واحدة منهن قبل ان ياتي
الاخرى وقال هذا اطهر واطيب وقد **قال** سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة
على مائة امراة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن عباس كان في ظهر سليمان ماء
مائة رجل وكانت له ثلث مائة امراة وثلث مائة سرية **وحكى** النقاش سبع مائة امراة وثلثمائة
سرية وقد كان لداود عليه السلام على زهده واكله من عمل يده تسع وتسعون
امراة وتمت بزوج اوريا مائة وقد **نبه** على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى
ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة **وفي** حديث انس عنه عليه السلام فضلت على الناس
باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش **واما** الجاه فمحمود عند العقلاء
عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد **قال** تعالى في صفة عيسى عليه السلام
وجيهاً في الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الاخرة فلذلك
ذمه من ذمه ومدح ضده **وورد** في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض
وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة
عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويوذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه
خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره في ذلك معروفة سياتي
بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرويته من لم يره **كما** روي عن قيلة انها لما رأته

أرعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابي مسعود ان رجلاً قام
بين يديه فأرعد فقال هوّن عليك فاني لست بملك الحديث فاما عظيم قدره بالنبوة
وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر هو مبلغ
النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم باسره

فصل واما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل
لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته
وتمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه
منفقاً له في مهماته ومهمات من اعتراه واملّه وتصريفه في مواضعه مشترياً به المعالي
والثنا الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه
في وجوه البر وانفقه في سبل الخير وقصد بذلك الله والدار الآخرة كان فضيلة
عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكاً له غير موجهه وجوهه حريصاً على جمعه
عاد كثيره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل اوقعه
في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذاً التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله ليست
لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه
ولا وجهه وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند احد من العقلاء
بل هو فقير ابداً غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط
عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكأنه ليس في يده منه شي والمنفق ملي غني
بتحصيل فوايد المال وان لم يبق في يده من المال شي فانظر سيرة نبينا وخلقه في المال
تجده قد اوتي خزاين الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنايم ولم تحل لنبي قبله
وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك
من الشام والعراق وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه
وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استاثر بشي منه ولا امسك منه درهماً بل صرفه
مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي احداً ذهباً يبيت
عندي منه دينار الا ديناراً ارصده لديني واتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها بقية فدفعها
لبعض نسائه فلم ياخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات ودرعه

مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد
فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم
على من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره اذ المباهاة في الملابس والتزين
بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط
في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين وقد ذم
الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس انما تعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال
وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير آلاته وخدمه ومركوباته ومن ملك
الارض وجبي اليه ما فيها فترك ذلك زهداً وتنزهاً فهو حائز لفضيلة المالية ومالك
للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زايد عليها في الفخر ومعرق في المدح باضرابه عنها
وزهده في فانيها وبذلها في مظانها

فصل واما الخصال المكتسبة من الاخلاق
الحميدة والاداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق
الواحد منها فضلاً عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة الدايمة
للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى
النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا
صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال
وانك لعلى خلق عظيم قالت عايشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه
وقال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق قال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
احسن الناس خلقاً وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون
مجبولاً عليها في اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة الا بجود
الهي وخصوصية ربانية وهكذا لساير الانبيا ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى
مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام
بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى
وآتيناه الحكم صبياً قال المفسرون اعطي يحيى العلم بكتاب الله تعالى في حال صباه
وقال معمر كان ابن سنتين او ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه
وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له

وقد نص الله على كلام عيسى لأمه عند ولادتها إياه بقوله فناداها ألا تحزني على قراءة من قرأ من تحتها
وعلى قول من قال إن المنادي عيسى ونص على كلامه في مهده فقال إني عبد الله آتاني الكتاب
وجعلني نبيا وقال ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وقد ذكر في حكم سليمان
وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود أبوه وحكى الطبري
أن عمره كان حين أوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون وأخذه بلحيته
وهو طفل وقال المفسرون في قوله ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل أي هديناه
صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه قبل إبداء خلقه وقال بعضهم لما
ولد إبراهيم بعث الله ملكا يأمره عن الله أن يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت
ولم يقل أفعل فذلك رشده وقيل إن إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار ومحنته كانت
وهو ابن ست عشرة سنة وأن ابتلاء إسحاق بالذبح وهو ابن سبع سنين وأن استدلال إبراهيم
بالكوكب والقمر والشمس وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل أوحى الله إلى يوسف وهو صبي عندما
هم إخوته بإلقائه في الجب بقوله تعالى وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا الآية
إلى غير ذلك من أخبارهم وقد حكى أهل السير أن آمنة بنت وهب أخبرت أن نبينا محمدا
صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه إلى الأرض رافعا رأسه إلى السماء وقال في حديثه
صلى الله عليه وسلم لما نشأت بغضت إلي الأوثان وبغض إلي الشعر ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية
تفعله إلا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم أعد ثم يتمكن الأمر لهم وتترادف نفحات الله عليهم
وتشرق أنوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في
تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما
بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وقد نجد بعضهم يطبع على بعض هذه الأخلاق
دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة
بعض الصبيان على حسن السمت أو الشهامة أو صدق اللسان أو السماحة وكما نجد بعضهم
على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل
منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا
ما قد اختلف السلف فيها هل هذا الخلق جبلة أو مكتسبة فحكى الطبري عن بعض السلف أن
الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال وهو الصواب

ما أصلناه وقد روى سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة
والكذب وقال عمر بن الخطاب في حديثه والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء
وهذه الأخلاق المحمودة والخصال الشريفة كثيرة ولكنا نذكر أصولها ونشير إلى جميعها
ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها إن شاء الله تعالى

فصل

أما أصل فروعها وعنصر ينابيعها
ونقطة دائرتها فالعقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي
وجودة الفطنة والإصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة
وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد أشرنا إلى مكانه منه
عليه السلام وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه وإذ جلالة محله
من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجاري أحواله واطراد سيره وطالع جوامع
كلامه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والإنجيل
والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الأمم الخالية وأيامها وضرب الأمثال وسياسات
الأنام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة إلى فنون العلوم التي
اتخذ أهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة وإشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب
والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته إن شاء الله دون تعليم ولا مدارسة
ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس إلى علمائهم بل نبي أمي لم يعرف بشيء من ذلك حتى
شرح الله صدره وأبان أمره وعلمه وأقرأه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله
ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الأقاصيص وآحاد القضايا
إذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله
عليه وسلم إلى سائر ما علمه الله وأطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته
وعظيم ملكوته قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما
حارت العقول في تقدير فضله عليه وخرست الألسن دون وصف يحيط بذلك أو ينتهي إليه

فصل

وأما الحلم والاحتمال والعفو مع المقدرة والصبر على ما يكره وبين هذه
الألقاب فرق فإن الحلم حالة توقر وثبات عند الأسباب المحركات والاحتمال حبس
النفس عند الآلام والمؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة وأما العفو فهو ترك
المؤاخذة وهذا كله مما أدب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو وأمر بالعرف الآية

روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية سأل جبريل عن تأويلها فقال له حتى أسأل العالم ثم ذهب فأتاه فقال يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له واصبر على ما أصابك الآية وقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وقال وليعفوا وليصفحوا الآية وقال ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وأن كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبرا وعلى إسراف الجاهل إلا حلما حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن عتاب حدثنا أبو بكر بن واقد القاضي وغيره حدثنا أبو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال إني لم أبعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال في بعض كلامه بأبي أنت وأمي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الإحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفى عنهم ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اغفر أو اهد ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فإنهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله لم يزده في جوابه أن بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل ونهى من أراد من أصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم

منتبذ

منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء إلى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وأنه لم يؤاخذ لبيد بن الأعصم إذ سحره وقد أعلم به وأوحي إليه بشرح أمره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن أبي وأشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا بل قال لمن أشار بقتل بعضهم لا يتحدث أن محمدا يقتل أصحابه وعن أنس كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه أعرابي بردائه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فإنك لا تحمل لي من مالك ولا مال أبيك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وأنا عبده ثم قال ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امرأة وجيء إليه برجل فقيل هذا أراد أن يقتلك فقال له صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو أردت ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة قبل إسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له ثم قال إنكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من أجله ثلاث وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب إسلامه وذلك أنه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في محمد إلا اثنتين لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل إلا حلما فاختبرته بهذا فوجدته كما وصف والحديث عن حلمه صلى الله عليه وسلم وصبره وعفوه عند المقدرة أكثر من أن نأتي عليه وحسبك

ماذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره
على مقاساة قريش واذى الجاهلية ومصابرته الشدايد الصعبة معهم الى ان
اظفره الله عليهم وحكّمه فيهم وهم لا يشكون في استيصال شافتهم وابادة خضرائهم
فما زاد على ان عفا وصفح وقال ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم
وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم الاية اذهبوا
وانتم الطلقاء وقال انس هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم صلى الله عليه وسلم فانزل الله وهو الذي
كف ايديهم عنكم الاية وقال لابي سفين وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب
وقتل عمه واصحابه ومثّل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول ويحك يا ابا سفين
الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي ما احلمك واوصلك
واكرمك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى
صلى الله عليه وسلم

فصل واما الجود والكرم والسخا والسماحة ومعانيها متقاربة
وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره
ونفعه وسموه ايضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه
المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والسخا سهولة الانفاق وتجنب
اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يوازى في هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا
القاضي الشهيد ابو علي الصدفي رحمه الله حدثنا القاضي ابو الوليد الباجي حدثنا
ابو ذر الهروي حدثنا ابو الهيثم الكشميهني وابو محمد السرخسي وابو اسحاق
البلخي قالوا حدثنا ابو عبد الله الفربري حدثنا البخاري حدثنا محمد بن كثير انا
سفين عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم
عن شي فقال لا وعن انس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس كان النبي صلى الله
عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان في شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل
عليه السلام اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس ان رجلا ساله فاعطاه
غنما بين جبلين فرجع الى بلده وقال اسلموا فان محمدا يعطي عطا من لا يخشى فاقة

واعطى

واعطى غير واحد مائة من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم
قبل ان يبعث وقد قال له ورقة بن نوفل انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها
وكانوا ستة آلاف واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون الف درهم
فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فساله
فقال ما عندي شي ولكن ابتع علي فاذا جانا شي قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله
ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول الله
انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه
وقال بهذا امرت ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن عفرا اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثا فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا
قال انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيا لغد والخبر بجوده وكرمه صلى الله
عليه وسلم كثير وعن ابي هريرة اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يساله فاستسلف له رسول الله
نصف وسق فجا الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه قضا ونصفه نايل

فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها
للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف
وكان النبي صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة
والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع الا
وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه حدثنا ابو علي الجياني فيما كتب لي
قال حدثنا القاضي سراج حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد الفقيه حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا ابن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن ابي
اسحق سمع البرا وساله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رايته على بغلته البيضا وابو سفين آخذ
بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب وزاد غيره انا
ابن عبد المطلب قيل فما روي يومئذ احد كان اشد منه وقال غيره نزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس قال لما التقى المسلمون والكفار ولّى
المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وانا آخذ

بلجامها الكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان اخذ بركابه ثم نادى المسلمين الحديث
وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شي
وقال ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال علي رضي الله عنه انا كنا اذا حمي الباس ويروى اشتد الباس واحمرت الحدق اتقينا برسول
الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه ولقد رايتني يوم بدر ونحن نلوذ
بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يوميذ باسا وقيل كان
الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنا العدو لقربه منه وعن انس كان النبي صلى الله
عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس
قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرا الخبر
على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين
ما لقي صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب ولما راه ابي بن خلف يوم احد وهو
يقول اين محمد لا نجوت ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي
فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شا الله
فلما راه يوم احد شد ابي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض
انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم
فطعنه في عنقه طعنة تدادا منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه
فرجع الى قريش يقول قتلني محمد صلى الله عليه وسلم وهم يقولون لا باس بك فقال لو كان ما بي بجميع
الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى مكة

فصل واما الحيا والاغضا والحيا رقة تعتري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع
كراهته او ما يكون تركه خيرا من فعله والاغضا التغافل عما يكره الانسان بطبيعته
وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس حيا واكثرهم عن العورات اغضا قال الله
سبحانه ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحيي الاية وحدثنا ابو محمد بن عتاب رحمه الله
بقراتي عليه حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبدان انبانا عبد الله انبانا شعبة

عن قتادة سمعت عبد الله مولى انس عن ابي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشد حيا من العذرا في خدرها وكان اذا كره شيا عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم
لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه احدا بما يكرهه حيا وكرم نفس وعن عايشة
رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان
يقول كذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله
وروى انس انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيا وكان لا يواجه احدا
بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عايشة في الصحيح
لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق ولا يجزي بالسيية السيية
ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية ابن سلام وعبد الله بن
عمرو بن العاصي وروي عنه انه كان من حيايه لا يثبت بصره في وجه احد وانه كان
يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عايشة ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط

فصل واما حسن عشرته وادبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم مع اصناف الخلق
فبحيث انتشرت به الاخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه صلى الله عليه وسلم
كان اوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة حدثنا
ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي فيما اجازنيه وقراته على غيره قال حدثنا ابو اسحق الحبال
حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا هشام ابو مروان
ومحمد بن المثنى حدثنا ابو الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير
يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في اخرها فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطا
عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال اما
ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة
اولى بمقدمها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يولفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه
عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره ولا خلقه يتفقد اصحابه
ويعطي كل جلسايه نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه

لحاجة كابرة حتى يكون هو المنصرف عنه ومن ساله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سوا بهذا وصفه ابن ابي هالة قال وكان دايم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يويس منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال ادفع بالتي هي احسن الاية وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافي عليها قال انس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال لشي صنعته لم صنعته ولا لشي تركته لم تركته وعن عايشة رضي الله عنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا راني الا تبسم وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد والحر والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال انس ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحي راسه حتى يكون الرجل الذي ينحي راسه وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الاخذ ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وكان يبدا من لقيه بالسلام ويبدا اصحابه بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويوثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكني اصحابه ويدعوهم باحب اسمايهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي او قيام ويروى بانتهاء او قيام وروي انه كان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلوته وساله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قران او يعظ او يخطب وقال عبد الله بن الحرث ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس كان خدم المدينة ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة بانيتهم فيها الما فما يوتى باناء الا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون به التبرك

فصل

واما الشفقة والرافة والرحمة لجميع الخلق فقد قال الله تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رؤوف رحيم وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه السلام ان الله تعالى اعطاه اسمين من اسمايه فقال بالمومنين رؤوف رحيم وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراتي عليه حدثنا امام الحرمين ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابرهيم بن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا ابو الطاهر انبانا ابن وهب انبانا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب حدثنا ابن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطاني ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي وروي ان اعرابيا جاه يطلب منه شيا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل اليه وزاده شيا ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من ذلك شي فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جا فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي اكذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها حتى جات واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروي عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته على امته عليه السلام تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته اشيا مخافة ان تفرض عليهم كقوله لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء وخبر صلوة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهة دخول الكعبة لئلا يعنت امته ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان يسمع بكا الصبي

فيتجوّز في صلوته ومن شفقته صلى الله عليه وسلم أن دعا ربه وعاهده فقال أيما رجل سببته
أو لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلوة وطهورا وقربة تقربه بها إليك يوم القيمة
ولما كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام فقال إن الله قد سمع قول قومك وما ردّوا
عليك وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال
مرني بما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجوا
أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر
أن جبريل صلى الله عليه وسلم قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله أمر السماء والأرض والجبال أن تطيعك
فقال أؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم قالت عائشة رضي الله عنها ما خيّر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما وقال ابن مسعود كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا وعن عائشة أنها ركبت بعيرا وفيه
صعوبة فجعلت تردده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق فصل وأما
خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضي أبو عامر محمد بن
إسمعيل بقراءتي عليه قال حدثنا أبو بكر محمد بن محمد حدثنا أبو إسحق الحبال حدثنا أبو محمد
بن النحاس حدثنا ابن الأعرابي حدثنا أبو داود حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن سنان حدثنا
إبرهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبي الحمساء
قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها
في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلث فجئت فإذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي
أنا ههنا منذ ثلث أنتظرك وعن أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتي بهدية قال اذهبوا
بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة إنها كانت تحب خديجة وعن عائشة قالت
ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت أسمعه يذكرها وإن كان ليذبح الشاة فيهديها
إلى خلائلها واستأذنت عليه أختها فارتاح إليها ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال
عنها فلما خرجت قال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان ووصفه
بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم وقال
صلى الله عليه وسلم إن آل بني فلان ليسوا لي بأولياء غير أن لهم رحما سأبلّها ببلالها
وقد صلى عليه السلام بأمامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فإذا سجد وضعها

وإذا قام حملها وعن أبي قتادة وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم
فقال له أصحابه نكفيك فقال إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكافيهم ولما
جيء بأخته من الرضاعة الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها
إن أحببت أقمت عندي مكرمة محببة أو متعتك ورجعت إلى قومك فاختارت قومها فمتعها
وقال أبو الطفيل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه
فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا أمه التي أرضعته وعن عمر بن السائب
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه
فقعد عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه
من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه وكان يبعث إلى ثويبة مولاة
أبي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سأل من بقي من قرابتها فقيل لا أحد وفي حديث
خديجة رضي الله عنها أنها قالت له صلى الله عليه وسلم أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل
الرحم وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فصل وأما
تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته فكان أشد الناس تواضعا وأقلهم
كبرا وحسبك أنه خيّر بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا
فقال له إسرافيل عند ذلك فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيد ولد
آدم يوم القيمة وأول من تنشق الأرض عنه وأول شافع حدثنا أبو الوليد بن العواد
الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة قال حدثنا أبو علي الجياني
حدثنا أبو عمر حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة حدثنا أبو داود حدثنا أبو بكر
بن أبي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن أبي العنبس عن أبي العدبّس عن أبي مرزوق
عن أبي غالب عن أبي أمامة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصى
فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضا وقال إنما أنا عبد آكل
كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين
ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس
وفي حديث عمر عنه لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله
وعن أنس رضي الله عنه أن امرأة كان في عقلها شيء جاءته فقالت إن لي إليك حاجة فقال

فقالت اجلسي يا أم فلان في أي طرق المدينة شئت أجلس إليك حتى أقضي حاجتك قال فجلس النبي صلى الله عليه وسلم إليها حتى فرغت من حاجتها قال أنس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه إكاف
وكان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب قال وحج النبي صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت له الأرض وأهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الأنبياء ولا تخيروني على موسى ونحن أحق بالشك من إبراهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لأجبت الداعي وقال للذي قال له يا خير البرية ذلك إبراهيم وسيأتي الكلام على هذه الأحاديث بعد هذا إن شاء الله تعالى وعن عائشة والحسن وأبي سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته في مهنة أهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن أنس رضي الله عنه إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى تقضي حاجتها ودخل عليه رجل فأصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وعن أبي هريرة رضي الله عنه دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان زن وأرجح وذكر القصة قال فوثب إلى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الأعاجم بملوكها ولست بملك إنما أنا رجل منكم ثم أخذ السراويل فذهبت لأحمله فقال صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله

فصل وأما عدله صلى الله عليه وسلم وأمانته وعفته وصدق لهجته فكان النبي صلى الله عليه وسلم آمن الناس وأعدل الناس وأعف الناس وأصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الأمين قال ابن إسحق كان يسمى الأمين بما جمع الله فيه من الأخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم أمين أكثر المفسرين على أنه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا أول داخل عليهم فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد

هذا

... يصابه وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الإسلام وقال صلى الله عليه وسلم والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض حدثنا أبو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه حدثنا أبو الفضل بن خيرون حدثنا أبو يعلى بن زوج الحرة حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب المروزي حدثنا أبو عيسى الحافظ حدثنا أبو كريب حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن أبي إسحق عن ناجية بن كعب عن علي أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله سبحانه فإنهم لا يكذبونك الآية وروى غيره لا نكذبك وما أنت فينا بمكذب وقيل إن الأخنس بن شريق لقي أبا جهل يوم بدر فقال له يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق أم كاذب فقال أبو جهل والله إن محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسأل هرقل عنه أبا سفين فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها وفي حديث علي رضي الله عنه في وصفه صلى الله عليه وسلم أصدق الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه قال أبو العباس المبرد قسم كسرى أيامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلثة أجزاء جزأ لله وجزأ لأهله وجزأ لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع أمنه الله يوم الفزع الأكبر وعن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحدا بقرف أحد ولا يصدق أحدا على أحد وذكر أبو جعفر الطبري عن علي عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية

يعاونون به غيره من بين كل ذلك يحول بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله
برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها
كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف
والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس
فرجعت ولم اقض شيئا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم بعد ذلك بسوء

فصل واما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه فحدثنا
ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت بكتابه قال حدثنا ابو العباس الدلائي حدثنا
ابو ذر الهروي حدثنا ابو عبد الله الوراق حدثنا اللؤلؤي حدثنا ابو داود حدثنا
عبد الرحمن بن سلام حدثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن عمر بن عبد العزيز
بن وهب سمعت خارجة بن زيد **يقول** كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه
لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه **وروى** ابو سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا
وعن جابر بن سمرة انه تربع وربما جلس القرفصا وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت
لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول
ولا تقصير وكان ضحك اصحابه التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير
وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم
الطير وفي صفته يخطو تكفوا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب وفي الحديث الاخر
اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان **قال**
عبد الله بن مسعود ان احسن الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم **وعن** جابر بن عبد الله
رضي الله كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل **قال** ابن ابي هالة كان
سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر **قالت** عائشة رضي الله عنها كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد احصاه وكان صلى الله عليه وسلم
يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما ويقول حبب الي من دنياكم
النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة ومن مروءته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ
في الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب واستعمال

خصال

خصال الفطرة **فصل** واما زهده في الدنيا فقد تقدم من الاخبار اثناء هذه السيرة ما يكفي
وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه
فتوحها ان توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو
ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا **حدثنا** سفين بن العاصي والحسين بن محمد الحافظ
والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا احمد
الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا ابو الحسين بن الحجاج حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة
حدثنا ابو معوية عن الاعمش عن ابرهيم عن الاسود عن عايشة قالت ما شبع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلثة ايام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين متوالين
ولو شاء لاعطاه الله ما لا يخطر ببال وفي رواية اخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خبز بر حتى لقي الله **وقالت** عايشة ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا
شاة ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحرث ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة
قالت عايشة ولقد مات وما في بيتي شيء ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال لي
ان ربي عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي
اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وفي حديث
اخر ان جبريل عليه السلام نزل عليه فقال له ان الله عز وجل يقريك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل
هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم **قال** يا جبريل ان الدنيا دار من لا
دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل عليه السلام ثبتك الله يا محمد
بالقول الثابت **وعن** عايشة رضي الله عنها ان كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو
الا التمر والماء **وعن** عبد الرحمن بن عوف هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته
من خبز الشعير وعن عايشة وابي امامة وابن عباس نحوه قال ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يبيت
هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء **وعن** انس قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا راى شاة سميطا قط **وعن** عايشة انما كان
فراشه الذي ينام عليه ادما حشوه ليف **وعن** حفصة رضي الله عنها كان فراش رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بيته مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح قال
ما فرشتموا لي الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فان وطاته منعتني الليلة صلاتي

وكان ينام أحيانا على سرير مرمول بشريط حتى تؤثر في جنبه وعن عائشة قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى إلى أحد وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى وإن كان ليظل جائعا يلتوي طول ليلته من الجوع ولا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت أبكي له رحمة مما أرى به وأمسح بيدي على بطنه مما به من الجوع وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة ما لي وللدنيا إخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحيي إن ترفهت في معيشتي حتى توفي صلى الله عليه وسلم

فصل وأما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثناه أبو محمد بن عتاب قراءة مني عليه قال حدثنا أبو القسم الطرابلسي حدثنا أبو الحسن القابسي حدثنا أبو زيد المروزي حدثنا أبو عبد الله الفربري حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في روايتنا عن أبي عيسى الترمذي رفعه إلى أبي ذر إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله لوددت أني شجرة تعضد روي هذا الكلام وددت أني شجرة تعضد من قول أبي ذر نفسه وهو أصح وفي حديث المغيرة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له أتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ونحوه عن أبي سلمة وأبي هريرة وقالت عائشة كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وأم سلمة وأنس وقال كنت لا تشاء أن تراه من الليل مصليا إلا رأيته مصليا ولا نائما إلا رأيته نائما وقال عوف بن مالك كنت مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة وعن عبد الله بن الشخير أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل قال ابن أبي هالة كان صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقال صلى الله عليه وسلم إني لأستغفر الله تعالى في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله أنيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضى غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي حديث آخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لأجل أمتي وشوقي إلى ربي

فصل اعلم وفقنا الله وإياك أن صفات جميع الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي هذه الصفة لأنها صفات الكمال والكمال والتمام البشري والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم إذ رتبتهم أشرف الرتب ودرجاتهم أرفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد قال صلى الله عليه وسلم إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال آخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا في السماء وفي حديث أبي هريرة رأيت موسى فإذا رجل ضرب رجل أقنى كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى فإذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه أحمر كأنما خرج من ديماس وفي حديث آخر مبطن مثل السيف قال وأنا أشبه ولد إبراهيم به وقال في حديث آخر في صفة موسى كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال وفي حديث

أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى بعد لوط نبيًّا إلا في ذروة من قومه
ويروى في ثروة أي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني
من حديث قتادة عن أنس ما بعث الله نبيًّا إلا حسن الوجه حسن الصوت وكان
نبيكم أحسنهم وجهًا وأحسنهم صوتًا وفي حديث هرقل وسألتك عن نسبه
فذكرت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في أنساب قومها وقال تعالى
في أيوب إنا وجدناه صابرًا نعم العبد إنه أواب وقال تعالى يا يحيى خذ
الكتاب بقوة إلى قوله ويوم يبعث حيًّا وقال إن الله يبشرك بيحيى إلى
الصالحين إن الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران الآيتين
وقال في نوح إنه كان عبدًا شكورًا وقال إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح إلى الصالحين
وقال إني عبد الله آتاني الكتاب إلى ما دمت حيًّا وقال يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى
الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى رجلًا حييًّا ستيرًا ما يرى من جلده شيء استحياء
الحديث وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكمًا الآية وقال في وصف جماعة منهم إني لكم رسول
أمين وقال إن خير من استأجرت القوي الأمين وقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل
وقال ووهبنا له إسحق ويعقوب كلًّا هدينا إلى قوله فبهداهم اقتده فوصفهم بأوصاف
جمة من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال فبشرناه بغلام عليم وبحليم وقال
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم إلى أمين وقال ستجدني إن شاء الله من الصابرين
وقال في إسمعيل إنه كان صادق الوعد الآيتين وفي موسى إنه كان مخلصًا وفي سليمان نعم العبد
إنه أواب وقال واذكر عبادنا إبرهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار إلى الأخيار
وفي داود إنه أواب ثم قال وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وقال عن يوسف
اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم وفي موسى ستجدني إن شاء الله صابرًا وقال وما أريد أن أخالفكم
إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وقال ولوطًا آتيناه حكمًا وعلمًا وقال
إنهم كانوا يسارعون في الخيرات الآية قال سفين هو الحزن الدائم في آي كثيرة ذكر فيها
من خصالهم ومحاسن أخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الأحاديث كثير كقوله
إنما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي
وفي حديث أنس وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم وروي أن سليمان عليه السلام

كان مع ما أعطي من الملك لا يرفع بصره إلى السماء تخشعًا وتواضعًا لله وكان يطعم الناس
لذائذ الأطعمة ويأكل خبز الشعير وأوحى الله إليه يا رأس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين
وإن كانت العجوز لتعترضه وهو على الريح في جنوده فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي
وقيل ليوسف ما لك تجوع وأنت على خزائن الأرض قال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع
وروى أبو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه
فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج ولا يأكل إلا من عمل يده قال الله تعالى وألنا له
الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد وكان سأل ربه أن يرزقه عملًا بيده
يغنيه عن بيت مال المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم أحب الصلاة إلى الله صلاة داود
وأحب الصيام إلى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه
ويصوم يومًا ويفطر يومًا وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح
والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكًا بعد الخطيئة ولا شاخصًا ببصره إلى السماء
حياء من ربه ولم يزل باكيًا حياته كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت
الدموع في خده أخدودًا وقيل كان يخرج متنكرًا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه
فيزداد تواضعًا وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارًا قال أنا أكرم على الله من أن
يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت أينما أدركه النوم نام وكان
أحب الأسامي إليه أن يقال له مسكين وقيل إن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين
كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال عليه السلام كان الأنبياء قبلي يبتلى أحدهم
بالفقر والقمل وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إليكم وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه
اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال أكره أن أعود لساني المنطق بسوء وقال مجاهد كان
طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان يأكل مع الوحش
لئلا يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب أن موسى عليه السلام كان يستظل بعريش
ويأكل في نقرة من حجر ويكرع فيها إذا أراد أن يشرب كما تكرع الدابة تواضعًا لله بما
أكرمه به من كلامه وأخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الأخلاق
وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا تلتفت إلى ما تجده في كتب
بعض الجهلة المؤرخين والمفسرين مما يخالف هذا فصل قد أتيناك أكرمك الله

من الأخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة وأريناك صحتها له
صلى الله عليه وسلم وجلينا من الآثار ما فيه مقنع والأمر أوسع فمجال هذا الباب في حقه
صلى الله عليه وسلم ممتد ينقطع دون نفاده الأدلاء وبحر علم خصائصه زاخر
لا تكدره الدلاء ولكنا أتينا فيه بالمعروف مما أكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات
واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض من فيض ورأينا أن نختم هذه الفصول بذكر حديث
الحسن عن ابن أبي هالة لجمعه من شمايله وأوصافه كثيرا وإدماجه جملة كافية من سيره
وفضائله ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله **حدثنا** القاضي أبو علي الحسين
ابن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثماني وخمسماية حدثنا الإمام أبو القسم عبد الله
بن طاهر التميمي قرأت عليه أخبركم الفقيه الأديب أبو بكر محمد بن الحسن النيسابوري
والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن المحمدي والقاضي أبو علي الحسن بن علي
بن جعفر الوخشي قالوا حدثنا أبو القسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعي قال
أنبأنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال أنبأنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ
قال حدثنا سفين بن وكيع حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي إملاء من كتابه
قال حدثني رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها
يكنى أبا عبد الله عن ابن لأبي هالة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال
سألت خالي هند بن أبي هالة قال القاضي أبو علي رحمه الله وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن
الحسن بن أحمد بن خذاداذ الكرجي الباقلاني قال وأجاز لنا الشيخ الأجل أبو الفضل
أحمد بن الحسين ابن خيرون قالا أنبأنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد
بن شاذان ابن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه فأقر به قال حدثنا أبو محمد الحسن
ابن محمد بن يحيى بن الحسن ابن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
المعروف بابن أخي طاهر العلوي قال حدثنا إسمعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد
بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أخيه
موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي
واللفظ لهذا السند سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
وصافا وأنا أرجو أن يصف لي منها شيئا أتعلق به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

فخما مفخما يتلالا وجهه تلالو القمر ليلة البدر أطول من المربوع وأقصر من المشذب
عظيم الهامة رجل الشعر إن انفرقت عقيقته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة
أذنيه إذا هو وفره أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ من غير قرن
بينهما عرق يدره الغضب أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم كث
اللحية أدعج سهل الخدين ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان دقيق المسربة كأن عنقه
جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر مسيح
الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة
بشعر يجري كالخط عاري الثديين مما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي
الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف
أو قال شائل الأطراف وسائر الأطراف سبط العصب خمصان الأخمصين مسيح
القدمين ينبو عنهما الماء إذا زال زال تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع
المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب وإذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره
إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه
بالسلام **قلت** صف لي منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان
دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام
ويختتمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي
ولا المهين يعظم النعمة وإن دقت لا يذم منها شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا
يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشي حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها
إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه
اليمنى راحة اليسرى وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه
جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي زمانا
ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه فسأل أباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين سألت أبي عليه السلام
عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك
فكان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلثة أجزاء جزءا لله تعالى وجزءا لأهله وجزءا لنفسه

ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان
من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو
الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة
من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب وأبلغوني
حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها
ثبت الله قدميه يوم القيمة لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره قال في حديث
سفين بن وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون إلا عن ذواق ويخرجون أدلة يعني فقهاء
قلت فأخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن
لسانه إلا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس
ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره وخلقه ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في
الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الأمر غير مختلف لا يغفل
مخافة أن يغفلوا أو يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه إلى غيره الذين يلونه
من الناس خيارهم وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة
وموازرة فسألته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها وإذا انتهى إلى القوم جلس
حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن
أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله
حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا
وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الأخرى صاروا عنده
في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه
الحرم ولا تثنى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين
يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسألته
عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر
سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا مداح يتغافل عما
لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلث الرياء والإكثار وما لا يعنيه وترك الناس

من ثلث كان لا يذم أحدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه إذا تكلم
أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم
عنده أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث أولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه
ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرفدوه ولا
يطلب الثناء إلا من مكافئ ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام
هنا انتهى حديث سفين بن وكيع وزاد الآخر قلت كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم قال
كان سكوته على أربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر فأما تقديره ففي تسوية النظر
والاستماع بين الناس وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر
فكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له في الحذر أربع أخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح
لينتهى عنه واجتهاده الرأي بما أصلح أمته والقيام لهم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة انتهى
الوصف بحمد الله وعونه **فصل** في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب أي البائن
الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الآخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذي
كأنه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الرأس أراد إن انفرقت
من ذات نفسها فرقها وإلا تركها معقوصة ويروى عقيصته وأزهر اللون نيره وقيل
أزهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا أي زينتها وهذا كما قال في الحديث الآخر ليس
بالأبيض الأمهق ولا بالآدم والأمهق هو الناصع البياض والآدم الأسمر اللون ومثله
في الحديث الآخر أبيض مشرب أي فيه حمرة والحاجب الأزج المقوس الطويل الوافر الشعر
والأقنى السائل الأنف المرتفع وسطه والأشم الطويل قصبة الأنف والقرن اتصال
شعر الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث أم معبد وصفه بالقرن والأدعج الشديد
سواد الحدقة وفي الحديث الآخر أشكل العين وأسجر العين وهو الذي في بياضها حمرة
والضليع الواسع والشنب رونق الأسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما
يوجد في أسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذي
بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا
مثل قوله في الحديث الآخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم أي ليس بمسترخي اللحم والمكلثم
القصير الذقن وسواء البطن والصدر أي مستويهما ومشيح الصدر إن صحت هذه اللفظة

فيكون من الأقبال وهو احد معاني أشاح اي انه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس
وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر اي ليس بمتقاعس الصدر
ولا مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية الأخرى
وحكاه بن دريد والكراديس روس العظام وهو مثل قوله في الحديث الآخر جليل المشاش
والكتد والمشاش روس المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما
والزندان عظما الذراعين وسائل الأطراف اي طويل الأصابع وذكر ابن الانباري انه
روي سائل الأطراف وقال سائن بالنون قال وهما بمعنى تبدل اللام من النون
ان صحت الرواية بها واما على الرواية الأخرى وسائر الأطراف فاشارة الى فخامة جوارحه
كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة اي واسعها وقيل كني به عن سعة العطاء
والجود خمصان الأخمصين اي متجافي أخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الأرض من وسط
القدم ومسيح القدمين اي املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفي حديث ابي هريرة خلاف
هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص وهذا يوافق معنى مسيح القدمين
وبه قالوا سمي المسيح عيسى بن مريم اي لم يكن له أخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضا
يخالف قوله شثن القدمين والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشي
وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو اي ان مشيه كان يرفع فيه
رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت
دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اي لسعة
فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغر الفم وأشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله
فيرد ذلك بالخاصة على العامة اي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه
للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء آخر بالعامة ويدخلون روادا اي
محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا ينصرفون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه
ان يكون على ظاهره اي في الغالب والأكثر والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد والموازرة المعاونة
وقوله لا يوطن الأماكن اي لا يتخذ للصلاة موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا
في غير هذا الحديث وصابره اي حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اي يذكرن
بسوء ولا تثنى فلتاته اي تتحدث بها اي لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت

ويرفدون يعينون والسحاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء الا من مكافئ
قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافئ على يد سبقت من
النبي صلى الله عليه وسلم له ويستفزه يستخفه وفي حديث آخر في وصفه منهوس العقب اي قليل
لحمها واهدب الاشفار اي طويل شعرها

الباب الثالث فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم

لا خلاف انه اكرم البشر وسيد ولد آدم وافضل الناس منزلة عند الله واعلاهم
درجة واقربهم زلفى واعلم ان الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا
منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا

الفصل الأول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد آدم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب

أخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه قال حدثنا ابو الحسن الفرغاني حدثتنا ام
القاسم بنت ابي بكر بن يعقوب عن ابيها حدثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى هو ابن اسمعيل
عن يحيى الحماني حدثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله اصحاب اليمين
واصحاب الشمال فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني من
خيرها ثلثا وذلك قوله واصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون السابقون
فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك
قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر
ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني من خيرها بيتا فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت الآية وعن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة
قال وآدم بين الروح والجسد وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني
كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن حديث انس انا
اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس انا اكرم الاولين والآخرين وعن عائشة
عنه عليه السلام اتاني جبريل فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد

ولم يزل يتقلب افضل من بني هاشم وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم لما خلق الله ادم اهبطني في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب ابرهيم ثم لم يزل ينقلني من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه في قوله

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
وانت لما ولدت اشرقت الارض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

وروي عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن عبد الله انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية اخرى وعرض علي امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود قيل السود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة فهم من السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن وفي الحديث الاخر عن ابي هريرة نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جيء بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر عنه صلى الله عليه وسلم اني فرط لكم واني شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي الان واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمرو

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر بعثت بين يدي الساعة ومن رواية ابن وهب انه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسال يا رب اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا عظيما لا ينبغي لاحد من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبات لك شفاعتك ولم اخبأها لنبي غيرك وفي حديث اخر رواه حذيفة بشرني يعني ربه اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تغلب واعطاني النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا وطيب لي ولامتي المغانم واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج وعن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة معنى هذا الحديث عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وساير معجزات الانبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة القران يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا اخر باب المعجزات وعن علي رضي الله عنه كل نبي اعطي سبعة نجباء من امته واعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانها لا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عبد الله وخاتم النبيين وادم لمنجدل في طينته وعدة ابي ابرهيم وبشارة عيسى بن مريم وعن ابن عباس قال ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السماء وعلى الانبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على اهل السماء قال ان الله سبحانه قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه الاية وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا الاية

قالوا فما فضله على الأنبياء قال إن الله تعالى قال وما ارسلنا من رسول إلا بلسان قومه الآية وقال لمحمد وما ارسلناك إلا كافة للناس وعن خالد بن معدان أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن أبي ذر وشداد بن أوس وأنس بن مالك فقال نعم أنا دعوة أبي إبرهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء له قصور بصرى من أرض الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا إذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث آخر ثلثة رجال بطشت من ذهب مملوءة ثلجا فأخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري إلى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه وقال في حديث آخر ثم تناول أحدهما شيئا فإذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ إيمانا وحكمة ثم أعاده مكانه وأمر الآخر يده على مفرق صدري فالتأم وفي رواية أن جبريل عليه السلام قال قلب وكيع أي شديد فيه عينان تبصران وأذنان سميعتان ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنها قال في الحديث الآخر ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما أكرمك على الله إن الله معك وملائكته قال في حديث أبي ذر فما هو إلا أن وليا عني فكأنما أرى الأمر معاينة وحكى أبو محمد مكي وأبو الليث السمرقندي وغيرهما أن آدم عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال له الله من أين عرفت محمدا قال رأيت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وفي رواية الأخرى فقال آدم لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله

فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فأوحى الله إليه وعزتي وجلالي إنه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان آدم يكنى بأبي محمد وقيل بأبي البشر وروي عن سريج بن يونس أنه قال إن لله ملائكة سياحين عبادتها كل دار فيها أحمد أو محمد إكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن أبي الحمراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري بي إلى السماء إذا على العرش مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن أيقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس رضي الله عنهما على باب الجنة مكتوب إني أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها وذكر أنه وجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي مصلح وسيد أمين وذكر السمنطاري أنه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على أحد جنبيه مكتوب لا إله إلا الله وعلى جنبه الآخر محمد رسول الله وذكر الأخباريون أن ببلاد الهند وردا أحمر مكتوب عليه بالأبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله وروي عن جعفر بن محمد عن أبيه إذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت أهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد إلا نما ورزقوا وعنه صلى الله عليه وسلم ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلثة وعن عبد الله بن مسعود أن الله تعالى نظر إلى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه وبعثه برسالته وحكى النقاش أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا الآية فقام خطيبا فقال يا معشر أهل الإيمان إن الله سبحانه فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث

فصل

في تفضيله بما تضمنته كرامة الإسراء من المناجاة والرؤية وإمامة الأنبياء والعروج به إلى سدرة المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم قصة الإسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الأخبار قال الله تعالى سبحان الذي

وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله تعالى لقد رأى من ايات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسرا به عليه السلام اذ هو نص القران وجاءت بتفصيله وشرح عجايبه وخواص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيه احاديث كثيرة منتشرة رأينا ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بكر بسماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا حدثنا ابو العباس العذري حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا شيبان ابن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبيا ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السما فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا بادم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السما الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا الباب فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السما الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهرون عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السما السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السما السابعة فذكر مثله فاذا انا بابرهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله في كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلوة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال لي ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلوة

قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرايل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلوة عشر فتلك خمسون صلوة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي رضي الله عنه جود ثابت رحمه الله هذا الحديث عن انس ما شاء ولم يات احد عنه باصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك بن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجيء الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسرا ولا خلاف انها كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا مجيء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة من حديث الاسرا كما رواه الناس فجود في القصتين وفي الاسرا الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج به من هنالك فازاح كل اشكال اوهمه غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب عن انس قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلي حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بنا الى السماء فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتاخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبيا في السموات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود وقد وقعت في حديث الاسرا زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا ادم وابرهيم قالا له والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام

وعن أنس رضي الله عنه ثم انطلق بي حتى أتيت سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي
قال ثم أدخلت الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما
يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي وفي حديث
أبي هريرة رضي الله عنه وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فحانت الصلاة فأممتهم فقال قائل
يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام وفي حديث أبي هريرة ثم سار
حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه إلى الصخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا
يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد أرسل إليه قال نعم
قالوا حياه الله من أخ وخليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ثم لقوا أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم
وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابرهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي
صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه فقال كلكم أثنى على ربه وأنا أثني
على ربي الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل علي القرآن
فيه تبيان كل شيء وجعل أمتي خير أمة وجعل أمتي أمة وسطا وجعل أمتي هم الأولون
وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا
وخاتما فقال ابراهيم عليه السلام بهذا فضلكم محمد ثم ذكر أنه عرج به إلى السماء الدنيا
ومن سماء إلى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود انتهي بي إلى سدرة المنتهى وهي في السماء
السادسة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض
منها قال تعالى إذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية أبي هريرة
من طريق الربيع بن أنس فقيل هذه السدرة المنتهى ينتهي إليها كل أحد من أمتك خلا على سبيلك
وهي السدرة المنتهى يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار
من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما
وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله تعالى إذ يغشى
السدرة ما يغشى فقال تبارك وتعالى له سل فقال إنك اتخذت ابرهيم خليلا وأعطيته
ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما وأعطيت داود ملكا عظيما وألنت له الحديد وسخرت
له الجبال وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الإنس والجن والشياطين والرياح
وأعطيته ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص

وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى قد
اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وأرسلتك إلى الناس كافة
وجعلت أمتك هم الأولون وهم الآخرون وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة
حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا
وأعطيتك سبعا من المثاني ولم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة
من كنز تحت عرشي لم أعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية الأخرى
قال فأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا أعطي الصلوات الخمس وأعطي خواتيم
سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من أمته المقحمات وقال ما كذب الفؤاد
ما رأى الآيتين رأى جبريل في صورته له ست مائة جناح وفي حديث شريك أنه
رأى موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا
الله فقال موسى لم أظن أن يرفع علي أحد وقد روي عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم
صلى بالأنبياء ببيت المقدس وعن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا قاعد
ذات يوم إذ دخل جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقمت إلى شجرة فيها مثل وكري الطائر
فقعد في واحدة وقعدت في الأخرى فنمت حتى سدت الخافقين ولو شئت لمسست
السماء وأنا أقلب طرفي ونظرت جبريل كأنه حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله علي
وفتح لي باب السماء ورأيت النور الأعظم وإذا دوني الحجاب ورجرجة الدر والياقوت
ثم أوحي إلي ما شاء أن يوحى إلي وذكر البزار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
لما أراد الله تعالى أن يعلم رسوله الأذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب
يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد أكرم على الله
من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى أتى بها إلى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو
كذلك إذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من
هذا فقال والذي بعثك بالحق نبيا إني لأقرب الخلق مكانا وإن هذا الملك ما رأيته
منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل له من وراء الحجاب
صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر ثم قال الملك أشهد أن لا إله إلا الله فقيل من وراء
الحجاب صدق عبدي أنا لا إله إلا أنا وذكر مثل هذا في بقية الأذان إلا أنه لم يذكر جوابا

عن قولهم حي على الصلوة حي على الفلاح وقال ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم
فقدمه فأم أهل السماء فيهم آدم ونوح قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه
أكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على أهل السموات والأرض قال القاضي رضي الله عنه
ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري
جل اسمه منزه عما يحجبه إذ الحجب إنما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على أبصار
خلقه وبصائرهم وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله تعالى كلا إنهم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب وإذا خرج ملك من الحجاب
يجب أن يقال إنه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه
وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملك الذي
خرج من ورائه إن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل على أن هذا الحجاب لم
يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال إليها ينتهي علم
الملائكة وعندها يجدون أمر الله لا يجاوزها علمهم وأما قوله الذي يلي الرحمن
فيحمل على حذف المضاف أي يلي عرش الرحمن أو أمرا ما من عظيم آياته أو مبادي حقائق
معارفه مما هو أعلم به كما قال تعالى واسأل القرية أي أهلها وقوله فقيل
من وراء الحجاب صدق أنا أكبر فظاهره أنه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء
حجاب كما قال الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أي
وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته فإن صح القول بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه
فيحتمل أنه في غير هذا الموطن بعد هذا أو قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه والله أعلم

فصل ثم اختلف السلف والعلماء هل كان الإسراء بروحه أو بجسده على ثلاث
مقالات فذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح وأنه رؤيا منام مع اتفاقهم أن
رؤيا الأنبياء حق ووحي وإلى هذا ذهب معاوية وحكي عن الحسن والمشهور عنه
خلافه وإليه أشار محمد بن إسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك
وما حكوا عن عائشة ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا أنا نائم
وقول أنس وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في آخرها فاستيقظت
وأنا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة

وهذا هو الحق وهذا قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبي هريرة ومالك
بن صعصعة وأبي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة
وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وإبراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة
وابن جريج وهو دليل قول عائشة وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة
من المسلمين وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين
وقالت طائفة كان الإسراء بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح
واحتجوا بقوله سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى
فجعل إلى المسجد الأقصى غاية الإسراء الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف
النبي صلى الله عليه وسلم به وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه قال هؤلاء ولو كان الإسراء
بجسده إلى زائد على المسجد الأقصى لذكره فيكون أبلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان
هل صلى ببيت المقدس أم لا ففي حديث أنس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وأنكر ذلك
حذيفة بن اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي رضي الله عنه
والحق من هذا والصحيح إن شاء الله أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل
الآية وصحيح الأخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة
وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة إذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده
وقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده
الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به إذ مثل هذا من المنامات
لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته إلى ما ذكر
في الحديث من ذكر صلاته بالأنبياء ببيت المقدس في رواية أنس أو في السماء على ما روى غيره
وذكر مجيء جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول محمد
ولقائه الأنبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشأنه في فرض الصلوة ومراجعته مع
موسى في ذلك وفي بعض هذه الأخبار فأخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي إلى السماء إلى قوله
ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام وأنه وصل إلى سدرة المنتهى وأنه
دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره قال ابن عباس هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم
لا رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا أنا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه فجلست فلم أر شيئا

فعدت لمضجعي وذكر ذلك ثلثا فقال في الثالثة فأخذ بعضدي فخرج بي إلى باب المسجد فإذا
بدابة وذكر خبر البراق وعن أم هانئ ما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي
تلك الليلة صلى العشاء الآخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما صلى الصبح وصلينا قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي
ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون وهذا بين في أنه بجسمه
وعن أبي بكر رضي الله عنه من رواية شداد بن أوس عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة
أسري به طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك فلم أجدك فأجابه أن جبريل حمله إلى
المسجد الأقصى وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة
أسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فإذا بملك قائم معه آنية ثلث وذكر الحديث
وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن أبي ذر عنه صلى الله عليه وسلم
فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم إلى آخر القصة
ثم أخذ بيدي فعرج بي وعن أنس قال أتيت فانطلقوا بي إلى زمزم فشرح عن صدري وعن أبي
هريرة لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء لم أثبتها فكربت كربا
ما كربت مثله قط فرفعه الله لي أنظر إليه ونحوه عن جابر وقد روى عمر رضي الله عنه
في حديث الإسراء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ثم رجعت إلى خديجة وما تحولت عن جانبها

فصل في إبطال حجة من قال إنها نوم احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك
فسماها رؤيا قلنا قوله سبحان الذي أسرى بعبده يرده لأنه لا يقال في النوم أسرى وقوله
إلا فتنة للناس يؤيد أنها رؤيا عين وإسراء شخص إذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به أحد لأن
كل أحد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في أقطار متباينة على أن المفسرين
قد اختلفوا في هذه الآية فذهب بعضهم إلى أنها نزلت في قضية الحديبية وما وقع في نفوس الناس
من ذلك وقيل غير هذا وأما قولهم إنه قد سماها في الحديث مناما وقوله في حديث آخر بين
النائم واليقظان وقوله أيضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه إذ قد يحتمل أن
أول وصول الملك إليه كان وهو نائم أو أول حمله والإسراء به وهو نائم وليس في الحديث
أنه كان نائما في القصة كلها إلا ما يدل عليه ثم استيقظت وأنا في المسجد الحرام فلعل قوله
استيقظت بمعنى أصبحت أو استيقظ من نوم آخر بعد وصوله بيته ويدل عليه أن مسراه

لم يكن

لم يكن بطول ليله وإنما كان في بعضه وقد يكون قوله استيقظت وأنا في المسجد الحرام لما
كان غمره من عجائب ما طالع من ملكوت السموات والأرض وخامر باطنه من مشاهدة الملأ الأعلى
وما رأى من آيات ربه الكبرى فلم يستفق ولم يرجع إلى حال البشرية إلا وهو بالمسجد الحرام
ووجه ثالث أن يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه أسري بجسده
وقلبه حاضر ورؤيا الأنبياء حق تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض أصحاب
الإشارات إلى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله ولا يصح هذا
أن يكون في وقت صلاته بالأنبياء ولعله كانت له في هذا الإسراء حالات ووجه رابع وهو
أن يعبر بالنوم ههنا عن هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد
عن همام بينا أنا نائم وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه بينا أنا في الحطيم وربما
قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الأخرى بين النائم واليقظان فيكون سمى هيئته
بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم إلى أن هذه الزيادات من النوم وذكر
شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث إنما هي من رواية شريك عن أنس فهي منكرة
من روايته إذ شق البطن في الأحاديث الصحيحة إنما كان في صغره صلى الله عليه وسلم
وقبل النبوة ولأنه قال في الحديث قبل أن يبعث والإسراء بإجماع كان بعد البعث فهذا
كله يوهن ما وقع في رواية أنس مع أن أنسا قد بين في غير طريق أنه إنما رواه عن غيره وأنه
لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله
عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان أبو ذر يحدث وأما قول عائشة ما فقد
جسده فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لأنها لم تكن حينئذ زوجه ولا في سن من يضبط
ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الإسراء متى كان فإن الإسراء كان في أول الإسلام
على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة في الهجرة بنت نحو
ثمانية أعوام وقد قيل كان الإسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والأشبه
أنه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فإذا لم تشاهد ذلك عائشة دل أنها
حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا
في حديث أم هانئ وغيره وأيضا فليس حديث عائشة بالثابت والأحاديث الأخر أثبت لسنا
نعني حديث أم هانئ وما ذكرت فيه خديجة وأيضا فقد روي في حديث عائشة ما فقدت

ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل
عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها ان يكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت
عندها منامًا لم تنكره فان قيل فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فقد
جعل ما رآه للقلب وهذا يدل على انه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس
قلنا يقابله قوله ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف الامر للبصر وقد قال
اهل التفسير في قوله ما كذب الفؤاد ما رأى لم يوهم القلب العين غير الحقيقة
بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه ما رأته عينه **فصل** واما رؤيته صلى الله
عليه وسلم لربه جل وعلا فاختلف السلف فيها فانكرته عائشة حدثنا ابو الحسين
سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه قال حدثني ابي وابو عبد الله بن عتاب
الفقيه قالا حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا ابو الفضل الصقلي حدثنا ثابت
بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا حدثنا عبد الله بن علي حدثنا محمود بن آدم
حدثنا وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق انه قال لعائشة يا ام المؤمنين
هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب
من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار الآية وذكر الحديث
وقال جماعة بقول عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة انه
انما رأى جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة
من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس انه رآه بعينه وروى عطاء عنه
رآه بقلبه وعن ابي العالية عنه رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحاق ان ابن عمر ارسل
الى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم والاشهر عنه انه رأى ربه بعينه
روي ذلك عنه من طرق وقال ان الله اختص موسى بالكلام وابراهيم بالخلة
ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالرؤية وحجته قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى افتمارونه
على ما يرى ولقد رآه نزلة اخرى قال الماوردي قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته
بين موسى ومحمد فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث
السمرقندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب
فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا قد رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته

الجبال

الجبال وقال ان الله سبحانه قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد
بقلبه وروى شريك عن ابي ذر في تفسير الآية قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى
السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رأيت
ربك قال رأيته بفؤادي ولم اره بعيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي وذكر كلمة قال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث
وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي
عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن اسحاق ان مروان سأل
ابا هريرة هل رأى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث
ابن عباس بعينه رآه رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل
رآه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالابصار وقال سعيد بن جبير لا اقول رآه
ولا لم يره وقد اختلف في تأويل هذه الآية عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود
فحكي عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل وحكى عبد الله
بن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال رآه وعن ابن عطاء في قوله تعالى الم نشرح لك
صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام وقال ابو الحسن
علي بن اسمعيل الاشعري رضي الله عنه وجماعة من اصحابه انه رأى الله ببصره وعيني رأسه
وقال كل آية اوتيها نبي من الانبياء عليهم السلام فقد اوتي مثلها نبينا محمد وخص
من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح
ولكنه جائز ان يكون قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه والحق الذي لا امتراء فيه ان
رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا
سؤال موسى عليه السلام لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل
لم يسأل الا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه الا
من علمه الله تعالى فقال الله سبحانه له لن تراني اي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب
له مثلا مما هو اقوى من بنية موسى واثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل
رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها
ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها

بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التأويلات في الآية واذ ليس يقتضي قول
من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية
وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل لا تدركه الابصار
لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقيل لا تدركه الابصار وانما تدركه المبصرون وكل هذه
التأويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الآية
وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست على العموم ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا
انما هو تأويل وايضا فليس فيه نص الامتناع وانما جاءت في حق موسى عليه السلام وحيث
تتطرق التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله تبت اليك اي
من سؤالي ما لم تقدره لي وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله تعالى لن تراني اي ليس لبشر ان يطيق
ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات وقد رأيت بعض السلف والمتأخرين ما معناه ان
رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة غرضا للآفات
والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الآخرة وركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة
باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رأيت نحو هذا لمالك بن انس
رحمه الله قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الآخرة ورزقوا ابصارا
باقية رئي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف
القدرة فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم يمتنع في حقه
وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ ادراكهما بقوة الهية منحاها
لادراك ما ادركاه ورؤية ما رأياه والله اعلم وقد ذكر القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته
عن الآيتين ما معناه ان موسى عليه السلام رأى الله فلذلك خر صعقا وان الجبل رأى ربه
فصار دكا بادراك خلقه الله سبحانه له واستنبط ذلك والله اعلم من قوله ولكن انظر
الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا
وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا القول وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى
ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله هذا يدل على ان موسى رآه وقد وقع لبعض
المفسرين في الجبل انه رآه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا صلى الله عليه وسلم
اذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز اذ ليس في الآيات نص بالمنع واما وجوبه لنبينا

والقول بانه رآه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع فيهما مأثور
والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس
خبر عن اعتقاده لم يسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث
ابي ذر في تفسير الآية وحديث معاذ محتمل للتأويل وهو مضطرب الاسناد والمتن وحديث
ابي ذر الآخر محتمل مشكل فروي نور انى اراه وحكى بعض شيوخنا انه روي
نور اني اراه وفي حديثه الآخر سألته فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد
منهما على صحة الرؤية فان كان الصحيح رأيت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله وانما رأى نورا
منعه وحجبه عن رؤية الله والى هذا يرجع قوله نور انى اراه اي كيف اراه مع حجاب
النور المغشي للبصر وهذا مثل ما في الحديث الآخر حجابه النور وفي الحديث الآخر لم اره بعيني
ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلا ثم دنا فتدلى والله قادر على خلق الادراك الذي في البصر في
القلب او كيف شاء لا اله غيره فان ورد حديث نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير اليه
اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله الموفق تعالى **فصل** واما ما ورد في هذه
القصة من مناجاته لله وكلامه معه بقوله فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث
فاكثر المفسرين على ان الموحي الله عز وجل الى جبريل وجبريل الى محمد الا شذوذا منهم فذكر عن جعفر
بن محمد الصادق قال اوحى اليه بغير واسطة ونحوه عن الواسطي والى هذا ذهب بعض المتكلمين
ان محمدا كلم ربه في الاسراء وحكي عن الاشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وانكره آخرون
وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الاسراء عنه صلى الله عليه وسلم في قوله ثم دنا فتدلى قال فارقني
جبريل فانقطعت الاصوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن
وفي حديث انس في الاسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من وراء حجاب كتكليم موسى او بارسال الملائكة كحال جميع الانبياء واكثر احوال
نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا لم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع المشاهدة
وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي صلى الله عليه وسلم دون واسطة وقد ذكر ابو بكر
البزار عن علي في حديث الاسراء ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الآية فذكر
فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال
في سائر كلمات الأذان مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع

مايشبهه وفي أول فصل من الباب منه وكلام الله سبحانه لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن اختصه من أنبيائه
جائز غير ممتنع عقلاً ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فإن صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه
تعالى لموسى عليه السلام كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب وأكده بالمصدر دلالة على
الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمداً فوق هذا
كله حتى بلغ مستوى سمع فيه صريف الأقلام فكيف يستحيل في حق هذا أو يبعد سماع الكلام
فسبحان من خص من شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات **فصل** وأما ما ورد في حديث
الإسرا وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى
فأكثر المفسرين أن الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام أو مختص بأحدهما
من الآخر أو من سدرة المنتهى **قال** الرازي وقال ابن عباس هو محمد دنا فتدلى من ربه وقيل
معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد أي قرب وحكى مكي والماوردي
عن ابن عباس هو الرب دنا من محمد فتدلى إليه أي أمره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال
دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فأراه ما شاء أن يريه من قدرته وعظمته
قال وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الأصوات وسمعت
كلام ربي وعن أنس رضي الله عنه في الصحيح عرج بي جبريل إلى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب
العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى إليه بما شاء وأوحى إليه خمسين صلاة
وذكر حديث الإسرا **وعن** محمد بن كعب هو محمد دنا من ربه فكان قاب قوسين وقال
جعفر بن محمد أدناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين **وقال** جعفر بن محمد والدنو من الله
لا حد له ومن العباد بالحدود وقال أيضاً انقطعت الكيفية عن الدنو ألا ترى كيف
حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان فتدلى بسكون قلبه
إلى ما أدناه وزال عن قلبه الشك والارتياب **قال** القاضي أبو الفضل رحمه الله اعلم أن ما وقع
من إضافة الدنو والقرب هنا من الله أو إلى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى كما ذكرنا عن
جعفر الصادق ليس بدنو حد وإنما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه إبانة عظيم
منزلته وتشريف رتبته وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته
ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس وبسط وإكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله ينزل ربنا

إلى سماء الدنيا على أحد الوجوه نزول إفضال وإجمال وقبول وإحسان **قال** الواسطي
من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعداً يعني عن درك
حقيقته إذ لا دنو للحق ولا بعد **وقوله** تعالى قاب قوسين أو أدنى فمن جعل الضمير
عائداً إلى الله لا إلى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وإيضاح المعرفة
والإشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن إجابة الرغبة وقضاء المطالب
وإظهار التحفي وإنافة المنزلة والمرتبة من الله له ويتأول فيه ما يتأول في قوله من تقرب
مني شبراً تقربت منه ذراعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة قرب بالإجابة والقبول وإتيان
بالإحسان وتعجيل المأمول **فصل** في ذكر تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة
حدثنا القاضي أبو علي حدثنا أبو الفضل وأبو الحسين بن يزيد الكوفي حدثنا عبد السلم
بن حرب عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس رضي الله عنه **قال** قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم
إذا أيسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر
عن الربيع بن أنس في لفظ هذا الحديث أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا قائدهم
إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا شفيعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا
أبلسوا لواء الكرم بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربه ولا فخر ويطوف علي ألف خادم
كأنهم لؤلؤ مكنون **وعن** أبي هريرة وأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش
ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري **وعن** أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنا سيد ولد آدم يوم القيمة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه
إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق الأرض عنه ولا فخر **وعن** أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم
أنا سيد ولد آدم يوم القيمة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع **وعن**
ابن عباس أنا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا
أول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين
والآخرين **وعن** أنس أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الناس تبعاً وعن أبي هريرة رضي الله عنه
قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا سيد الناس يوم القيمة وتدرون لم ذلك يجمع الله الأولين
والآخرين وذكر حديث الشفاعة وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال أطمع أن أكون

اعظم الانبياء اجرا يوم القيمة وفي حديث اخر اما ترضون ان يكون ابرهيم وعيسى فيكم

يوم القيمة ثم قال انهما في امتي يوم القيمة اما ابرهيم فيقول انت دعوتي وذريتي

فاجعلني من امتك واما عيسى فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى اخي

ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به **قوله** انا سيد الناس يوم القيمة هو سيدهم

في الدنيا ويوم القيمة ولكن اشار عليه السلام لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون

غيره اذ لجا الناس اليه في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجا الناس اليه في حوائجهم

فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر ولم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه احد

كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك له تعالى في الدنيا والاخرة لكن

في الاخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا وكذلك لجا الى محمد جميع الناس

في الشفاعة فكان سيدهم في الاخرى دون دعوى **وعن** انس رضي الله عنه قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم اتي باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول

محمد فيقول بك امرت ان لا افتح لاحد قبلك **وعن** عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سوا وماوه ابيض من الورق واللبن وريحه

اطيب من المسك كيزانه كنجوم السما من شرب منه لم يظما ابدا وعن ابي ذر نحوه وقال

طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله وقال احدهما

من ذهب والاخر من ورق وفي رواية حارثة ابن وهب كما بين المدينة وصنعا وقال

انس ايلة وصنعا وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود وروى حديث الحوض

ايضا انس وجابر وسمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة ابن وهب الخزاعي والمستورد

وابو برزة الاسلمي وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله

بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وابو سعيد الخدري وعبد الله الصنابحي

وابو هريرة والبرا وجندب وعايشة واسما بنت ابي بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم

فصل في تفضيله بالمحبة والخلة جاءت بذلك الاثار الصحيحة واختص صلى

الله عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله **اخبرنا** ابو القسم بن ابرهيم الخطيب وغيره

عن كريمة بنت احمد قالت حدثنا ابو الهيثم وحدثنا حسين ابن محمد الحافظ سماعا عليه

حدثنا القاضي ابو الوليد حدثنا عبد بن احمد حدثنا ابو الهيثم حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف

حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا ابو عامر حدثنا فليح حدثنا ابو النضر

عن بسر بن سعيد عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا

غير ربي لاتخذت ابا بكر وفي حديث اخر وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله

بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما قال جلس

ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج عليهم حتى اذا دنا

منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا

وقال اخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال اخر فعيسى كلمة الله وروحه

وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله

اتخذ ابرهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك

وادم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لوا الحمد يوم القيمة

ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيد

خلنيها ومعي فقرا المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وفي حديث ابي هريرة

من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة

انت حبيب الرحمن **وقال** القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اختلف في تفسير الخلة واصل

اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته اياه له وقيل

الخليل المختص واختار هذا القول غير واحد **وقال** بعضهم اصل الخلة الاستصفا

وسمي ابرهيم خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما

لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع ماخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي بها ابرهيم

لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل وهو

في المنجنيق ليرمى في النار فقال الك حاجة قال اما اليك فلا **وقال** ابو بكر بن فورك

الخلة صفا المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار **وقال** بعضهم اصل الخلة

المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك تعالى في كتابه

العزيز بقوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن ابنا الله واحباوه قل فلم يعذبكم

بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا يواخذ بذنوبه قال هذا والخلة اقوى من البنوة لان

البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم

ولا يصح ان يكون عداوة مع خلة فاذا تسمية ابرهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة اما بانقطاعهما
الى الله ووقف حوايجهما عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب عن الوسايط والاسباب او لزيادة
الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه عندهما وما خالل بواطنهما من الاسرار الالهية ومكنون
غيوبه ومعرفته او لاستصفائه لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم تخاللهما حب
لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم
لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام واختلف العلماء ارباب القلوب
ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلهما بعضهم سواء ولا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل
الا حبيبا لكنه خص ابرهيم بالخلة ومحمدا بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله
صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة عليه السلام لفاطمة وابنيها
واسامة وغيرهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا ارفع من درجة
الخليل واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق
وهي درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاعراض فمحبته تمكينه من سعادته وعصمته
وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه
بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به
وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والا
نقطاع الى الله والاعراض عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عايشة
رضي الله عنها كان خلقه القرآن برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله
قد تخللت مسلك الروح مني وبه سمي الخليل خليلا ¤ فاذا ما نطقت كنت حديثي واذا ما سكت كنت الغليلا
فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم بما دلت عليه الآثار
الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله الآية حكى اهل التفسير ان هذه الآية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد
ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله سبحانه غيظا ورغما على مقالتهم
هذه الآية قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم
على التولي عنه بقوله فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر ابن فورك عن بعض
المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة اشاراته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة

لتخرق اليه كرمه طرفا يتعدى الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك
نري ابرهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل لحبيبه به من قولهم فكان قاب قوسين او ادنى
وقيل الخليل الذي يكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم
الدين والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك الآية
والخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدا بالبشارة قبل السوال
والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان
صدق في الآخرين والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطي بلا سوال والخليل قال واجنبني وبني
ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وفيما ذكرناه
تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل على شاكلته
فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا

فصل في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود

قال الله تعالى
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اخبرنا الشيخ ابو علي الغساني الجياني فيما كتب به الي
بخطه حدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد وابو احمد
قالا حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن اسمعيل قال حدثنا اسمعيل بن ابان حدثنا
ابو الاحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيمة جثا
كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم
فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن ابي هريرة سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعني قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال هي الشفاعة وروى كعب
بن مالك عنه صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي على تل ويكسوني ربي
حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر
وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى ياخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام
المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم انه قيامه عن يمين العرش
مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والآخرون ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية
هو المقام الذي اشفع لامتي فيه وعن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لقايم
المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى الحديث وعن ابي موسى
عنه صلى الله عليه وسلم خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفا

لانا اعلم اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة قال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ام حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أُريتُ ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسالت الله ان يوتيني شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل وقال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادي محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهتدي من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكر الله سبحانه وقال ابن عباس اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة فيبقى اخر زمرة من الجنة واخر زمرة من النار فيقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسالون ادم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى ياتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله فيه قال نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به يعني من النار وذكر حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين وعن انس نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي وعده وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال صلى الله عليه وسلم يجمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فياتون ادم فيقولون زاد بعضهم انت ادم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملايكته وعلمك اسماء كل شي اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فياتون نوحا فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع

الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية انس ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابرهيم فانه خليل الله فياتون ابرهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله وفي رواية عبد الله اتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا فياتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي اصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فياتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فاوتى فاقول انا لها فانطلق فاستاذن على ربي فيؤذن لي فاذا رايته وقعت ساجدا وفي رواية فاتي تحت العرش فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد لا اقدر عليها الا ان يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيا لم يفتحه على احد قبلي قال في رواية ابي هريرة فيقال يا محمد ارفع راسك وسل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر في رواية هذا الفصل وقال مكانه ثم اخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع راسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة عنه قال فلا ادري في الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القران اي وجب عليه الخلود وعن ابي بكر وعقبة ابن عامر وابي سعيد وحذيفة

قال فيأتون محمدًا فيؤذن له وتأتي الامانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط ودا
في رواية ابي مالك عن حذيفة فيأتون محمدًا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم
كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم
سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جوازًا الحديث وفي رواية ابي هريرة فأكون
اول من يجيز وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم يوضع للانبياء منابر يجلسون عليها
ويبقى منبري لا اجلس عليه قائمًا بين يدي ربي منتصبًا فيقول الله تبارك وتعالى ما
تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل
الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال
قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة
ومن طريق زياد النميري عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنشق الارض
عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيمة وانا اول
من تفتح له الجنة ولا فخر فآتي فآخذ بحلقة الجنة فيقول من هذا فاقول محمد فيفتح لي
فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له ساجدًا وذكر نحو ما تقدم ومن رواية انس سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيمة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع
من اختلاف الفاظ هذه الآثار ان شفاعته صلى الله عليه وسلم ومقامه المحمود من اول
الشفاعات الى آخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق
والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع
الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة وهذا الحديث ثم يشفع فيمن
وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسبما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال
لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة
يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة قال اهل العلم معناه دعوة اعلم
انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى
الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة
دعوة فيما شاؤه يدعون بها على يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة
في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في امته فاستجيب له وانا اريد ان اؤخر دعوتي شفاعة

لامتي يوم القيمة وفي رواية ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه
في رواية ابي زرعة عن ابي هريرة وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة فتكون هذه الدعوة
المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه سأل
لامته اشياء من امور الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة
ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤال والرغبة جزاه الله احسن ما جزى نبيًا عن امته
وصلى الله عليه وسلم كثيرًا

فصل في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر
والفضيلة حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد
بقراءتي عليه قالا حدثنا ابو علي الغساني حدثنا النمري حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر
التمار حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن سلمة حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد
بن ابي ايوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاصي انه سمع
النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى
علي صلى الله عليه عشرًا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد
من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفي حديث آخر
عن ابي هريرة الوسيلة اعلى درجة في الجنة وعن انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر
الذي اعطاك الله قال ثم ضرب بيده الى طينته فاستخرج مسكا وعن عائشة رضي الله عنها
وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج
وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه امتي وذكر حديث الحوض
ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضًا قال الكوثر الخير الذي اعطاه الله اياه وقال
سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله وعن حذيفة فيما ذكر
عليه السلام عن ربه واعطاني الكوثر نهرًا في الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس في قوله
تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه
ما يصلحهن وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له من الازواج والخدم

فصل فان
قلت اذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الاثر واجماع الامة كونه اكرم البشر وافضل
الانبياء فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل كقوله فيما حدثناه الاسدي

قال حدثنا السمرقندي حدثنا الفارسي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم
حدثنا ابن مثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة سمعت ابا العالية يقول
حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي
لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق عن أبي هريرة قال يعني رسول
الله ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث أبي هريرة في اليهودي الذي قال والذي اصطفى
موسى على البشر فلطمه رجل من الأنصار وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم
بين أظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم **فقال** لا تفضلوا بين الأنبياء وفي رواية
لا تخيروني على موسى وذكر الحديث وفيه ولا أقول إن أحدا أفضل من يونس بن متى
وعن أبي هريرة ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب **وعن** ابن مسعود لا يقولن
أحدكم أنا خير من يونس بن متى وفي حديثه الآخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك
إبرهيم **فاعلم** أن للعلماء في هذه الأحاديث تأويلات **أحدها** أن نهيه عن
التفضيل كان قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل إذ يحتاج إلى توقيف وأن
من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا أقول إن أحدا أفضل منه لا يقتضي تفضيله
هو وإنما هو في الظاهر كف عن التفضيل **الوجه** الثاني أنه قال صلى الله عليه وسلم على طريق
التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض **الوجه** الثالث أنه لا
يفضل بينهم تفضيلا يؤدي إلى تنقص بعضهم أو الغض منه لا سيما في جهة يونس
عليه السلام إذ أخبر الله عنه بما أخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة
وانحطاط من رتبته الرفيعة إذ قال تعالى عنه إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر
عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته بذلك **الوجه** الرابع منع التفضيل في حق
النبوة والرسالة فإن الأنبياء فيها على حد واحد إذ هي شيء واحد لا يتفاضل وإنما
التفاضل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والرتب والألطاف وأما النبوة
في نفسها فلا تتفاضل وإنما التفاضل بأمور أخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل
ومنهم أولو عزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومن أوتي الحكم صبيا وأوتي
بعضهم الزبر وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية

قال

قال بعض أهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة أحوال أن تكون
آياته ومعجزاته أبهر وأشهر أو يكون أمته أزكى وأكثر أو يكون في ذاته أفضل وأظهر
وفضله في ذاته راجع إلى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام أو خلة أو رؤية
أو ما شاء الله من ألطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال إن للنبوة أثقالا وإن يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع
الفتنة من أوهام من يسبق إليه بسببها جرح في نبوته أو قدح في اصطفائه وحط من رتبته
ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على أمته وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه
خامس وهو أن يكون أنا راجعا إلى القائل نفسه أي لا يظن أحد وإن بلغ من الزكاء
والعصمة والطهارة ما بلغ أنه خير من يونس لأجل ما حكى الله عنه فإن درجة النبوة
أفضل وأعلى وأن تلك الأقدار لم تحطه عنها حبة خردل ولا أدنى وسنزيد في القسم
الثالث في هذا بيانا إن شاء الله فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض

فصل في أسمائه صلى الله عليه وسلم وما تضمنته من فضيلته حدثنا أبو عمران موسى
ابن أبي تليد الفقيه قال حدثنا أبو عمر الحافظ حدثنا ابن نصر حدثنا قاسم بن أصبغ
حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي
يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب وقد سماه الله في كتابه
محمدا وأحمد فمن خصائصه تعالى له أن ضمن أسماءه ثناءه وطوى أثناء ذكره عظيم شكره
فأما اسمه أحمد فأفعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد
فهو صلى الله عليه وسلم أجل من حمد وأفضل من حمد وأكثر الناس حمدا فهو أحمد المحمودين
وأحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويشتهر في تلك العرصات
بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الأولون والآخرون
بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال صلى الله عليه وسلم ما لم يعط غيره وسمى
أمته في كتب أنبيائه بالحمادين فحقيق أن يسمى محمدا وأحمد ثم في هذين الاسمين من عجائب
خصائصه وبدائع آياته فن آخر وهو أن الله تعالى حمى أن يسمى بهما أحد
قبل زمانه أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء فمنع الله سبحانه بحكمته

أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك. وكذلك محمد أيضا لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده أن نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو والله أعلم حيث يجعل رسالاته وهم محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسي ومحمد بن مسلمة الأنصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم ويقال أول من سمي محمدا ابن سفيان واليمن تقول بل محمد بن اليحمد من الأزد ثم حمى الله كل من تسمى به أن يدعي النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه سبب يشكك أحدا في أمره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما **وأما** قوله أنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو الكفر إما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الأرض ووعد أنه يبلغه ملك أمته أو يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما **قال** تعالى ليظهره على الدين كله وقد ورد تفسيره في الحديث أنه الذي محيت به سيئات من اتبعه **وقوله** أنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي أي على زماني وعهدي أي ليس بعدي نبي كما **قال** وخاتم النبيين وسمي عاقبا لأنه عقب غيره من الأنبياء وقيل معنى على قدمي أي يحشر الناس بمشاهدتي كما **قال** تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ومعنى قوله لي خمسة أسماء قيل إنها موجودة في الكتب المتقدمة وعند أولي العلم من الأمم السالفة والله أعلم **وقد روي** عنه صلى الله عليه وسلم لي عشرة أسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه أنه يا طاهر يا هادي وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره لي عشرة أسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الأول **قال** وأنا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وأنا المقفى قفيت النبيين وأنا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم أروه وأرى أن صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو أشبه بالتفسير وقد وقع أيضا في كتب الأنبياء **قال** داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه **وروى** النقاش عنه صلى الله عليه وسلم في القرآن سبعة أسماء محمد وأحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث أبي موسى الأشعري أنه كان صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه أسماء فيقول أنا محمد وأحمد والمقفى والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى المرحمة والرحمة وكل صحيح إن شاء الله

وقيل المتبع للنبيين

ومعنى المقفى معنى العاقب **وأما** نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد **قال** الله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وكما وصفه بأنه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤوف رحيم وقد **قال** في صفة أمته إنها أمة مرحومة **وقال** تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أي يرحم بعضهم بعضا فبعثه صلى الله عليه وسلم ربه تعالى رحمة لأمته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم وجعل أمته أمة مرحومة ووصفها بالرحمة وأمرها صلى الله عليه وسلم بالتراحم وأثنى عليه فقال إن الله يحب من عباده الرحماء **وقال** الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء **وأما** رواية نبي الملحمة فإشارة إلى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة مثل حديث أبي موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم **وروى** الحربي في حديثه صلى الله عليه وسلم أنه **قال** أتاني ملك فقال لي أنت قثم أي مجتمع **قال** والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو في أهل بيته عليه السلام معلوم وقد جاءت من ألقابه صلى الله عليه وسلم وسماته في القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرؤوف الرحيم والأمين وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي الأمي وداعي الله في أوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب أنبيائه وأحاديث رسوله وإطلاق الأمة جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وأبي القاسم والحبيب ورسول رب العالمين والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق والمصدوق والهادي وسيد ولد آدم وسيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين صلى الله عليه وسلم **ومن** أسمائه صلى الله عليه وسلم في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح الحق وهو معنى البارقليط في الإنجيل **وقال** ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل **ومن** أسمائه في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الأحبار **قال** ثعلب

الأول بالخاء المعجمة والثاني بالمهملة

فالخاتم الذي ختم الأنبياء، والخاتم أحسن الأنبياء خَلقًا وخُلقًا، ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا،
واسمه أيضًا في التوراة أحيد، روي ذلك عن ابن سيرين، ومعنى صاحب القضيب أي السيف،
وقع ذلك مفسرًا في الإنجيل، قال: معه قضيب من حديد يقاتل به، وأمته كذلك، وقد
يحمل على أنه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه صلى الله عليه وسلم، وهو الآن عند الخلفاء،
وأما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصا، وأراها والله أعلم العصا المذكورة
في حديث الحوض: أذود الناس عنه بعصاي لأهل اليمن، وأما التاج فالمراد به العمامة،
ولم تكن حينئذ إلا للعرب، والعمائم تيجان العرب، وأوصافه وألقابه وسماته في الكتب
كثيرة، وفيما ذكرناه منها مقنع إن شاء الله، وكانت كنيته المشهورة أبا القاسم، وروي
عن أنس أنه لما ولد له إبراهيم جاءه جبريل فقال له: السلام عليك يا أبا إبراهيم.

فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه من أسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى

قال القاضي أبو الفضل وفقه الله: ما أحرى هذا الفصل بفصول الباب الأول لانخراطه في سلك
مضمونها وامتزاجه بعذب معينها، لكن لم يشرح الله الصدر للهداية إلى استنباطه،
ولا أنار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه إلا عند الخوض في الفصل الذي قبله، فرأينا أن
نضيفه إليه ونجمع به شمله. فاعلم أن الله تبارك وتعالى خص كثيرًا من أنبيائه بكرامة
خلعها عليهم من أسمائه، كتسميته إسحاق وإسمعيل بعليم وحليم، وإبرهيم بحليم، ونوحًا بشكور،
وعيسى ويحيى ببر، وموسى بكريم وقوي، ويوسف بحفيظ عليم، وأيوب بصابر، وإسمعيل بصادق
الوعد، كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم، وفضل نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم
بأن حلاه منها في كتابه العزيز وعلى ألسنة أنبيائه بعدة كثيرة، اجتمع لنا منها جملة بعد
إعمال الفكر وإحضار الذكر، إذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين، ولا من تفرغ فيها لتأليف فصلين،
وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسمًا، ولعل الله كما ألهم إلى ما علم منها وحققه يتم
النعمة بإبانة ما لم يظهره لنا الآن، ويفتح غلقه. فمن أسمائه تعالى الحميد، ومعناه المحمود،
لأنه حمد نفسه وحمده عباده، ويكون أيضًا بمعنى الحامد لنفسه ولأعمال الطاعات،
وسمي النبي صلى الله عليه وسلم محمدًا وأحمد، فمحمد بمعنى محمود، وكذا وقع اسمه في زبور داود،
وأحمد بمعنى أكبر من حمد وأجل من حُمد، وقد أشار إلى نحو هذا حسان بقوله:

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

ومن أسمائه تعالى الرؤوف الرحيم، وهما بمعنى متقارب، وسماه في كتابه العزيز بذلك فقال:
بالمؤمنين رؤوف رحيم. ومن أسمائه تعالى الحق المبين، ومعنى الحق الموجود والمتحقق أمره،
وكذلك المبين أي البين أمره وإلاهيته، بان وأبان بمعنى، ويكون بمعنى المبين
لعباده أمر دينهم ومعادهم، وسمي النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه فقال: حتى
جاءهم الحق ورسول مبين، وقال: وقل إني أنا النذير المبين، وقال: قد جاءكم الحق
من ربكم، وقال: فقد كذبوا بالحق لما جاءهم، قيل محمد وقيل القرآن، ومعناه هنا ضد
الباطل، والمتحقق صدقه وأمره، وهو بمعنى الأول، والمبين البين أمره ورسالته، أو المبين
عن الله سبحانه ما بعثه به، كما قال تعالى: لتبين للناس ما نزل إليهم. ومن أسمائه
تعالى النور، ومعناه ذو النور أي خالقه، أو منور السموات والأرض بالأنوار، ومنور
قلوب المؤمنين بالهداية، وسماه نورًا فقال: قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، قيل محمد
وقيل القرآن، وقال فيه: وسراجًا منيرًا، وسمي بذلك لوضوح أمره وبيان نبوته
وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين. ومن أسمائه تعالى الشهيد، ومعناه العالم، وقيل الشاهد
على عباده يوم القيمة، وسماه شهيدًا وشاهدًا فقال تعالى: إنا أرسلناك شاهدًا،
وقال تعالى: ويكون الرسول عليكم شهيدًا، وهو بمعنى الأول. ومن أسمائه تعالى
الكريم، ومعناه الكثير الخير، وقيل المفضل، وقيل العفو، وقيل العلي، وفي الحديث المروي
في أسمائه تعالى الأكرم، وسماه تعالى كريمًا بقوله تعالى: إنه لقول رسول كريم، قيل محمد وقيل
جبريل، وقال صلى الله عليه وسلم: أنا أكرم ولد آدم، ومعاني الاسم صحيحة في حقه صلى الله
عليه وسلم. ومن أسمائه تعالى العظيم، ومعناه الجليل الشأن الذي كل شيء دونه، وقال
في النبي صلى الله عليه وسلم: وإنك لعلى خلق عظيم. ووقع في أول سفر من التوراة عن إسمعيل:
وسيلد عظيمًا لأمة عظيمة، فهو عظيم وعلى خلق عظيم. ومن أسمائه تعالى الجبار،
ومعناه المصلح، وقيل القاهر، وقيل العلي العظيم الشأن، وقيل المتكبر، وسمي النبي صلى
الله عليه وسلم في كتاب داود بجبار فقال: تقلد أيها الجبار سيفك، فإن ناموسك
وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك، ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم إما لإصلاحه
الأمة بالهداية والتعليم، أو لقهره أعداءه، أو لعلو منزلته على البشر وعظيم خطره،
ونفى تعالى عنه في القرآن جبرية التكبر التي لا تليق به فقال: وما أنت عليهم بجبار.

ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال
تعالى الرحمن فاسأل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء المأمور بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم
والمسؤول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبي والمسؤول الله فالنبي
خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه
وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه
الحاكم بين عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم
وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر لقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم
الفتح اي ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله
تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسراء الطويل من رواية الربيع بن انس
عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول
النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما
فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب الرحمة على امته والفاتح لبصائرهم
لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر للحق او المبتدئ بهداية الامة او المبدأ المقدم
في الانبياء والخاتم لهم كما قال صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث
ومن اسمائه تعالى في الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين
ووصف بذلك نبيه نوحا عليه السلام فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه فقال افلا اكون عبدا شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر
ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ومن
اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم
وخصه بمزية منه وقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال
تعالى ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول
والآخر ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه
انه ليس له اول ولا آخر وقال صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث
وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا
صلى الله عليه وسلم وقد اشار الى نحو من هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله نحن الآخرون

السابقون

السابقون وقوله انا اول من تنشق الارض عنه واول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع
وهو خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين
ومعناه القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك وقال ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل
محمد وقيل جبريل ومن اسمائه تعالى الصادق في الحديث المأثور وورد في الحديث
ايضا اسمه صلى الله عليه وسلم بالصادق المصدوق ومن اسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما
الناصر وقد قال تعالى انما وليكم الله ورسوله قال صلى الله عليه وسلم انا ولي كل مؤمن
وقد قال الله تعالى النبي اولى بالمؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه
ومن اسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه صلى الله عليه وسلم
في القرآن والتوراة وامره بالعفو فقال خذ العفو وقال تعالى فاعف عنهم واصفح وقال
له جبريل وقد ساله عن قوله تعالى خذ العفو فقال ان تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة
والانجيل في الحديث المشهور في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه
تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء
قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم واصل
الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى
الله عليه وسلم وقال تعالى له وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا الى الله
باذنه فالله تعالى مختص بالمعنى الاول قال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله
يهدي من يشاء وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المؤمن
المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن في حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق
قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده
في الدنيا من ظلمه والمؤمنين في الآخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه
فقلبت الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم في الدعاء آمين انه اسم من اسماء الله ومعناه
معنى المؤمن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن
ومؤمن وقد سماه الله تعالى امينا فقال مطاع ثم امين وكان صلى الله عليه وسلم يعرف بالامين وشهر به
قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا في قوله
ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق

قيل المراد بايها المهيمن قاله القتبي والامام ابو القسم القشيري وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن
للمؤمنين اي يصدق وقال انا امنة لاصحابي فهذا بمعنى المؤمن ومن اسمايه تعالى القدوس
ومعناه المنزه عن النقايص المطهر من سمات الحدث وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب
ومنه الوادي المقدس وروح القدس ووقع في كتب الانبياء في اسمايه صلى الله عليه وسلم المقدس
اي المطهر من الذنوب كما قال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
او الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال تعالى ويزكيهم وقال تعالى
ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف
الدنية ومن اسمايه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب او الذي لا نظير له او المعز لغيره
وقال تعالى ولله العزة ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه
بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال تعالى ان الله يبشرك
بيحيى وبكلمة منه وسماه تعالى مبشرا ونذيرا اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته
ومن اسمايه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من اسماء
محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم **فصل** قال القاضي ابو الفضل وفقه الله وها انا اذكر
نكتة اذيل بها هذا الفصل واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل
ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو
ان يعتقد ان الله جل اسمه في عظمته وكبريايه وملكوته وحسنى اسمايه وعلى صفاته
لا يشبه شيا من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق
فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق وكما ان ذاته
لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن
الاغراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمايه وكفى في هذا قوله تعالى
ليس كمثله شي ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات
غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله
بيانا وهو مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا
كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ وجلت الذات القديمة ان تكون لها صفة
حديثة كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة

والجماعة

والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر الامام ابو القسم القشيري رحمه الله قوله ليزيده بيانا
فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسايل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات
وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب انس او دفع نقص
حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه
الوجوه وقال اخر من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدث
مثلكم وقال الامام ابو المعالي الجويني من اطمان الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه
ومن اطمان الى النفي المحض فهو معطل وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته
فهو موحد وما احسن قول ذي النون المصري حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله سبحانه
في الاشيا بلا علاج وصنعه لها بلا امتزاج وعلة كل شي صنعه ولا علة لصنعه وما
تصور في وهمك فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخر تفسير لقوله
ليس كمثله شي والثاني تفسير لقوله تعالى لا يسال عما يفعل وهم يسالون لقوله تعالى
انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياكم على التوحيد والاثبات
والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته

الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصايص

والكرامات قال القاضي ابو الفضل حسب المتامل ان يحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه
لمنكر نبوة نبينا ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها
حتى لا يتوصل المطاعن اليها ونذكر شروط المعجز والتحدي وحده وفساد قول من
ابطل نسخ الشرايع ورده بل الفناه لاهل ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون
تاكيدا في محبتهم له ومنماة لاعمالهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت في
هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير اياته لتدل على عظيم قدره عند ربه واتينا منها
بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير
كتب الايمة واذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه
ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة
نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذي
وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم

المدينة جئته لأنظر إليه فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به
القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله قال حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون عن أبي يعلى
البغدادي عن أبي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب
الثقفي ومحمد بن جعفر وابن أبي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن زرارة بن
أبي أوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن أبي رمثة التيمي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي
ابن لي فأريته فلما رأيته قلت هذا نبي الله وروى مسلم وغيره أن ضمادا لما وفد عليه
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا
هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال له أعد علي
كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك أبايعك وقال جامع بن شداد كان
رجل منا يقال له طارق فأخبر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه
قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فأخذ بخطامه وسار إلى المدينة
فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت أنا ضامنة لثمن البعير رأيت
وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فأصبحنا فجاء رجل بتمر فقال أنا رسول رسول الله إليكم
يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندي ملك
عمان لما بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام قال الجلندي والله لقد
دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به ولا ينهى عن شيء إلا كان
أول تارك له وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود وأشهد
أنه نبي وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا
مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وإن لم يتل
قرآنا كما قال ابن رواحة: لو لم تكن فيه آيات مبينة ... لكان منظره ينبيك بالخبر
وقد آن أن نأخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة القرآن وما فيه من برهان ودلالة

فصل اعلم أن الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته وأسمائه
وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شاء كما حكي عن سنته في بعض الأنبياء
وذكره بعض أهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا وجائز أن
يوصل إليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه وتكون تلك الواسطة إما من غير البشر

كالملائكة مع الأنبياء أو من جنسهم كالأنبياء مع الأمم ولا مانع لهذا من دليل العقل وإذا جاز
هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما أتوا به
لأن المعجزة مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله تعالى صدق عبدي فأطيعوه واتبعوه وشاهد
على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن أراد تتبعه وجده
مستوفى في مصنفات أئمتنا رحمهم الله والنبوة في لغة من همز مأخوذة من النبأ وهو الخبر
وقد لا تهمز على هذا التأويل تسهيلا والمعنى أن الله تعالى أطلعه على غيبه وأعلمه أنه
نبيه فيكون نبي منبأ فعيل بمعنى مفعول أو يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما أطلعه
الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الأرض معناه
أن له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه مؤتلفان وأما
الرسول فهو المرسل ولم يأت فعول بمعنى مفعل في اللغة إلا نادرا وإرساله أمر الله
له بالإبلاغ إلى من أرسله إليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس أرسالا إذا
تبع بعضهم بعضا فكأنه ألزم تكرير التبليغ أو ألزمت الأمة اتباعه واختلف العلماء
هل النبي والرسول بمعنى أو بمعنيين فقيل هما سواء وأصله من الأنباء وهو الإعلام
واستدلوا بقوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فقد أثبت لهما معا الإرسال
قال ولا يكون الرسول إلا نبيا ولا النبي إلا رسولا وقيل هما مفترقان من وجه
إذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والإعلام بخواص النبوة أو الرفعة
بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة للرسول وهو الأمر بالإنذار
والإعلام كما قلنا وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا
لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما أرسلنا من رسول إلى أمة أو نبي
ليس بمرسل إلى أحد وقد ذهب بعضهم إلى أن الرسول من جاء بشرع مبتدأ
ومن لم يأت به نبي غير رسول وإن أمر بالإبلاغ والإنذار والصحيح والذي
عليه الجماء الغفير أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وأول الرسل آدم وآخرهم
محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه أن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون
ألف نبي وذكر أن الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أولهم آدم فقد بان لك معنى
النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية

في تطويل الهم وتهويل وليس عليه تعويل **وأما** الوحي فأصله الإسراع فلما كان النبي يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمي وحيًا وسميت أنواع الإلهامات وحيًا تشبيهًا بالوحي إلى النبي وسمي الخط وحيًا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة إشارتها **ومنه** قوله تعالى فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيًا أي أومأ ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحي الوحي أي السرعة وقيل أصل الوحي السر والإخفاء ومنه سمي الإلهام وحيًا **ومنه** قوله تعالى وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم أي يوسوسون في صدورهم ومنه **قوله** تعالى وأوحينا إلى أم موسى أي ألقي في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أي ما يلقيه في قلبه دون واسطة

فصل

اعلم أن تسميتنا ما جاءت به الأنبياء معجزة هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل لله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن على رأي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الإتيان بمثله كإحياء الموتى وقلب العصا حية وإخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من الأصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن أن يفعله أحد إلا الله تعالى فيكون ذلك على يد النبي من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه أن يأتي بمثله تعجيز له

واعلم أن المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معًا وهو أكثر الرسل معجزة وأبهرهم آية وأظهرهم برهانًا كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فإن واحدًا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بألف ولا ألفين ولا أكثر لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز عنها **قال** أهل العلم وأقصر السور إنا أعطيناك الكوثر فكل آية أو آيات منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم منها علم قطعًا ونقل إلينا متواترًا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف بمجيء النبي به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وإن أنكر هذا معاند جاحد فهو كإنكاره وجود محمد في الدنيا وإنما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه إعجازه معلوم ضرورة ونظرًا كما سنشرحه **قال** بعض أئمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة أنه قد جرى على يديه صلى الله عليه وسلم

آيات وخوارق عادات إن لم يبلغ واحد منها معينًا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر أنه جرى على يديه عجائب وإنما خلاف المعاند في كونها من قبل الله وأن ذلك عنه بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا أيضًا من نبينا صلى الله عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم أحنف لاتفاق الأخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وإن كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته **والقسم** الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين **نوع** مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والأخبار كنبع الماء من بين الأصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه إذا جمع إلى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الإتيان بالمعجز كما قدمنا **قال** القاضي أبو الفضل وأنا أقول صدعًا بالحق إن كثيرًا من هذه الآيات المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم معلومة بالقطع **أما** انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه وأخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهر إلا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف أخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع يلقي الشك في قلوب ضعفاء المؤمنين بل نرغم بهذا أنفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجماء الغفير عن العدد الكثير من الصحابة **ومنها** ما رواه الكافة متصلًا عمن حدث بها من جملة الصحابة رضي الله عنهم وإخبارهم أن ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وأمثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن أحد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا إنكار لما ذكر عنهم أنهم رأوه كما رآه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق إذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرًا عندهم وغير معروف لديهم لأنكروه كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رواها من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضًا ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وأيضًا فإن أمثال الأخبار التي لا أصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الأزمان وتداول الناس وأهل البحث من انكشاف

ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الأخبار الكاذبة والأراجيف الطارئة وأعلام نبينا هذه الواردة من طريق الآحاد لا تزداد مع مرور الزمان إلا ظهوراً ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف أصلها واجتهاد الملحد على إطفاء نورها إلا قوة وقبولاً ولا للطاعن عليها إلا حسرة وغليلاً وكذلك إخباره عن الغيوب وإنباؤه بما يكون وكان معلوم من آياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد

قال به من أئمتنا القاضي والأستاذ أبو بكر وغيرهما رحمهم الله وما عندي أوجب قول القائل إن هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد إلا قلة مطالعته للأخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف وإلا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الأحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فإن أكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وأنها مدينة عظيمة ودار الإمامة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلاً عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من أصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه أن مذهبه إيجاب قراءة أم القرآن في الصلاة للمنفرد والإمام وإجزاء النية في أول ليلة من رمضان عما سواه وأن الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الرأس وأن مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره وإيجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وأن أبا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى أقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلاً عمن سواه وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بياناً إن شاء الله تعالى

فصل في إعجاز القرآن

اعلم وفقنا الله وإياك أن كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه **أولها** حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الأمم وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب جعل الله ذلك لهم طبعاً وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به إلى كل سبب فيخطبون بديهاً في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون

ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل فيخدعون الألباب ويذللون الصعاب ويذهبون الإحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملاً ويتركون النبيه خاملاً منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والألفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من أبوابها وعلوا صرحاً لبلوغ أسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم إلا رسول كريم

بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر إيجازه وإعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه واعتدل مع إيجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالاً وأشهر في الخطابة رجالاً وأكثر في السجع والشعر سجالاً وأوسع في الغريب واللغة مقالاً بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخاً بهم في كل حين ومقرعاً لهم بضعاً وعشرين عاماً على رؤوس الملأ أجمعين ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾ إلى قوله ﴿ولن تفعلوا﴾ و﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن﴾ الآية و﴿قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾ وذلك أن المفترى أسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار أقرب واللفظ إذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد وللأول على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم أشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح

أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغراء بالافتراء وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال الله لهم ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف على اهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين واتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الاية قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع اخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرأ اية من كتابكم فتأملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل على عيسى بن مريم من احوال الدنيا والاخرة وهي قوله ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الاية وحكى الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون القران من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه صلى الله عليه وسلم متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا تأملت قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وقوله ولو ترى اذ فزعوا

فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي الاية وقوله فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الاية واشباهها من الاي بل اكثر القران حققت ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان اية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها

فصل الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع ايه وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القران رق فجاءه ابو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره الاخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق بين المرء وابنه وبين المرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد ذرني

ومن خلقت وحيدا الآيات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم
اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولا ما سمعت مثله قط
ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث نحوه وفي حديث اسلام ابي ذر
ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا
في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول
الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد
وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق
وانهم لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين
الايجاز والبلاغة بذاتها او الاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على
التحقيق لم يقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين
لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم
الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه
القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة
وارهف خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف ائمة
اهل السنة في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه ما جمع في قوة جزالته ونصاعة
الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه لا يصح ان يكون في مقدور البشر
وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا وذهب
الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه لكنه لم يكن
هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين
فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم بان
ياتوا بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس
من قدرة البشر لازم وهو ابهر واظهر اية واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا في ذلك بمقال
بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف
واباية الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة
لو كانت من قدرهم والشغل بها اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم

لديهم وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الانام وما منهم الا من جهد جهده
واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا
اتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد الا ابلسوا
فما انبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه

فصل الوجه الثالث من الاعجاز ما انطوى
عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله تعالى ليظهره
على الدين كله وقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الاية
وقوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح الى اخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس
في بضع سنين ودخل الناس في الاسلام افواجا فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع
لم يدخله الاسلام واستخلف المؤمنين في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق
الى اقصى المغارب كما قال صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ
ملك امتي ما زوي لي منها وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد
يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم
وقوتهم اليوم نيفا على خمسمائة عام فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه
ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون
الدبر وقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية وقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله
بالهدى الاية وقوله تعالى لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الاية فكان كل ذلك وما فيه
من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون
في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الاية
وقوله من الذين هادوا سماعون للكذب الاية وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم
عن مواضعه الى قوله في الدين وقد قال مبديا ما قدره الله واعتقده المؤمنون
يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون
لكم ومنه قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك اصحابه بان الله كفاه اياهم وكان المستهزئون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه
ويؤذونه فهلكوا وقوله والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره

وقصد قتله والاخبار بذلك صحيحة معروفة **فصل الوجه** الرابع ما انبا به من اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من اخبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرا ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسالونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانبياء وبدء الخلق وما في التوراة والانجيل والزبور وصحف ابرهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن شقي معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له صلى الله عليه وسلم وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم **وقوله** تعالى ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي نزل فيها القرآن فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقاله واعترف بعناده وحسده اياه كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك **لما** حكاه مخالفة دعي الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل لهم فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله تعالى الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الايتين **فصل** هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية

ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله تعالى لليهود قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الاية **قال** ابو اسحاق الزجاج في هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم **وعن** النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته **قال** ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله عليه آية المباهلة بقوله تعالى فمن حاجك فيه الاية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم لقد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم **ومثله** قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان وهذه الاية ادخل في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها **فصل** ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما **قال** تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به **قال** تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل الاية ويدل على ان هذا شيء خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما **روي عن** نصراني انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وآمن به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم **قال** سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون إلى قوله تعالى
المسيطرون كاد قلبي أن يطير وفي رواية وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي وعن
عتبة بن ربيعة أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم حم
فصلت إلى قوله تعالى صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة بيده على في النبي
صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة
مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليها حتى انتهى إلى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم
وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر
لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت أذناي بمثله قط فما دريت ما أقول له
وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته أنه اعترته روعة وهيبة كفته عن ذلك
فحكي أن ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا أرض ابلعي ماءك
فرجع ومحى ما عمل وقال أشهد أن هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان
من أفصح أهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الأندلس في زمنه فحكي أنه رام
شيئا من هذا فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني
خشية ورقة حملتني على التوبة والإنابة

فصل ومن وجوه إعجازه المعدودة
كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال إنا نحن نزلنا الذكر
وإنا له لحافظون وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات
الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق إلا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته
الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة لأول نزوله
إلى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والأعصار كلها طافحة بأهل البيان
وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم
كثير والمعادي للشرع عتيد فما منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته ولا ألف كلمتين
في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك
إلا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك إلقاؤه في العجز بيديه والنكوص
على عقبيه

فصل وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه وجوها
كثيرة منها أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة

الغزال بفتح العين المعجمة والزاي مخففة

الأندلس المشهور فتح الهمزة والدال وضم اللام

وترديده يوجب له محبة لا تزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه
يمل مع الترديد ويعادى إذا أعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الأزمات
وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى أحدث أصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون
بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه
لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه
العلماء ولا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا
إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة
ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة معرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها أحد من علماء
الأمم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات
والرد على فرق الأمم ببراهين قوية وأدلة بينة سهلة الألفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون
بعد أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله تعالى أوليس الذي خلق
السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم وقل يحييها الذي أنشأها أول مرة ولو كان فيهما
آلهة إلا الله لفسدتا إلى ما حواه من علوم السير وأنباء الأمم والمواعظ والحكم وأخبار الدار
الآخرة ومحاسن الآداب والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء ونزلنا
عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وقال صلى الله عليه وسلم
إن الله أنزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر
ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق
ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به أقسط
ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره أضله الله
ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله
المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ
فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه
ولا يختلف ولا يتشان فيه نبأ الأولين والآخرين وفي الحديث قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم
إني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع
العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقرآن فإنه فهم العقول ونور الحكمة

وقال تعالى إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى لآية فجمع فيه مع وجازة ألفاظه وجوامع كلمه أضعاف ما في الكتب قبله التي ألفاظها على ضعفه منه مرات **ومنها** جمعه بين الدليل والمدلول وذلك أنه احتج بنظم القرآن وحسن وصفه وإيجازه وبلاغته وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معاً من كلام واحد وسورة منفردة **ومنها** أن جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لأن المنظوم أسهل على النفوس وأوعى للقلوب وأسمع في الآذان وأحلى على الأفهام فالناس إليه أميل والأهواء إليه أسرع **ومنها** تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه لمتحفظيه **قال** الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وساير الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجماء على مرور السنين عليهم والقرآن ميسر حفظه للغلمان في أقرب مدة **ومنها** مشاكلة بعض أجزائه بعضاً وحسن ائتلاف أنواعها والتئام أقسامها وحسن التخلص من قصة إلى أخرى والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة على أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد وإثبات نبوة وتوحيد وتقرير وترغيب وترهيب إلى غير ذلك من فوائد دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت ألفاظه فتأمل أول ص وما جمع فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم بإهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما أتى به والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة وتكذيب الأمم قبلهم وإهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على أذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء كل هذا في أوجز كلام وأحسن نظام **ومنه** الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا أنه ذكر في إعجاز القرآن إلى وجوه كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها أكثرها داخل في بلاغته فلا يجب أن تعد فناً منفرداً في إعجازه إلا في باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا إعجازه وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي وبالله التوفيق ٥

فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس

قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي وإعراض الكفرة عن آياته وأجمع المفسرون وأهل السير على وقوعه **أخبرنا** الحسين بن محمد الحافظ من كتابه حدثنا القاضي سراج بن عبد الله حدثنا الأصيلي حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود **قال** انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق الأعمش بمنى ورواه أيضاً عن ابن مسعود الأسود **وقال** حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق أنه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن أبي كبشة فقال رجل منهم إن محمداً إن كان سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها فسلوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فأتوا فسألوا فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك **وحكى** السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال أبو جهل هذا سحر فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى تنظروا أرأوا ذلك أم لا فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقاً فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه أيضاً عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء أربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم أنس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم **فقال** علي من رواية أبي حذيفة الأرحبي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن أنس سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين حتى رأوا حراء بينهما رواه عن أنس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه أراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر رواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة أبو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن أبي عمران الأزدي وأكثر طرق هذه الأحاديث صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول بأنه لو كان هذا لم يخف على أهل الأرض إذ هو شيء ظاهر لجميعهم إذ لم ينقل لنا عن أهل الأرض أنهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل إلينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت به علينا حجة إذ ليس القمر في حد واحد لجميع أهل الأرض

فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابلهم من
اقطار الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد
دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها
ذلك تقدير العزيز العليم واية القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو والسكون
وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السما شيا الا من رصد ذلك
واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر
وكثيرا ما يحدث الثقات بعجايب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر
في الاحيان بالليل في السما ولا علم عند احد منها وخرج الطحاوي في مشكل الحديث
عن اسما بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه وراسه في حجر علي فلم
يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس
قالت اسما فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض
وذلك بالصهبا في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وحكى
الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسما
لانه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي روايته
عن ابن اسحاق لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة
التي في العير قالوا متى تجي قال يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون
وقد ولى النهار ولم تجي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست
عليه الشمس

فصل في نبع الما من بين اصابعه وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم

اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا روى حديث نبع الما من بين اصابعه صلى الله
عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود حدثنا ابو اسحق
ابرهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراتي عليه حدثنا القاضي عيسى بن سهل حدثنا
ابو القسم حاتم بن محمد حدثنا ابو عمرو بن الفخار حدثنا ابو عيسى حدثنا يحيى حدثنا
مالك عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحانت صلوة العصر فالتمس الناس الوضو فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم

بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضوا منه
قال فرايت الما ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس حتى توضوا عن اخرهم ورواه
ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه ما يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال كم
كنتم قال زهاء الثلثماية وفي رواية عنه وهم بالزورا عند السوق ورواه ايضا حميد
وثابت والحسن عن انس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه
وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود ففي الصحيح عنه من رواية علقمة
بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ما فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اطلبوا من معه فضل ما فاتي بما فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الما ينبع من بين اصابع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضا منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ما
الا ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الما يفور من بين اصابعه
كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا ماية الف لكفانا كنا خمس عشرة ماية وروي
مثله عن انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه
في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر
ناد الوضو وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلا شجب فاتي به النبي
صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشي لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها
فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب
جابر عليه وقال بسم الله قال فرايت الما يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت
حتى امتلات وامر الناس بالاستقا فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة
فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملا وعن الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض اسفاره اتي باداوة ما وقيل ما معنا يا رسول الله ما غير هذا فسكبها في ركوة ووضع
اصبعه وسطها وغمسها في الما وجعل الناس يجيون ويتوضون ثم يقومون قال
الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع
الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شي الى تكذيبه لما جبلت
عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهولا قد رووا هذا واشاعوه

ونسبوا حضور الجماعة الغفيرة له ولم ينكر أحد من الناس عليهم ما حدث به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له

فصل ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته فيما روى مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وأنهم وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه وأعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس **قال** في حديث ابن إسحق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم **قال** يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جنانا وفي حديث البراء وسلمة بن الأكوع وحديثه أتم في قصة الحديبية وهم أربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها **قال** البراء وأتي بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فإما دعا وإما بصق فيها فجاشت فأرووا أنفسهم وركابهم وفي غير هذه الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فأخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروي الناس حتى ضربوا بعطن **وعن** أبي قتادة وذكر أن الناس شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض أسفاره فدعا بالميضأة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله أعلم نفث فيها أم لا فشرب الناس حتى رووا وملؤوا كل إناء معهم فخيل إلي أنها كما أخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث أبي قتادة على غير ما ذكره أهل الصحيح وأن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم ممدا لأهل مؤتة عندما بلغه قتل الأمراء وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وآيات للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه إعلامهم أنهم يفقدون الماء في الغد وذكر حديث الميضأة قال والقوم زهاء ثلاثمائة **وفي كتاب مسلم** أنه قال لأبي قتادة احفظ علي ميضأتك فإنه سيكون لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عطش في بعض أسفارهم فوجه رجلين من أصحابه وأعلمهما أنهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها وأتيا بها النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في إناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله أن يقول ثم أعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وأمر الناس فملؤوا أسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا إلا ملؤوه **قال** عمران بن حصين

وتخيل إلي أنهما لم يزدادا إلا امتلاء ثم أمر فجمع للمرأة من الأزواد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي فإنا لم نأخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الأكوع **قال** نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل بإداوة فيها نطفة فأفرغها في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة أربع عشرة مائة وفي حديث عمر في جيش العسرة وذكر ما أصابهم من العطش حتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤوا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر **وعن** عمرو بن شعيب أن أبا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء فقال اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه الإجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه

فصل ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه **حدثنا** القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا الحسن بن أعين حدثنا معقل عن أبي الزبير عن جابر أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما زال الرجل يأكل منه وامرأته ووصيفه حتى كاله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث أبي طلحة المشهور وإطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين أو سبعين رجلا من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت يده أي إبطه فأمر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله أن يقول **وحديث** جابر في إطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء وأيمن وحديث أبي أيوب أنه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما **فقال** له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من أشراف الأنصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوه ثم **قال** ادع ستين فكان مثل ذلك ثم **قال** ادع سبعين فأكلوا حتى تركوا وما خرج منهم أحد حتى أسلم وبايع **قال** أبو أيوب فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب أتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون **ومن ذلك** حديث عبد الرحمن بن أبي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة

وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلثين ومائة الا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير **ومن ذلك** حديث عبد الرحمن ابن ابي عمرة الانصاري عن ابيه ومثله لسلمة بن الاكوع وابي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة اصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيهم فدعا ببقية الازواد فجا الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم الذي اتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع **قال** سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقي في الجيش وعا الا ملوه وبقي منه وعن ابي هريرة امرني النبي صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا قصعة فاكلنا ما شينا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع **وعن علي بن** ابي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب **وقال** انس ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلا البيت والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مد من شعير جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور نحو اما كان وكان القوم احدا او اثنين وسبعين وفي رواية اخرى في هذه القصة او مثلها ان القوم كانوا زها ثلثمائة وانهم اكلوا حتى شبعوا **وقال** لي ارفع فلا ادري حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت وفي حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي ان فاطمة طبخت قدرا لغدائها ووجهت عليا في طلب النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معها فامرها فغرفت منها لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له صلى الله عليه وسلم ولعلي ثم لها ثم رفعت القدر وانها لتفيض قالت فاكلنا منها ما شا الله وامر عمر بن الخطاب ان يزود اربع مائة راكب من احمس **فقال** يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هي الا اصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الاحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه الا انه قال اربع مائة راكب **ومن ذلك** حديث جابر في دين ابيه بعد موته وقد كان بذل لغرما ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في تمرها سنين كفاف دينهم فجاه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجدها وجعلها بيادر في اصولها

كل صاع ثلاثة امداد
كل مد رطل وثلث

يمشي فيها ودعا فاوفى منه جابر غرما ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرما يهود فعجبوا من ذلك **وقال** ابو هريرة اصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شي قلت نعم شي من التمر في المزود قال فاتني به فادخل يده فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ ما جيت به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على اكثر مما جيت به فاكلت منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب مني فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله عز وجل وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة تمرة **ومنه** ايضا حديث ابي هريرة حين اصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه وامره ان يدعو اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم له ان يسقيهم فجعلت اعطي الرجل فيشرب حتى يروا ثم ياخذه الاخر فشربوا حتى رووا اجمعهم **قال** فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب فما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث خالد بن عبد العزى انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبيت عياله عظما عظما وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا ذكر خبره الدولابي **ومن حديث** الاجري في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة ياكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبارك فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن من غشيكن وفي حديث انس تزوج النبي صلى الله عليه وسلم فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زها ثلثمائة

حتى ملؤا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع
النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله أن يقول فأكلوا حتى
شبعوا كلهم وقال ليرفع فما أدري حين وضعت كانت أكثر أم حين رفعت وأكثر
أحاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل
بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم أضعافهم من التابعين ثم من لا يعد بعدهم وأكثرها
في قصص مشهورة ومجامع مشهودة لا يمكن التحدث عنها إلا بالحق ولا يسكت الحاضر لها
على ما أنكر **فصل** في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته حدثنا
أحمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما أجازنيه عن أبي عمر الطلمنكي عن أبي بكر بن
المهندس عن أبي القاسم البغوي حدثنا أحمد بن عمران الأخنسي حدثنا أبو حيان
التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر
فدنا منه أعرابي فقال يا أعرابي أين تريد قال إلى أهلي قال هل لك إلى خير قال وما هو
قال تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال
من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تخد
الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال ثم رجعت إلى
مكانها وعن بريدة سأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها
فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الأعرابي مرها فلترجع إلى منبتها فرجعت
فدلت عروقها فاستوت فقال الأعرابي ائذن لي أسجد لك قال لو أمرت أحدا أن
يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها قال فأذن لي أقبل يديك ورجليك
فأذن له وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فإذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادي علي بإذن الله
فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر أنه فعل بالأخرى
مثل ذلك حتى إذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي بإذن الله فالتأمتا وفي رواية

أخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك
حتى أجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت أحضر
وجلست أحدث نفسي فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا
فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه
هكذا يمينا وشمالا وروى أسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن الوادي ما فيه
موضع بالناس فقال هل ترى من نخل أو حجارة فقلت أرى نخلات متقاربات قال انطلق وقل
لهن إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن أن تأتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل
للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن
حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي
قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عدن إلى مواضعهن
وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين
الحديثين وذكر فأمر وديتين فانضمتا وفي رواية أشاءتين وعن غيلان بن سلمة الثقفي
مثله في الشجرتين وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة
وهو ابن سيابة أيضا وذكر أشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أن طلحة أو سمرة
جاءت فأطافت به ثم رجعت إلى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها استأذنت أن
تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له
شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث أن الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة
تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث الأول أو نحوه
قال القاضي أبو الفضل فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة
وأسامة بن زيد وأنس بن مالك وعلي بن أبي طالب وغيرهم قد اتفقوا على هذه
القصة نفسها ومعناها ورواها عنهم من التابعين أضعافهم فصارت في انتشارها
من القوة حيث هي وذكر ابن فورك أنه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلا
وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على
ساقين إلى وقتنا وهي هناك معروفة معظمة ومن ذلك حديث أنس أن جبريل

قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا أتحب أن أريك آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع
فعادت إلى مكانها وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل قال اللهم أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها
فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له وذكر ابن
إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم أري ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فأتت حتى وقفت بين يديه
ثم قال لها ارجعي فرجعت وعن الحسن أنه صلى الله عليه وسلم شكى إلى ربه من قومه أنهم يخوفونه وسأله
آية يعلم بها أن لا مخافة عليه فأوحى إليه أن ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها
يأتك ففعل فجاء يخط الأرض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما
جئت فرجع فقال يا رب علمت أن لا مخافة علي ونحوه عن عمر وقال فيه أرني آية لا أبالي
من كذبني بعدها وذكر نحوه عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال لأعرابي أرأيت إن دعوت
هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى أتاه فقال
ارجع فعاد إلى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح

فصل في قصة حنين الجذع ويعضد هذه الأخبار حديث أنين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر
خرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم أبي بن كعب وجابر بن عبد الله
وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدري
وبريدة وأم سلمة والمطلب بن أبي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي
وحديث أنس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا
كصوت العشار وفي رواية أنس حتى ارتج المسجد بخواره وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس
لما رأوا به وفي رواية المطلب حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه
فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي
نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد
وإسحاق عن أنس وفي رواية عن سهل فدفنت تحت منبره أو جعلت في السقف وفي حديث
أبي وكان إذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى إليه فلما هدم المسجد أخذه أبي فكان عنده إلى أن أكلته

العشار الكو جمع عشراء وهي الناقة التي أتى عليها من يوم أرسل فيها الفحل عشرة أشهر من الصحاح

الأرض وعاد رفاتا وذكر الإسفرايني أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه إلى نفسه فجاء يخرق
الأرض فالتزمه ثم أمره فعاد إلى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم
إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك
خوص وثمرة وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم أصغى له النبي
صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون
في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار
دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن إذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة
تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليه لمكانه فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه
رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وأيمن وأبو نضرة وابن
المسيب وسعيد بن أبي كرب وكريب وأبو صالح ورواه عن أنس بن مالك الحسن
وثابت وإسحاق بن أبي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وأبو حية ورواه أبو نضرة وأبو
الوداك عن أبي سعيد وعمار بن أبي عمار عن ابن عباس وأبو حازم وعباس بن سهل بن
سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن أبيه والطفيل
بن أبي عن أبيه قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه فهذا حديث كما تراه خرجه
أهل الصحة ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم إلى من لم نذكره
وبمن دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب

فصل ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى
التميمي حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن المرابط حدثنا المهلب أبو القسم حدثنا أبو الحسن
القابسي حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو
أحمد الزبيري قال حدثنا إسرائيل عن منصور عن إبرهيم عن علقمة عن عبد الله قال
لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود كنا نأكل مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال أنس أخذ النبي صلى الله
عليه وسلم كفا من حصا فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن
في يد أبي بكر فسبحن ثم في أيدينا فما سبحن وروى مثله أبو داود وذكر أنهن سبحن
في كف عمر وعثمان وقال علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج

إلى بعض نواحيها فما استقبله شجرة ولا جبل إلا قال له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه صلى الله عليه وسلم إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل إنه الحجر الأسود وعن عائشة لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له وفي حديث العباس إذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره إياهم بملاءته فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين وعن جعفر بن محمد عن أبيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح وعن أنس صعد النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان أحدا فرجف بهم فقال اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله عن أبي هريرة في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد والخبر أيضا في حراء عن عثمان قال ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين وفي حديث سعيد بن زيد أيضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي أنه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فإني أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال حراء إلي يا رسول الله وروى ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه أنا الجبار أنا الجبار أنا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده إليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل الآية فما أشار لوجه صنم إلا وقع لقفاه ولا لقفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء أمره إذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج إلى أحد فخرج وجعل يتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش ما علمك قال إنه لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجدا له ولا تسجد إلا لنبي

وذكر القصة ثم قال وأقبل النبي صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه إلى فيء الشجرة فلما جلس مال الفيء إليه

فصل في الآيات في ضروب الحيوانات

حدثنا سراج بن عبد الملك أبو الحسين الحافظ حدثنا أبي حدثنا القاضي يونس حدثنا أبو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن أبيه وجده قالا حدثنا أبو العلاء أحمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل حدثنا يونس بن عمرو حدثنا مجاهد عن عائشة قالت كان عندنا داجن فإذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب وإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب وروي عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضبا وقال من هذا قالوا نبي الله فقال واللات والعزى لا آمنت أو يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك فأسلم الأعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن أبي سعيد الخدري بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فأخذها الراعي منه فأقعى الذئب وقال للراعي ألا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق فأتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروي حديث الذئب عن أبي هريرة وفي بعض الطرق عن أبي هريرة فقال الذئب أنت أعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط أعظم منه عنده قدرا قد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه إلا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي فقال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد إلى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن أهبان بن أوس

وإنه كان صاحب القصة والمحدِّث بها ومكلِّم الذيب وعن سلمة بن عمرو بن الأكوع وأنه
كان صاحب هذه القصة أيضًا وسبب إسلامه مثل حديث أبي سعيد وقد روى
ابن وهب مثل هذا أنه جرى لأبي سفيان ابن حرب وصفوان بن أمية مع ذيب وجداه
أخذ ظبيًا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذيب فعجبا من ذلك فقال الذيب أعجب من ذلك
محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار فقال أبو سفيان واللات
والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفًا وقد روي مثل هذا الخبر وأنه جرى
لأبي جهل وأصحابه وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام ضمار صنمه وإنشاده الشعر الذي
ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فإذا طائر سقط فقال يا عباس أتعجب من كلام ضمار ولا تعجب
من نفسك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام وأنت جالس فكان سبب إسلامه
وعن جابر بن عبد الله عن رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر
وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال احصب وجوهها فإن الله
سيؤدي عنك أمانتك ويردها إلى أهلها فسارت كل شاة حتى دخلت إلى أهلها وعن
أنس رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائط أنصاري وأبو بكر وعمر ورجل من الأنصار
رضي الله عنهم وفي الحائط غنم فسجدت له فقال أبو بكر نحن أحق بالسجود لك منها الحديث
وعن أبي هريرة رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطًا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله
ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر
قال وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه
فوضع مشفره في الأرض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء والأرض شيء إلا يعلم
أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس ومثله عن عبد الله ابن أبي أوفى وفي خبر آخر في حديث
الجمل أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه فأخبروه أنهم أرادوا ذبحه وفي رواية
أنه شكى إلي أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد
روي في قصة العضباء وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب
إليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها ونداءهم لها أنت لمحمد وأنها لم تأكل ولم تشرب بعد
موته حتى ماتت ذكره الإسفرايني وروى ابن وهب أن حمام مكة أظلت النبي صلى
الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي عن أنس وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة
أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار أمر الله شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وأمر
حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي حديث آخر أن العنكبوت نسجت على بابه فلما أتى الطالبون
له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع
كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات
خمس أو ست أو سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن إليه بأيتهن يبدأ وعن أم سلمة كان
النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني
هذا الأعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع قال وتفعلين
قالت نعم فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه الأعرابي وقال يا رسول الله ألك حاجة
قال تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول أشهد أن لا إله
إلا الله وأنك رسول الله ومن هذا الباب ما روي من تسخير الأسد لسفينة مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذ وجهه إلى معاذ باليمن فلقي الأسد فعرّفه أنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية أخرى
عنه أن سفينة انكسرت به فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد فقلت أنا مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق وأخذ صلى الله عليه وسلم بأذن شاة
لقوم من عبد القيس بين إصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسمًا وبقي ذلك الأثر فيها وفي نسلها
بعد وما روي عن إبراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار الذي أصابه بخيبر وقال له
اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورًا وأنه كان يوجهه إلى دور أصحابه
فيطرق الباب برأسه ويستدعيهم وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعًا
وحزنًا فمات وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها
أنه ما سرقها وأنها ملكه وفي العنز التي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد
أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلاثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأروى الجند ثم قال لرافع أملكها وما أراك فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع
وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الذي جاء بها هو الذي ذهب بها وقال
لفرسه صلى الله عليه وسلم وقد قام إلى الصلوة في بعض أسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ
من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوًا حتى صلى صلى الله عليه وسلم والحديث في هذا الباب

كثير وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الأئمة ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي
أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وجّه رسله للملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فأصبح
كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم

فصل في إحياء الموتى وكلامهم

وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة حدثنا أبو الوليد هشام بن أحمد
الفقيه بقراءتي عليه والقاضي أبو الوليد محمد بن رشد والقاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي
وغير واحد سماعا وإذنا قالوا حدثنا أبو علي الحافظ حدثنا أبو عمر الحافظ حدثنا أبو زيد
عبد الرحمن بن يحيى حدثنا أحمد بن سعيد حدثنا أحمد بن الأعرابي حدثنا أبو داود حدثنا
وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن يهودية أهدت
للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأكل القوم
فقال ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية
ما حملك على ما صنعت قالت إن كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وإن كنت ملكا أرحت الناس
منك فأمر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث أنس وفيه قالت أردت قتلك فقال
ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا نقتلها قال لا وكذلك روي عن أبي هريرة من رواية
غير وهب قال فما عرض لها ورواه أيضا جابر بن عبد الله وفيه أخبرتني به هذه الذراع قال
ولم يعاقبها ومن رواية الحسن أن فخذها يكلمني أنها مسمومة وفي رواية أبي سلمة بن عبد
الرحمن قالت إني مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن إسحاق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث
الآخر عن أنس أنه قال فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث أبي هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات فيه ما زالت أكلة خيبر تعاودني فالآن
أوان قطعت أبهري وحكى ابن إسحاق إن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوة وقال ابن سحنون أجمع أهل الحديث أن رسول الله
قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن أبي هريرة وأنس وجابر
وفي رواية ابن عباس أنه دفعها لأولياء بشر بن البراء فقتلوها وكذلك اختلف في
قتله الذي سحره قال الواقدي وعفوه عنه أثبت عندنا وروي أنه قتله وروى الحديث
البزار عن أبي سعيد فذكر مثله إلا أنه قال في آخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فأكلنا
وذكرنا اسم الله فلم تضر منا أحدا قال القاضي أبو الفضل وقد خرج حديث الشاة المسمومة

أهل الصحيح وخرجه الأئمة وهو حديث مشهور واختلف أئمة أهل النظر في هذا الباب
فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله في الشاة الميتة أو الحجر أو الشجرة وحروف وأصوات
يحدثها الله تعالى فيها ويسمعها منها دون تغيير أشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب
الشيخ أبي الحسن والقاضي أبي بكر رحمهما الله وآخرون ذهبوا إلى إيجاد الحياة بها أولا
ثم الكلام بعده وحكي هذا عن شيخنا أبي الحسن وكل محتمل والله أعلم إذ لم نجعل
الحياة شرطا لوجود الحروف والأصوات إذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة
بمجردها فأما إذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة إذ لا يوجد
كلام النفس إلا من حي خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في إحالة وجود الكلام اللفظي
والحروف والأصوات إلا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والأصوات
والتزم ذلك في الحصا والجذع والذراع وقال إن الله خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا
وآلة أمكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به آكد من التهمم بنقل
تسبيحه أو حنينه ولم ينقل أحد من أهل السير والرواية شيئا من ذلك فدل على سقوط
دعواه مع أنه لا ضرورة إليه في النظر والموفق الله وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية
أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من أنا فقال رسول الله وروي
عن معرض بن معيقيب رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله
وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
صدقت بارك الله فيك ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت
هذه القصة بمكة في حجة الوداع وعن الحسن أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له أنه طرح
بنية له في وادي كذا فانطلق معه إلى الوادي وناداها باسمها يا فلانة أجيبي بإذن
الله تعالى فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها إن أبويك قد أسلما فإن أحببت
أن أردك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وعن أنس رضي الله عنه
أن شابا من الأنصار توفي وله أم عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا
نعم قالت اللهم إن كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة
فلا تحملن علي هذه المصيبة فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروي
عن عبد الله بن عبيد الله الأنصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة

فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان
البر الرحيم فنظرنا فإذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير أن زيد بن خارجة خر ميتا
في بعض أزقة المدينة فرفع وسجي إذ سمعوه بين العشاءين والنساء يصرخن حوله
يقول أنصتوا أنصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الأمي وخاتم النبيين
كان ذلك في الكتاب الأول ثم قال صدق صدق وذكر أبا بكر وعمر وعثمان ثم قال
السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان **فصل**
في إبراء المرضى وذوي العاهات **أخبرنا** أبو الحسن علي بن مشرف فيما أجازنيه
وقرأته على غيره حدثنا أبو إسحاق الحبال حدثنا أبو محمد بن النحاس حدثنا أبو الورد
عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن إسحاق وحدثنا ابن شهاب وعاصم
بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقصة أحد بطولها قال وقال سعد بن
أبي وقاص إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت وأصيبت يومئذ عين قتادة
يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن
عينيه **وروى** قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة
ورواها أبو سعيد الخدري عن قتادة وبصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم
ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح **وروى** النسائي عن عثمان بن حنيف أن أعمى
قال يا رسول الله ادع الله أن يكشف لي عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين
ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم يا محمد إني
أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصري اللهم شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن
بصره **وروي** أن ابن ملاعب الأسنة أصابه استسقاء فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فأخذ بيده حثوة من الأرض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها متعجبا يرى أن قد
هزئ به فأتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك
ويقال فويك أن أباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى
الله عليه وسلم في عينيه فأبصر فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين ورمي كلثوم بن
الحصين يوم أحد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ وتفل على شجة عبد الله

بن أنيس فلم تمد وتفل في عيني علي يوم خيبر وكان رمدا فأصبح بارئا ونفث على ضربة
بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرئت وفي رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف إلى الكعب
حين قتل ابن الأشرف فبرئت وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق إذ انكسرت فبرئ مكانه
وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن أبي طالب فجعل يدعو **فقال** النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
اشفه أو عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ بن
عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصقها فلصقت رواه ابن وهب
ومن روايته أيضا أن خبيب بن يساف أصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح وأتته
امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فأتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم أعطاها
إياه وأمرها بسقيه ومسه به فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل به عقول الناس **وعن**
ابن عباس جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل
الجرو الأسود فشفي وانكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له
وتفل فيه فبرئ لحينه وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف
وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها أثر
وسألته جارية طعاما وهو يأكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت إنما أريد
من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسأل شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها ألقي عليها
من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها **فصل** في إجابة دعائه صلى الله
عليه وسلم وهذا باب واسع جدا وإجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم
وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده **حدثنا** أبو محمد العتابي بقراءتي
عليه حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن القابسي حدثنا أبو زيد المروزي
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا عبد الله بن أبي الأسود حدثنا حرمي
أبانا شعبة عن قتادة عن أنس **قالت** أم سليم يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له
قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته ومن رواية عكرمة **قال** أنس فوالله
إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم على نحو المائة وفي رواية وما أعلم

أحدًا أصاب من رخاء العيش ما أصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا أقول
سقطًا ولا ولد ولد ومنه دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو
رفعت حجرًا لرجوت أن أصيب تحته ذهبًا وفتح الله عليه فمات فحفر الذهب من تركته
بالفؤوس حتى مجلت فيه الأيدي وأخذت كل زوجة ثمانين ألفًا وكن أربعًا وقيل مائة ألف
وقيل بل صولحت إحداهن لأنه طلقها في مرضه على نيف وثمانين ألفًا وأوصى بخمسين ألفًا
بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة أعتق يومًا ثلاثين عبدًا وتصدق يومًا
بعير فيها سبع مائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها
وأحلاسها **ودعا** لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن أبي وقاص
أن يجيب الله دعوته فما دعا على أحد إلا استجيب له ودعا بعز الإسلام بعمر أو بأبي جهل
فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر وأصاب الناس في بعض
مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم أقلعت ودعا
في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا إليه المطر فدعا فصحوا **وقال** لأبي قتادة أفلح وجهك اللهم
بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة وقال للنابغة
لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان أحسن الناس ثغرًا إذا سقطت له سن
نبتت له أخرى وعاش عشرين ومائة وقيل أكثر من هذا **ودعا** لابن عباس اللهم فقهه
في الدين وعلمه التأويل فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة
في صفقة يمينه فما اشترى شيئًا إلا ربح فيه **ودعا** للمقداد بالبركة فكانت عنده
غرائر من المال **ودعا** بمثله لعروة بن أبي الجعد فقال فلقد كنت أقوم بالكناسة
فما أرجع حتى أربح أربعين ألفًا **وقال** البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب
ربح فيه وروي مثل هذا لغرقدة أيضًا وندت له ناقة فدعا فجاء بها إعصار
ريح حتى ردها عليه **ودعا** لأم أبي هريرة فأسلمت ودعا لعلي أن يكفى الحر والقر
فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد
ودعا لفاطمة ابنته أن لا يجيعها الله قالت فما جعت بعد وسأله الطفيل بن عمرو آية
لقومه فقال اللهم نور له فسطع نور بين عينيه فقال يا رب أخاف أن يقولوا
مثلة فتحول إلى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا على مضر

فأقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم ودعا على كسرى حين مزق كتابه بتمزيق ملكه
فلم يبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في أقطار الدنيا **ودعا** على صبي قطع عليه
الصلاة أن يقطع الله أثره فأقعد **وقال** لرجل رآه يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا
أستطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها إلى فيه وقال لعتبة بن أبي لهب اللهم سلط
عليه كلبًا من كلابك فأكله الأسد **وقال** لامرأة أكلك الأسد فأكلها وحديثه
المشهور من رواية عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته
وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر **ودعا**
على الحكم بن العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم فرآه
فقال كذلك كن فلم يزل يختلج حتى مات **ودعا** على محلم بن جثامة فمات لسبع
فلفظته الأرض ثم ووري فلفظته مرات فألقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة
والصد جانب الوادي وجحده رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم
فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل **وقال** اللهم إن كان كاذبًا فلا تبارك له
فيها فأصبحت شاصية برجلها أي رافعة وهذا الباب أكثر من أن يحاط به

فصل في كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما لمسه وباشره **أخبرنا**
أحمد بن محمد حدثنا أبو ذر الهروي إجازة وحدثنا القاضي أبو علي سماعًا والقاضي
أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا حدثنا أبو الوليد القاضي حدثنا أبو ذر حدثنا
أبو محمد وأبو إسحاق وأبو الهيثم حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا عبد الأعلى بن حماد
النرسي قال حدثنا يحيى بن علي القرشي حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس
ابن مالك أن أهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسًا لأبي طلحة كان
يقطف أو به قطاف وقال غيره بطيئًا فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرًا وكان بعد
لا يجارى وحمل جابر وكان قد أعيا فنشط حتى كان لا يملك زمامه وصنع مثل ذلك
بفرس لجعيل الأشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك رأسها نشاطًا وباع
من بطنها باثني عشر ألفًا وركب حمارًا قطوفًا لسعد بن عبادة فرده هملاجًا لا يساير
وكانت شعرات من شعره في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالًا إلا رزق النصر
وفي الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر أنها أخرجت جبة طيالسة وقالت كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها **وحدثنا** القاضي ابو علي عن شيخه ابي القاسم بن المأمون **قال** كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان ليكسره على ركبته فصاح الناس به فاخذته في ركبته الاكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب من فضل وضوئه في بير قباء فما نزفت بعد وبزق في بير كانت في دار انس فلم يكن بالمدينة اعذب منها ومر على ماء فسال عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح **فقال** بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب واتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك واعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لام مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فامرها النبي صلى الله عليه وسلم الا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة سمنا فياتيها بنوها يسالونها الادم وليس عندهم شي فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها وكان يتفل في افواه الصبيان المراضع فيجزيهم ريقه الى الليل **ومن ذلك** بركة يده فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلثماية ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب فقام صلى الله عليه وسلم وغرسها له بيده الا واحدة غرسها غيره فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وردها فاخذت وفي كتاب البزار فاطعم النخل من عامه الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين اوقية وبقي عنده مثل ما اعطاهم **وفي حديث** حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب اولها وشربت اخرها فما برحت اجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا ظمئت واعطى قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا **وقال** انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه **ومنها** دفعه لعكاشة جذل حطب **وقال** اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده

سيفا صارما طويل القامة ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتال اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه لعبد الله بن جحش يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا **ومنه** بركته في درور الشاة الحوائل باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة انس وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها الفحل وشاة المقداد **ومن ذلك** تزويده اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة ومسح على راس عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب **وروي** مثل هذه القصص عن غير واحد منهم السايب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيديه على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عايذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على راس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن ماية سنة وراسه ابيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره اسود فكان يدعى الاغر **وروي** مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه اخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المراة ووضع يده على راس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت ام سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امراة من الجمال ما بها ومسح على راس صبي به عاهة فبرا واستوى شعره وعلى غير واحد من الصبيان والمرضى والمجانين فبرؤا واتاه رجل به ادرة فامره ان ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرا **وعن** طاوس لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم باحد به مس فصك في صدره الا ذهب ومج في دلو من بير ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك واخذ قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار **وقال** شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن اعينهم وشكى اليه ابو هريرة النسيان فامره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيا بعد وما يروى عنه في هذا كثير وضرب صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر له

أنه لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب وأثبتهم ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميماً ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولاً وتماماً **فصل**

ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب **حدثنا** الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهري إجازة وقرأته على غيره **قال** أبو بكر حدثنا أبو علي التستري حدثنا أبو عمر الهاشمي حدثنا اللؤلؤي حدثنا أبو داود حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة **قال** قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه ثم **قال** حذيفة ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته **وقال** أبو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً وقد خرج أهل الصحيح والأئمة ما أعلم به أصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على أعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الأمن حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله وأن المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يدي علي في غد يومه وما يفتح الله على أمته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والأهواء وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وأنها ستكون لهم أنماط ويغدو أحدهم في حلة ويروح في أخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع أخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم **قال** آخر الحديث وأنتم اليوم خير منكم يومئذ وأنهم إذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر أن الروم ذات قرون إلى آخر الدهر وبذهاب الأمثل فالأمثل من الناس

وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج **وقال** ويل للعرب من شر قد اقترب وأنه زويت له الأرض فأري مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمته ما زوي له منها فكذلك كان امتدت في المشارق والمغارب ما بين أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه أمة من الأمم ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك **وقوله** لا تزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني إلى أنهم العرب لأنهم المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب إلى أنهم أهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث آخر من رواية أبي أمامة لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله وأين هم قال ببيت المقدس وأخبر بملك بني أمية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني أمية مال الله دولاً وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم أضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال أهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي وأن أشقاها الذي يخضب هذه من هذه أي لحيته من رأسه وأنه قسيم النار يدخل أولياؤه الجنة وأعداؤه النار فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن ينتسب إليه من الروافض كفروه **وقال** يقتل عثمان وهو يقرأ المصحف وأن الله عسى أن يلبسه قميصاً وأنهم يريدون خلعه وأنه سيقطر دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حياً وبمحاربة الزبير لعلي ونباح كلاب الحوأب على بعض أزواجه وأنه يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت فنبحت على عائشة عند خروجها إلى البصرة وأن عماراً تقتله الفئة الباغية فقتله أصحاب معاوية **وقال** لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس **وقال** في قزمان وقد أبلى مع المسلمين إنه من أهل النار فقتل نفسه **وقال** في جماعة فيهم أبو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتاً في النار فكان بعضهم يسأل عن بعض فكان سمرة آخرهم موتاً هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها **وقال** في حنظلة الغسيل سلوا زوجه عنه فإني رأيت الملائكة تغسله فسألوها فقالت إنه خرج جنباً وأعجله الحال عن الغسل **قال** أبو سعيد ووجدنا رأسه يقطر ماء **وقال** الخلافة في قريش ولن يزال هذا الأمر في قريش ما أقاموا الدين **وقال** يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وأن مسيلمة يعقره الله وأن فاطمة أول أهله لحوقاً به وأنذر بالردة وبأن الخلافة بعده ثلاثون

ثم ملكا فكان كذلك مدة الحسن بن علي وقال ان هذا الامر بدا نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروة وفسادا في الامة واخبر بشان اويس القرني وبامرا يوخرون الصلاة عن وقتها وسيكون في الامة ثلثون كذابا فيهم اربع نسوة وفي حديث اخر ثلثون دجالا كذابا اخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك ان يكثر فيكم العجم ياكلون فيكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم ياتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يوتمنون وينذرون ولا يوفون وقال لا ياتي زمان الا والذي بعده شر منه وقال هلاك امتي على يدي اغيلمة من قريش قال ابو هريرة راويه لو شيت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر بظهور القدرية والرافضة وسب اخر هذه الامة اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وانهم سيلقون بعده اثرة واخبر بشان الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وان سيماهم التحليق ويرى رعاء الغنم روس الناس والعراة الحفاة يتبارون في البنيان وان تلد الامة ربتها وان قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم واخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد به من سكنى البصرة وانهم يغزون في البحر كالملوك على الاسرة وان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وهاجت ريح في غزاته فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس احدكم في النار اعظم من احد قال ابو هريرة فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة وحيث هي ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشان كتاب حاطب الى اهل مكة وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتاله واطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر والسر اسلم واخبر بالمال الذي تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم واعلم بانه سيقتل ابي بن خلف وفي عتبة بن ابي لهب انه ياكله كلب الله وعن مصارع اهل بدر فكان كما قال صلى الله عليه وسلم وقال في الحسن ان ابني هذا

سيد وسيصلح الله به بين فئتين ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك اخرون واخبر بقتل اهل موتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر او ازيد وبموت النجاشي يوم مات وهو بارضه واخبر فيروز اذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة اسلم واخبر ابا ذر بتطويده كما كان ووجده في المسجد نايما فقال له كيف بك اذا اخرجت منه قال اسكن المسجد الحرام قال فاذا اخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وموته وحده واخبر ان اسرع ازواجه به لحوقا اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة واخبر بقتل الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وقال في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده في الجهاد وقال في الذين كانوا معه على حرا اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك اذا لبست سواري كسرى فلما اتي بهما الى عمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجبى اليها خزاين الارض يخسف بها يعني بغداد وقال سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فيتان دعواهما واحدة وقال لعمر في سهيل بن عمرو عسى ان تقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام ابي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصايرهم وقال لخالد حين وجهه لاكيدر انك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الامور كلها في حياته وبعد موته كما قال صلى الله عليه وسلم الى ما اخبر به جلساءه من اسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المومنين حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء واعلامه بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم وكونه في مشط ومشاقة في جف طلع نخلة ذكر وانه القي في بير ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة واعلامه قريشا باكل الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم ووصفه لكفار قريش

بيت المقدس حين كذبوه في خبر الاسرا ونعته اياه نعت من عرفه واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون ولم تات بعد منها ما ظهرت مقدماتها كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن اشراط الساعة وآيات حلولها وذكر الحشر والنشر واخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيامة وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزا وحده وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية واكثرها في الصحيح وعند الائمة

فصل في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال تعالى أليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا اعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال تعالى انا كفيناك المستهزئين وقال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الآية **اخبرنا** القاضي ابو علي الصدفي بقراتي عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري قالا حدثنا ابو الحسين الصيرفي حدثنا ابو يعلى البغدادي حدثنا ابو علي السنجي حدثنا ابو العباس المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا عبد بن حميد حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا الحرث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني الله عز وجل **وروي** ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله فرعدت يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الآية **وقد رويت** هذه القصة في الصحيح وان غورث بن الحرث صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه فقال جيتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله **وقد روي** انه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي امر مع رجل اسمه دعثور بن الحرث وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه وكان سيدهم واشجعهم قالوا له اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط

السيف فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الآية **وفي** رواية الخطابي ان غورث بن الحرث المحاربي اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو قايم على راسه منتضيا سيفه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنيه بما شيت فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة وجع الظهر وقيل في قصة غير هذا وذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية **وقيل** كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية استلقى ثم قال من شا فليخذلني وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاة وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطاها كثيبا اهيل وذكر ابن اسحاق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر فاخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه **وعن** الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا رايناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجينا حتى اذا رايناه جات الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه **وعن** عمر تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجينا منزله فسمعنا له فافتتح وقرا الحاقة ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال انج وفرا هاربين فكانت من مقدمات اسلام عمر **ومنه** العبرة المشهورة والكفاية التامة عندما اخافته قريش واجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤوسهم وقد ضرب الله على ابصارهم وذر التراب على رؤوسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيا الله له من الآيات ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما ارى انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعايل فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت

قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالأزلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي
صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أُتينا فقال لا تحزن
إن الله معنا فساخت ثانية إلى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان
فناداهم بالأمان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم أمانا كتبه ابن فهيرة وقيل أبو بكر وأخبرهم
بالأخبار وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يترك أحدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم
ما ههنا وقيل بل قال لهما أراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور
النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر آخر أن راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما
ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وأُنسي ما خرج له حتى رجع إلى موضعه وجاءه
فيما ذكر ابن إسحاق وغيره أبو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه
فلزقت بيده ويبست يداه إلى عنقه وأقبل يرجع القهقرى إلى خلفه ثم سأله أن يدعو له
ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه
عن شأنه فذكر أنه عرض لي دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بي أن يأكلني فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل عليه السلام لو دنا لأخذه وذكر السمرقندي أن رجلا من بني
المغيرة أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله
فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه وذكر أن في هاتين القصتين نزلت إنا جعلنا
في أعناقهم أغلالا الآيتين ومن ذلك ما ذكره ابن إسحاق في قصته إذ خرج إلى بني
قريظة في أصحابه فجلس إلى ظل جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش أحدهم ليطرح
عليه رحى فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف إلى المدينة وأعلمهم بقصتهم وقد قيل
إن قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم في هذه القصة نزلت
وحكى السمرقندي أنه خرج إلى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين اللذين قتل عمرو
بن أمية فقال له حيي بن أخطب اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا
فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر وتوامر حيي معهم على قتله فأعلم جبريل النبي صلى
الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر أهل التفسير
ومعنى الحديث عن أبي هريرة أن أبا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته
فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم أعلموه فأقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه

فسئل فقال لما دنوت منه أشرفت على خندق مملوء نارا كدت أهوي فيه وأبصرت هولا
عظيما وخفق أجنحة قد ملأت الأرض فقال صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته
عضوا عضوا ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا إن الإنسان ليطغى إلى آخر السورة
ويروى أن رجلا يعرف بشيبة بن عثمان الحجبي أدركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل
أباه وعمه فقال اليوم أدرك ثأري من محمد فلما اختلط الناس أتاه من خلفه ورفع سيفه
ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع إلي شواظ من نار أسرع من البرق فوليت هاربا
وأحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو أبغض الخلق إلي فما رفعها
إلا وهو أحب الخلق إلي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفي وأقيه بنفسي ولو لقيت
أبي تلك الساعة لأوقعت به دونه وعن فضالة بن عمرو أردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام
الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت
لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق
الله شيئا أحب إلي منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل وأربد بن قيس حين وفدا على
النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له أنا أشغل عنك وجه محمد صلى الله عليه وسلم فاضربه
أنت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت أن أضربه إلا وجدتك بيني وبينه
أفأضربك ومن عصمته له تعالى أن كثيرا من اليهود والكهنة أنذروا به وعينوه لقريش
وأخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه أمره ومن ذلك
نصره بالرعب أمامه مسيرة شهر كما قال صلى الله عليه وسلم

فصل ومن معجزاته الباهرة
صلى الله عليه وسلم ما جمعه الله له من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح
الدنيا والدين ومعرفته بأمور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح أمته
وما كان في الأمم قبله وقصص الأنبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم
إلى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد أنبائهم وأيام الله سبحانه فيهم
وصفات أعيانهم واختلاف آرائهم والمعرفة بمددهم وأعمارهم وحكم حكمائهم
ومحاجة كل أمة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم وإعلامهم
بأسرارها ومخبآت علومها وأخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه إلى الاحتواء على لغات
العرب وغريب ألفاظ فرقها والإحاطة بضروب فصاحاتها والحفظ لأيامها وأمثالها

وحكمها ومعاني أشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضروب الأمثال الصحيحة
والحكم البينة لتقريب التفهم للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي
لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الأخلاق ومحامد الآداب
وكل شيء مستحسن مفصل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئاً الا من جهة الخذلان
بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوّبه واستحسنه
دون طلب اقامة برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث
وصان به انفسهم واعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلاً والتخويف
بالنار آجلاً الى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة
والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ اهل هذه المعارف
كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة واصولاً في علمهم كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا
لأول عابر وهي على رجل طائر وقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا ثلث رؤيا حق ورؤيا
يحدث بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله صلى الله عليه وسلم اذا
تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله صلى الله عليه وسلم اصل كل داء البردة
وما روي عنه في حديث ابي هريرة من قوله المعدة حوض البدن والعروق اليها
واردة وان كان هذا حديثاً لا نصححه لضعفه وكونه موضوعاً تكلم عليه الدارقطني
وقوله صلى الله عليه وسلم خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير
الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وفي العود الهندي سبعة
اشفية وقوله صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن الى قوله فان كان
ولا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل
عن سبإ ارجل هو ام امرأة ام ارض فقال رجل ولد عشرة فتيامن منهم ستة
وتشاءم منهم اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب قضاعة وغير ذلك
مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب الى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم
حمير رأس العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والأزد كاهلها وجمجمتها وهمدان
غاربها وذروتها وقوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله
السموات والأرض وقوله في الحوض زواياه سواء وقوله صلى الله عليه وسلم

مذحج ابو قبيلة من اليمن وهو مذحج بن يحابر بن مالك بن يزيد بن كهلان

في حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان والف وخمسمائة في الميزان
وقوله وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا وقوله صلى الله عليه وسلم ما بين المشرق والمغرب
قبلة وقوله صلى الله عليه وسلم لعيينة او الاقرع انا افرس بالخيل منك وقوله صلى الله عليه وسلم
لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للممل هذا مع انه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتي علم
كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله صلى الله عليه وسلم
لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله في الحديث
الآخر الذي يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال له الق الدواة
وحرف القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم
وهذا وان لم تصح الرواية انه صلى الله عليه وسلم كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة
والقراءة واما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها فامر مشهور
قد نبهنا على بعضه اول الكتاب وكذلك حفظه كثيراً من لغات الامم كقوله في الحديث سنه
سنه وهي حسنة بالحبشية وقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث ابي هريرة
اشكنب درد وهو وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به
ولا ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو رجل قال الله
سبحانه امي لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة
لشيء من هذه الامور ولا عرف هو قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك الآية انما كانت غاية معارف العرب النسب واخبار اوائلها والشعر والبيان
وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لتعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه وهذا الفن
نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة
في دفع ما نصصناه الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله لسان
الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان فان الذي
نسبوا تعليمه اليه اما سلمان او العبد الرومي انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير
من القرآن وظهور ما لا ينعد من الآيات واما الرومي فكان اسلم وكان يقرأ على النبي
صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده المروة وكلاهما
اعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما اتى به والاتيان

وسلمان م

عندم

مثله بل عن فهم وصفه وصورة تاليفه ونظمه فكيف بأعجمي ألكن نعم وقد كان سلمان او بلعام الرومي او يعيش او جبر او يسار على اختلافهم في اسمه بين اظهرهم يكلمونهم مدى اعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده ان يجلس الى هذا فيأخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من اخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة ابنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة او سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة تحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيء ما اتى به من معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لكل امر

فصل ومن خصائصه عليه السلام وكراماته وباهر آياته انباؤه مع الملائكة والجن وامداد الله له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين الآية وقال تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا وقال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة الآيتين وقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية **حدثنا** سفيان بن العاصي الفقيه بسماعي عليه حدثنا ابو الليث السمرقندي حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا ابي حدثنا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله **قال** لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل واسرافيل وغيرهما من الملائكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور وقد رآهم بحضرته جماعة من اصحابه في مواطن مختلفة فرأى اصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الاسلام والايمان ورأى ابن عباس واسامة وغيرهما عنده جبريل في صورة دحية الكلبي ورأى سعد على يمينه

ويساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون الضارب ورأى ابو سفيان ابن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ما يقوم لها شيء وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن الحصين وأرى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد ان مصعب ابن عمير لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم انه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه **قال** بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصى فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال نغمة الجن من انت قال انا هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس فذكر انه لقي نوحا ومن بعده في حديث طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن وذكر الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه واعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى **وقال** صلى الله عليه وسلم ان شيطانا تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا الآية فرده الله خاسئا وهذا باب واسع **فصل** ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته ما ترادفت به الاخبار عن الرهبان والاحبار وعلماء اهل الكتب من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد في ذلك من اشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع والاوس بن حارثة وكعب بن لؤي وسفيان بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به من امره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما الفي من ذلك في التوراة والانجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنهما ثقات من اسلم منهم مثل ابن سلام وابني سعية وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم ممن اسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطور الحبشة وصاحب بصرى وضغاطر واسقف الشام والجارود

ابني سعية بسكون الموحدة تثنية ابن وسعية بفتح السين وسكون العين المهملتين بعدها مثناة تحتية

وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى وقد
اعترف بذلك هرقل وصاحب رومية عالما النصارى ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر
والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن اخطب واخوه وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم
من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء والاخبار في هذا كثيرة لا تنحصر
وقد قرع اسماع يهود والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من صفته وصفة اصحابه واحتج عليهم
بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم السنتهم ببيان امره
ودعوتهم المباهلة على الكاذب فما منهم الا من نفر عن معارضته وابدا اما الزمهم من كتبهم
اظهاره ولو وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس والاموال
وتخريب الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين
الى ما انذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى
نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بن بنت كريز وفاطمة
بنت النعمان ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته وحلول وقت رسالته
وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب واجواف الصور وما وجد من اسم النبي
صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم ما اكثره
مشهور واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور

فصل

ومن ذلك ما ظهر من الايات عند مولده وما حكته امه ومن حضره من العجائب وكونه رافعا راسه
عند ما وضعته شاخصا ببصره الى السماء وما راته من النور الذي خرج معه عند
ولادته وما راته اذ ذاك ام عثمان بن ابي العاص من تدلي النجوم وظهور النور
عند ولادته حتى ما تنظر الا النور وقول الشفاء ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط
صلى الله عليه وسلم على يدي واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله واضاء لي ما بين
المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظئراه
من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشاته
وما جرى من المعجزات ليلة مولده من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض
بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف عام لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه
ابي طالب واله وهو صغير شبعوا ورووا فاذا غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا

وكان سائر ولد ابي طالب يصبحون شعثا ويصبح صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا
كحيلا قالت ام ايمن حاضنته ما رايته صلى الله عليه وسلم شكى جوعا ولا عطشا صغيرا
ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم
استراق السمع وما نشا عليه من بغض الاصنام والعفة عن امور الجاهلية وما خصه الله به
من ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عن بناء الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على
عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما
بالك فقال اني نهيت عن التعري ومن ذلك اظلال الله تعالى له بالغمام في سفره
وفي رواية ان خديجة ونساءها راينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك
لميسرة فاخبرها انه راى ذلك منذ خرج معه في سفره وقد روي ان حليمة رات
غمامة تظله وهو عندها وروي ذلك عن اخيه من الرضاعة ومن ذلك انه نزل في بعض
اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها واينعت هي فاشرقت وتدلت
عليه اغصانها بمحضر من راه وميل فيء الشجرة اليه في الخبر الاخر حتى اظلته وما ذكر
انه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان لا يقع على جسده
ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحي اليه ثم اعلامه بموته ودنو
اجله وان قبره في المدينة وفي بيته وان بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة
وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة
الملائكة على جسده على ما رويناه في بعضها واستيذان ملك الموت عليه ولم يستاذن على
غيره قبله ونداءهم الذي سمعوه الا تنزعوا القميص عنه عند غسله وما روي من تعزية
الخضر والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على اصحابه من بركته في حياته وموته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته

فصل

قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قد اتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة
في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث
الطوال على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر
الا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد في جمهورها طلبا للاختصار
وبحسب هذا الباب لو تقصي ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا

اظهر من ساير معجزات الرسل بوجهين **أحدهما** كثرتها وانه لم يوت نبي معجزة الا وعند نبينا مثلها وما هو ابلغ منها وقد نبه الناس على ذلك فان اردته فتامل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبياء تقف على ذلك ان شا الله تعالى واما كونها كثيرة فهذا القرآن فكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ايمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر او اية في قدرها وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وزاد اخرون ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى قل فاتوا بسورة مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا ففي القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فتجزأ القرآن على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزية الخبر عن اشيا من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القرآن ولا يكاد ياخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة عنه صلى الله عليه وسلم في هذه الابواب وعما دل على امره مما اشرنا الى جملته تبلغ نحوا من هذا **الوجه** الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فان معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل زمانهم وبحسب الفن الذي قد سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى عليه السلام غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك زمن عيسى اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه من احياء الميت وابراء الاكمه والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا ساير معجزات الانبياء ثم ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فانزل عليه القرآن الخارق لهذه الاربعة فصول من الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه

ولا علموا في اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكواين والحوادث والاسرار والمخبات والضماير فيوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان اعدى العدو فابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون السالفة وانبا الانبياء والامم البايدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة الى يوم القيمة بينة الحجة لكل امة تاتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتامل وجوه اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عندها حقا وساير معجزات الانبياء انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا لا تبيد ولا تنقطع واياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما حدثنا القاضي الشهيد ابو علي حدثنا القاضي ابو الوليد حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا الليث عن سعيد عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم **قال** ما من نبي من الانبياء نبي الا واعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحاه الله الي فارجوا اني اكثرهم تابعا يوم القيمة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شا الله وذهب غير واحد من العلما في تاويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم الى معنى اخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فان غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها باشيا طمعوا في التخييل بها على الضعفا كالقا السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر او يتحيل فيه والقرآن كلام الله ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتاويل الاول اخلص وارضى وفي هذا التاويل الثاني ما يغمض الجفن عليه ويغضي **وجه** ثالث على مذهب من قال بالصرفة وان المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبي اهل السنة من الاتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك

قبلُ ولا يكون بعدُ لأنّ الله سبحانه لم يُقدِرهم ولا يُقدِرهم عليه وبين المذهبين فرقٌ بيّنٌ وعليهما جميعاً فترْكُ العرب الإتيانَ بما في مقدورهم أو ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسِّبا والإذلال وتغيير الأحوال وسلب النفوس والأموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد أبينُ آيةٍ للعجز عن الإتيان بمثله والنكول عن معارضته وأنّهم منعوا عن شيءٍ هو من جنس مقدورهم وإلى هذا ذهب الإمام أبو المعالي الجوينيّ وغيره **قال** وهذا عندنا أبلغُ في خرق العادة بالأفعال البديعة في أنفسها كقلب العصا حيّةً ونحوها فإنّه قد يسبق إلى بال الناظر بدارًا أنّ ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزيّة معرفةٍ في ذلك الفنّ وفضل علمٍ إلى أن يردّ ذلك صحيحُ النظر وأمّا التحدّي للخلائق المئين من السنين بكلامٍ من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفّر الدواعي على المعارضة ثمّ عدمها إلّا منعُ الله الخلقَ عنها بمثابة ما لو قال نبيّ آيتي أن يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجّزهم الله عن القيام لكان ذلك من أبهر آيةٍ وأظهر دلالةٍ وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء وجهُ ظهور آيته على سائر آيات الأنبياء حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقّة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور عقلها وأنّهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم وغيرهم من القبط وبني إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلّة الفطنة بحيث جوّز عليهم فرعون أنّه ربّهم وجوّز عليهم السامريّ ذلك في العجل بعد إيمانهم وعبدوا المسيح مع إجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبّه لهم فجاءتهم من الآيات الظاهرة البيّنة للأبصار بقدر غلظ أفهامهم ما لا يشكّون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً ولم يصبروا على المنّ والسلوى واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير والعرب على جاهليّتها أكثرها تعترف بالصانع وإنّما كانت تتقرّب بالأصنام إلى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلّى الله عليه وسلّم بدليل عقله وصفاء لبّه ولمّا جاءهم الرسول بكتاب من عند الله فهموا حكمته وتبيّنوا بفضل إدراكهم لأوّل وهلةٍ معجزته فآمنوا به وازدادوا كلّ يوم إيمانًا ورفضوا الدنيا كلّها في صحبته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وأبناءهم في نصرته وأتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج إليه وحقّق لكنّا قدّمنا من بيان معجزة نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم وظهورها ما يغني عن ركوب هذه المسالك وظهورها وبالله المستعان

القسم الثاني فيما يجب على الأنام من حقوقه صلّى الله عليه وسلّم

قال القاضي أبو الفضل وهذا قسمٌ لخّصنا فيه الكلام في أربعة أبواب على ما ذكرناه في أوّل الكتاب ومجموعها في تصديقه واتّباعه وطاعته ومحبّته ومناصحته وتوقيره وبرّه وحكم الصلوة عليه والتسليم وزيارة قبره صلّى الله عليه وسلّم

الباب الأوّل في فرض الإيمان به

ووجوب طاعته واتّباع سنّته إذا تقرّر بما قدّمناه ثبوتُ نبوّته وصحّة رسالته وجب الإيمان به وتصديقه فيما أتى به **قال** الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا **وقال** تعالى إنّا أرسلناك شاهدًا ومبشّرًا ونذيرًا لتؤمنوا بالله ورسوله **وقال** تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبيّ الأمّيّ الآية فالإيمان بالنبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم واجبٌ متعيّنٌ لا يتمّ إيمانٌ إلّا به ولا يصحّ إسلامٌ إلّا معه **قال** الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنّا أعتدنا للكافرين سعيرًا **حدّثنا** أبو محمّد الخشنيّ الفقيه بقراءتي عليه حدّثنا الإمام أبو عليّ الطبريّ حدّثنا عبد الغافر الفارسيّ حدّثنا ابن عمرويه حدّثنا ابن سفين حدّثنا أبو الحسين حدّثنا أميّة بن بسطام حدّثنا يزيد بن زريع حدّثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم **قال** أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلّا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلّا بحقّها وحسابهم على الله **قال** القاضي أبو الفضل والإيمان به صلّى الله عليه وسلّم هو تصديق نبوّته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنّه رسول الله فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تمّ الإيمان به والتصديق كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّدًا رسول الله وقد زاده وضوحًا في حديث جبريل إذ قال أخبرني عن الإسلام **فقال** النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أن تشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّدًا رسول الله وذكر أركان الإسلام ثمّ سأله عن الإيمان **فقال** أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرّر أنّ الإيمان به محتاجٌ إلى العقد بالجنان والإسلام به مضطرٌّ إلى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامّة **وأمّا** الحال المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق

قال الله تعالى إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون أي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصاديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمايرهم لم ينفعهم أن يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الإيمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه إذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك الأسفل من النار وبقي عليهم حكم الإسلام بإظهار شهادة اللسان في أحكام الدنيا المتعلقة بالأئمة وحكام المسلمين الذين أحكامهم على الظواهر بما أظهروه من علامة الإسلام إذ لم يجعل للبشر سبيل إلى السرائر ولا أمروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه وللفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل الشهادة من الإسلام والتصديق من الإيمان وبقيت حالتان أخريان بين هذين أحدهما أن يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الإيمان القول والشهادة به وراه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه الثانية أن يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه أيضا فقيل هو مؤمن لأنه مصدق والشهادة من جملة الأعمال فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة إذ الشهادة إنشاء عقد والتزام إيمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة إلا بها وهذا هو الصحيح وهذا نبذ يفضي إلى متسع من الكلام في الإسلام والإيمان وأبوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وإنما يرجع إلى ما زاد عليه من عمل أو قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التأليف وفيما ذكرنا غنية فيما قصدنا إن شاء الله تعالى فصل وأما وجوب طاعته فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لأن ذلك مما أتى به قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله وقال قل أطيعوا الله والرسول

وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال وإن تطيعوه تهتدوا وقال من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول فأولئك الآية وقال وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب وأوعد على مخالفته بسوء العقاب وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه قال المفسرون والأئمة طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا وما أرسل الله من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليه وقالوا من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الإسلام فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وقال السمرقندي يقال أطيعوا الله في فرائضه والرسول في سنته وقيل أطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال أطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه حدثنا حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن خلف حدثنا محمد بن أحمد حدثنا محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا عبدان حدثنا عبد الله حدثنا يونس عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة يقول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصا أميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله إذ الله أمر بطاعته فطاعته امتثال لما أمر الله به وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال صلى الله عليه وسلم إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر شيء فأتوا منه ما استطعتم وفي حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى وفي الحديث الآخر عنه صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء فأطاعه طايفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طايفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم

مثلي

فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جيت به ومثل من عصاني وكذب ما جيت به من الحق
وفي الحديث الاخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مادبة وبعث داعيا فمن اجاب
الداعي دخل الدار واكل من المادبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة
فالدار الجنة والداعي محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد
فرق بين الناس **فصل** واما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتدا بهديه فقد
قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال فامنوا
بالله ورسوله النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون **وقال**
فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الى قوله ويسلموا تسليما اي ينقادون
لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد **وقال** لقد كان لكم في رسول الله اسوة
حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر الاية قال محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول
الاقتدا به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول وفعل وقال غير واحد من المفسرين
بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه **وقال** سهل في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم
قال بمتابعة السنة فامرهم تعالى بذلك ووعدهم الاهتدا باتباعه لان ارسله بالهدى
ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم محبته
تعالى في الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه واثروه على اهوايهم وما تجنح اليه نفوسهم
وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه **وروي**
عن الحسن ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله الاية وروي ان الاية نزلت في كعب ابن الاشرف وغيره وانهم
قالوا نحن ابنا الله واحباوه ونحن اشد حبا لله فانزل الله الاية **وقال** الزجاج معناه
ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول
طاعته لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال
الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما **قال القايل**

تعصي الاله وانت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع
في كل يوم يبتديك بنعمة ... منه وانت لشكر ذاك مضيع

ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له وارادته الجميل له
ويكون بمعنى مدحه وثنايه عليه قال القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة
والمدح كان من صفات الذات وسياتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى
حدثنا ابو اسحاق ابرهيم بن جعفر الفقيه قال حدثنا ابو الاصبغ عيسى ابن سهل وحدثنا
ابو الحسن يونس ابن مغيث الفقيه بقراتي عليه قالا حدثنا حاتم بن محمد قال حدثنا ابو حفص
الجهني حدثنا ابو بكر الاجري حدثنا ابرهيم بن موسى الجوزي حدثنا داود بن رشيد
حدثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن ابن عمرو
الاسلمي وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم
انه **قال** فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ
واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث
جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث ابي رافع عنه صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم
متكيا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا
في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عايشة صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا ترخص فيه
فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشي
اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية **وروي** عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
القران صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جامع
القران ومن تهاون بالقران وحديثي خسر الدنيا والاخرة امرت امتي ان ياخذوا بقولي
ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقران **قال** الله تعالى وما اتاكم الرسول
فخذوه الاية قال صلى الله عليه وسلم من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني **وعن**
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي
محمد وشر الامور محدثاتها **وعن** عبد الله بن عمرو بن العاصي قال النبي صلى الله عليه وسلم
العلم ثلثة سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قايمة او فريضة عادلة **وعن** الحسن
ابن ابي الحسن **قال** صلى الله عليه وسلم عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال صلى الله
عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها **وعن** ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال المتمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر ماية شهيد وقال صلى الله عليه وسلم ان بني اسرايل

افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان أمتي تفترق على ثلث وسبعين كلها في النار الا واحدة
قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم وأصحابي وعن انس بن مالك قال قال صلى الله عليه وسلم
من احيا سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي وعن عمرو بن عوف المزني أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لبلال بن الحارث من احيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من الاجر مثل من عمل بها
من غير ان ينقص من أجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه
مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا

فصل ٥ وأما ما ورد عن السلف
والأئمة من اتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته حدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد
الرحمن ابن ابي تليد الفقيه سماعا عليه حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم
بن اصبغ ووهب بن مسرة قالا حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن
ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن اسيد انه سال عبد الله فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد
صلوة الخوف وصلوة الحضر في القرآن ولا نجد صلوة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله بعث
الينا محمدا ولم نعلم شيئا فانما نفعل كما رايناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة
الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها من اقتدى بها
مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه
جهنم وساءت مصيرا وقال الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة
وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب
بتعلم السنة والفرائض واللحن اي اللغة وقال ان ناسا سيجادلونكم يعني بالقرآن فخذوهم بالسنن
فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله وفي خبره حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال اصنع كما رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي حين قرن فقال له عثمان ترى اني انهى الناس عنه وتفعله
قال لم اكن ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس وعنه الا اني لست بنبي
ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت وكان ابن مسعود يقول
القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر صلاة السفر ركعتان من خالف
السنة كفر وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل
والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله أبدا وما على الارض من عبد على السبيل

والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها
فهي كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها الا حط الله عنه خطاياه كما
تحات عن الشجرة ورقها فإن اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة
وانظروا أن يكون عملكم ان كان اجتهادا او اقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء وسنتهم
وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز اليه بحال بلده وكثرة لصوصه هل نأخذهم بالظنة
او نحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة
فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطاء في قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه
الى الله والرسول الى كتاب الله وسنة رسول الله وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا اتباعها وقال عمر ونظر الى الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني رايت رسول الله
يقبلك ما قبلتك ثم قبله ورأى عبد الله بن عمر يدير ناقته في مكان فسئل فقال لا ادري
الا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال ابو عثمان الحيري من امر السنة
على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل
التستري اصول مذهبنا ثلثة الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق والافعال
والاكل من الحلال واخلاص النية في جميع الاحوال وجاء في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح
يرفعه انه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي عن احمد بن حنبل قال كنت يوما
مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرايت في تلك الليلة قائلا لي يا احمد ابشر فان الله
قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من انت قال جبريل

فصل ومخالفة امره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه
بالخذلان والعذاب قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة
او يصيبهم عذاب اليم وقال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الآية حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر
وعبد الرحمن ابن عتاب بقراءتي عليهما قالا حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن
القابسي حدثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ حدثنا احمد بن ابي سليمان حدثنا سحنون بن
سعيد حدثنا ابن القاسم حدثنا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم خرج إلى المقبرة وذكر الحديث في صفة أمته وفيه فليذادن رجال عن حوضي
كما يذاد البعير الضال فأناديهم ألا هلم ألا هلم ألا هلم فيقال إنهم قد بدلوا بعدك
فأقول فسحقا فسحقا فسحقا وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن
سنتي فليس مني وقال من أدخل في أمرنا ما ليس منه فهو رد وروى ابن أبي رافع عن أبيه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به
أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث المقدام
ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال صلى الله عليه وسلم
وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا أو قال ضلالا أن يرغبوا عما جاء به نبيهم
إلى غير نبيهم أو كتاب غير كتابهم فنزلت أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى
عليهم الآية وقال صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون وقال أبو بكر الصديق رضي
الله عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به إني أخشى
إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ

الباب الثاني في لزوم محبته

قال الله تعالى
قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها
الآية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على إلزام محبته ووجوب فرضها
وعظم خطرها واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم إذ قرع تعالى من كان ماله وأهله وولده
أحب إليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ثم فسقهم
بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا أبو علي الغساني الحافظ فيما
أجازنيه وهو مما قرأته على غير واحد قال حدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا أبو محمد
الأصيلي حدثنا المروزي حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا
يعقوب بن إبرهيم حدثنا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين
وعن أبي هريرة نحوه وعن أنس ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله
أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره
أن يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لأنت
أحب إلي من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن

أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه فقال عمر والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي
من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر قال سهل من لم ير
ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم عليه في جميع الأحوال ويرى نفسه في ملكه صلى الله عليه وسلم
لا يذوق حلاوة سنته لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه
من نفسه الحديث

فصل في ثواب محبته

حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه
حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن علي بن خلف حدثنا أبو زيد المروزي حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا عبدان حدثنا أبي حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة
عن سالم بن أبي الجعد عن أنس أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله
قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها من كبير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني
أحب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت وعن صفوان بن قدامة هاجرت إلى النبي
صلى الله عليه وسلم فأتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك أبايعك فناولني يده فقلت يا رسول
الله إني أحبك قال المرء مع من أحب وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله
بن مسعود وأبو موسى وأنس وعن أبي ذر بمعناه وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن
النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين فقال من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي
في درجتي يوم القيمة وروي أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لأنت
أحب إلي من أهلي ومالي وإني لأذكرك فما أصبر حتى أجيء فأنظر إليك وإني ذكرت موتي وموتك
فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإن دخلتها لا أراك فأنزل الله تعالى ومن يطع
الرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
أولئك رفيقا فدعا به فقرأها عليه وفي حديث آخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم
ينظر إليه لا يطرف فقال ما بالك قال بأبي وأمي أتمتع من النظر إليك فإذا كان يوم القيمة
رفعك الله بتفضيله فأنزل الله الآية وفي حديث أنس من أحبني كان معي في الجنة

فصل فيما روي عن السلف والأئمة من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له

حدثنا القاضي الشهيد حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفين
حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني

بأهله وماله ومثله عن أبي ذر وتقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لأنت أحب إلي
من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاصي ما كان أحد أحب إلي من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار يسميهم ويقول هم أصلي وفصلي
وإليهم يحن قلبي طال شوقي إليهم فعجل رب قبضي إليك حتى يغلبه النوم وروي عن أبي بكر
أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه يعني
أباه أبا قحافة وذلك أن إسلام أبي طالب كان أقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب قاله للعباس
أن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب لأن ذلك أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن
إسحاق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت أرنيه حتى أنظر إليه فلما
رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن أبي طالب كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ
وعن زيد بن أسلم خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت وإذا عجوز تنفش صوفا
وتقول
على محمد صلاة الأبرار ... صلى عليه الطيبون الأخيار
قد كنت قواما بكا بالأسحار ... يا ليت شعري والمنايا أطوار
هل تجمعني وحبيبي الدار
تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس
عمر يبكي وفي الحكاية طول وروي أن عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر أحب
الناس إليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت ولما احتضر بلال نادت امرأته واحزناه
فقال واطرباه غدا ألقى الأحبة محمدا وحزبه ويروى أن امرأة قالت لعائشة اكشفي لي قبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة
من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان بن حرب أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمدا الآن
عندنا مكانك تضرب عنقه وأنك في أهلك فقال زيد والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي
هو فيه تصيبه شوكة وأني جالس في أهلي فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا
كحب أصحاب محمد محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس كانت المرأة إذا أتت النبي صلى الله عليه وسلم
حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بأرض عن أرض وما خرجت إلا حبا لله
ورسوله ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال والله كنت ما علمت صواما

قواما تحب الله ورسوله

فصل في علامة محبته صلى الله عليه وسلم

اعلم أن
من أحب شيئا آثره وآثر موافقته وإلا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا
فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه وأولها
الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب
نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد
هذا قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وإيثار ما شرعه
وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين تبوءوا الدار
والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا
ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وإسخاط العباد في رضى الله حدثنا
القاضي أبو علي الحافظ حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل ابن خيرون قالا حدثنا
أبو يعلى البغدادي حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا أبو عيسى حدثنا مسلم
بن حاتم حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال
قال أنس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي
ليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني
ومن أحبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها
في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله صلى الله عليه وسلم
للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه
فإنه يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له فمن أحب شيئا
أكثر ذكره ومنها كثرة شوقه إلى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث
الأشعريين عند قدومهم المدينة أنهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الأحبة محمدا وصحبه
وتقدم قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان
ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره له عند ذكره وإظهار الخشوع والانكسار
مع سماع اسمه قال إسحاق التجيبي كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده
لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم
من يفعل ذلك محبة له وشوقا إليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن أحب

النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار وعداوة
من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم فمن أحب شيئا أحب من يحب وقد قال صلى
الله عليه وسلم في الحسن والحسين اللهم إني أحبهما فأحبهما وفي رواية في الحسن فأحب
من يحبه وقال من أحبهما فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغضهما فقد أبغضني
ومن أبغضني فقد أبغض الله وقال الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن أحبهم فبحبي
أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله
ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقال في فاطمة إنها بضعة مني يغضبني ما أغضبها
وقال لعائشة في أسامة بن زيد أحبيه فإني أحبه وقال آية الإيمان حب الأنصار وآية
النفاق بغضهم وفي حديث ابن عمر من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم
فبالحقيقة من أحب شيئا أحب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات
النفس وقد قال أنس حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدبا من حوالي القصعة فما زلت
أحب الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر أتوا سلمى وسألوها
أن تصنع لهم طعاما مما كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عمر يلبس النعال السبتية
ويصبغ بالصفرة إذ رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من أبغض الله
ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل أمر
يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد
الله ورسوله وهؤلاء أصحابه صلى الله عليه وسلم قد قتلوا أحباءهم وقاتلوا آباءهم وأبناءهم في مرضاته
وقال له عبد الله بن عبد الله بن أبي لو شئت لأتيتك برأسه يعني أباه ومنها أن يحب
القرآن الذي أتى به صلى الله عليه وسلم وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة كان
خلقه القرآن وحبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب سنته ويقف عند حدودها
قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي
صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة
وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يدخر منها إلا زادا وبلغة إلى
الآخرة وقال ابن مسعود لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن فهو يحب
الله ورسوله ومن علامة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته على أمته ونصيحته لهم وسعيه

في مصالحهم ورفع المضار عنهم كما كان صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوفا رحيما ومن علامة
تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وإيثاره الفقر واتصافه به وقد قال صلى الله عليه وسلم
لأبي سعيد الخدري إن الفقر إلى من يحبني منكم أسرع من السيل من أعلى الوادي والجبل
إلى أسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله إني أحبك
فقال انظر ما تقول قال والله إني أحبك ثلاث مرات قال إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا
ثم ذكر نحو حديث أبي سعيد بمعناه.

فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها

اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع
بالحقيقة إلى اختلاف مقال ولكنها اختلاف أحوال فقال سفيان المحبة اتباع الرسول صلى الله
عليه وسلم كأنه التفت إلى قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية وقال بعضهم محبة
الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة
دوام الذكر للمحبوب وقال آخر إيثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق إلى المحبوب وقال
بعضهم المحبة مواطأة القلب لمراد الرب يحب ما أحب ويكره ما يكره وقال آخر المحبة
ميل القلب إلى موافق له وأكثر العبارات المتقدمة إشارة إلى ثمرات المحبة دون حقيقتها
وحقيقة المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان وتكون موافقته له إما لاستلذاذه بإدراكه
كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها مما كل
طبع سليم مائل إليها لموافقتها له أو لاستلذاذه بإدراكه بحاسة عقله وقلبه معاني
باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء وأهل المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة
والأفعال الحسنة فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم
لقوم والتشيع من أمة في آخرين ما يؤدي إلى الجلاء عن الأوطان وهتك الحرم واخترام النفوس
أو يكون حبه إياه لموافقته له من جهة إحسانه له وإنعامه عليه فقد جبلت النفوس على
حب من أحسن إليها فإذا تقرر لك هذا نظرت هذه الأسباب كلها في حقه صلى الله عليه وسلم فعلمت
أنه صلى الله عليه وسلم جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة أما جمال الصورة
والظاهر وكمال الأخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا
يحتاج إلى زيادة وأما إحسانه وإنعامه على أمته فكذلك قد مر منه
في أوصاف الله تعالى له من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته إياهم وشفقته عليهم

واستنقاذهم به من النار وانه بالمؤمنين رؤوف رحيم ورحمة للعالمين وبشيرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ويتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويهديهم الى صراط مستقيم فاي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى
جميع المؤمنين واي افضال اعم منفعة واكثر فايدة من انعامه على كافة المسلمين
اذ كان ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم
الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدايم والنعيم السرمد
فقد استبان لك انه صلى الله عليه وسلم مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه
من صحيح الآثار وعادة وجبلة بما ذكرناه آنفا لافاضته الاحسان وعمومه الاجمال
فاذا كان الانسان يحب من منحه في دنياه مرة او مرتين معروفا او استنقذه من هلكة
او مضرة مدة التاذي بها قليل منقطع فمن منحه من النعم ما لا يبيد ووقاه ما لا يفنى من عذاب
الجحيم اولى بالحب واذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يؤثر من قوام طريقه
او قاض بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب
الكمال احق بالحب واولى بالميل وقد قال علي رضي الله عنه في صفته صلى الله عليه وسلم
من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض الصحابة انه كان لا يصرف
بصره عنه محبة فيه

فصل في وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى
ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله
غفور رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين مسلمين في السر
والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد بقراتي عليه حدثنا حسين بن محمد حدثنا يوسف
ابن عبد الله حدثنا بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر التمار حدثنا ابو داود حدثنا احمد بن يونس
حدثنا زهير حدثنا سهيل بن ابي صالح عن عطا ابن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله
قال لله ولكتابه ولرسوله ولايمة المسلمين وعامتهم قال ايمتنا رحمهم الله النصيحة
لله ولرسوله وايمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام ابو سليمان البستي النصيحة
كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة
تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه

وقال ابو بكر بن ابي اسحاق الخفاف النصح فعل الشيء الذي به الصلاح والملايمة ماخوذة
من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب وقال ابو اسحق الزجاج نحوه فنصيحة
الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه
والرغبة في محابه والبعد من مساخطه والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به
والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب
عنه من تاويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة
له فيما امر به ونهى عنه قاله ابو سليمان وقال ابو بكر وموازرته ونصرته وحمايته
حيا وميتا واحيا سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة
وآدابه الجميلة قال ابو ابرهيم اسحاق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم
التصديق بما جا به والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله والى
كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب
اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر الآجري وغيره النصح له يقتضي
نصحين نصحا في حيوته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة
عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال
تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال تعالى وينصرون الله ورسوله الآية
واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة له
والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة آل بيته واصحابه ومجانبة
من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على امته والبحث
عن تعرف اخلاقه وسيره وآدابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة احدى
ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام ابو القاسم
القشيري ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار
رؤي في النوم فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي فقيل بماذا قال صعدت ذروة
جبل يوما فاشرفت على جنودي فاعجبني كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي واما النصح لايمة
المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه

وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من أمور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وإفساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين وإرشادهم إلى مصالحهم ومعونتهم في أمور دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع إليهم

الباب الثالث في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره

قال الله تعالى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ويا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الثلث آيات وقال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً فأوجب الله تعالى تعزيزه وتوقيره وألزم إكرامه وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الأخفش تنصرونه وقال الطبري تعينوه وقرئ تعززوه بزايين من العز ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الأدب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل أن يقول وإذا قال فاستمعوا له وانصتوا ونهوا عن التقدم والتعجيل بقضاء أمر قبل قضائه فيه وأن يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال أو غيره من أمر دينهم إلا بأمره ولا يسبقوه به إلى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال تعالى واتقوا الله إن الله سميع عليم قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم وقال السلمي اتقوا الله في إهمال حقه وتضييع حرمته إنه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضاً باسمه قال أبو محمد مكي أي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولا يرفع صوته وقيل ينادي ولكن عظموه ووقروه ونادوه بأشرف ما يحب أن ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله في الآية الأخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً على أحد التأويلين وقال غيره لا تخاطبوه إلا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط أعمالهم إن هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الآية

في وفد بني تميم وقيل في غيرهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج إلينا فذمهم الله بالجهل ووصفهم بأن أكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الآية الأولى في محاورة كانت بين أبي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت أصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في أذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الآية أقام في منزله وخشي أن يكون حبط عمله ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت أن أكون هلكت نهانا الله أن نجهر بالقول وأنا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي أن أبا بكر لما نزلت هذه الآية قال والله يا رسول الله لا أكلمك بعدها إلا كأخي السرار وأن عمر كان إذا حدثه حدثه كأخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه فأنزل الله تعالى فيهم إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم وقيل نزلت إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون في غير بني تميم نادوه باسمه وروى صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري أيا محمد أيا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فإنك قد نهيت عن رفع الصوت وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الأنصار نهوا عن قولها تعظيماً للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلاً له لأن معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها إذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم بل حقه أن يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعاً للذريعة ومنعاً للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا

فصل في عادة الصحابة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتوقيره وإجلاله حدثنا القاضي أبو علي الصدفي وأبو بحر الأسدي بسماعي عليهما في آخرين قالوا حدثنا أحمد بن عمر حدثنا أحمد بن الحسن حدثنا محمد بن عيسى حدثنا إبراهيم بن سفيان حدثنا مسلم حدثنا محمد بن المثنى وأبو معن الرقاشي وإسحاق بن منصور قالوا حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا حيوة بن شريح حدثني يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر حديثاً طويلاً فيه عن عمرو قال وما كان

أحدٌ أحبّ إليّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجلّ في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ
عيني منه إجلالاً له ولو سُئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه وروى
الترمذي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه من المهاجرين
والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحدٌ منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر
فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسّمان إليه ويتبسّم إليهما وروى
أسامة بن شريك أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير
وفي حديث صفته إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير وقال عروة
ابن مسعود حين وجّهته قريش عام القضية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم
أصحابه له ما رأى وإنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق
بصاقاً ولا يتنخّم نخامة إلا تلقّوها بأكفّهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط
منه شعرة إلا ابتدروها وإذا أمرهم بأمرٍ ابتدروا أمره وإذا تكلم خفضوا أصواتهم
عنده ولا يُحدّون إليه النظر تعظيماً له فلما رجع إلى قريش قال يا معشر قريش إني جئت
كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه وإني والله ما رأيت ملكاً في قومه قط
مثل محمد في أصحابه وفي رواية إن رأيت ملكاً قط يعظّمه أصحابه ما يعظّم محمداً
أصحابه وقد رأيت قوماً لا يُسلمونه أبداً وعن أنس لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل
ومن هذا لما أذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجّهه النبي صلى الله عليه وسلم
إليهم في القضية أبى وقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي حديث طلحة أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لأعرابي جاهل سَلْه
عمّن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقّرونه فسأله فأعرض عنه إذ طلع طلحة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممّن قضى نحبه وفي حديث قيلة فلما رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم جالساً القرفصاء أُرعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيماً وفي حديث
المغيرة كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالأظافر وقال البراء بن عازب
لقد كنت أريد أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأمر فأُؤخّر سنين من هيبته

فصل

واعلم أن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم

كما كان حال حياته وذلك عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر حديثه وسنّته وسماع
اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم أهل بيته وصحابته قال أبو إبراهيم
التجيبي واجبٌ على كل مؤمن متى ذكره أو ذُكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقّر
ويسكّن من حركته ويأخذ في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين
يديه ويتأدّب بما أدّبنا الله به قال القاضي أبو الفضل وهذه كانت سيرة سلفنا
الصالح وأئمتنا الماضين رضي الله عنهم حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
الأشعري وأبو القاسم أحمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما أجازونيه قالوا حدثنا أبو العباس
أحمد بن عمر بن دلهاث قال حدثنا أبو الحسن علي بن فهر حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج
حدثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب حدثنا يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل حدثنا ابن حميد
قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك
يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله عز وجل أدّب قوماً فقال لا ترفعوا
أصواتكم فوق صوت النبي الآية ومدح قوماً فقال إن الذين يغضّون أصواتهم عند رسول الله
الآية وذمّ قوماً فقال إن الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وإن حرمته ميتاً كحرمته
حياً فاستكان لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله أأستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم
عليه السلام إلى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفّعك الله قال الله تعالى ولو أنهم
إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله الآية وقال مالك وقد سُئل عن أيوب السختياني
ما حدّثتكم عن أحدٍ إلا وأيوب أفضل منه قال وحجّ حجّتين فكنت أرمقه ولا أسمع منه
غير أنه كان إذا ذُكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله
للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان مالك إذا ذُكر النبي صلى
الله عليه وسلم يتغيّر لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوماً في ذلك فقال
لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم عليّ ما ترون لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القرّاء
لا نكاد نسأله عن حديث أبداً إلا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان
كثير الدعابة والتبسّم فإذا ذُكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفرّ وما رأيته يحدّث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على طهارة ولقد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلا

على ثلاث خصال إما مصليا أو صائما أو يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان
من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر
النبي صلى الله عليه وسلم فينظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه
هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا
ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد رأيت الزهري
وكان من أهنا الناس وأقربهم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك
ولا عرفته ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فإذا
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروي
عن قتادة أنه كان إذا سمع الحديث أخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك
الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا
لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء وكان عبد الرحمن بن مهدي
إذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا أصواتكم فوق
صوت النبي ويتأول أنه يجب له من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله

فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته

حدثنا الحسن بن محمد الحافظ حدثنا أبو الفضل بن خيرون حدثنا أحمد بن سنان
أبو بكر البرقاني وغيره حدثنا أبو الحسن الدارقطني حدثنا علي بن مبشر حدثنا أحمد
بن سنان القطان حدثنا يزيد بن هرون حدثنا المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو
بن ميمون قال اختلفت إلى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلا أنه حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم علاه كرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا إن شاء الله أو فوق ذا
أو ما دون ذا أو ما قرب من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت
عيناه وانتفخت أوداجه وقال إبرهيم بن عبد الله بن قريم الأنصاري قاضي المدينة
مر مالك بن أنس على أبي حازم وهو يحدث فجازه وقال إني لم أجد موضعا أجلس فيه
فكرهت أن آخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قائم وقال مالك جاء رجل إلى
ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت

أنك لم تتعن فقال إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع وروي
عن محمد بن سيرين أنه قد يكون يضحك فإذا ذكر عنده حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم خشع وقال
أبو مصعب كان مالك بن أنس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو على وضوء
إجلالا له ويحكي مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن أنس
إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل
عن ذلك فقال إنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف كان إذا أتى الناس مالكا
خرجت إليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل فإن قالوا
المسائل خرج إليهم وإن قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا
ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه
الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابن أبي أويس فقيل لمالك في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنا قال وكان يكره أن يحدث في الطريق أو هو قائم
أو مستعجل وقال أحب أن أفهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك
كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر
ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت يا أبا عبد الله
لقد رأيت منك اليوم عجبا قال نعم إنما صبرت إجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك إلى العقيق فسألته عن حديث فانتهرني وقال لي كنت
في عيني أجل من أن تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي وسأله جرير بن
عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فأمر بحبسه فقيل له إنه قاض قال القاضي أحق
من أدب وذكر أن هشام بن الغازي سأل مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين
سوطا ثم أشفق عليه فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني
حديثا وقال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث إلا وهما طاهران
وكان قتادة يستحب أن لا يقرأ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم إلا على وضوء ولا يحدث
إلا على طهارة وكان الأعمش إذا أراد أن يحدث وهو على غير وضوء تيمم

فصل ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وامهات المؤمنين ازواجه كما حض صلى الله عليه وسلم وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم قال الله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال تعالى وازواجه امهاتهم **اخبرنا** الشيخ ابو محمد بن احمد العدل من كتابه وكتبت من اصله حدثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف قالت حدثني ابي حدثنا حاتم وهو بن عقيل حدثنا يحيى هو بن اسمعيل حدثنا يحيى هو الحماني حدثنا وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله واهل بيتي ثلثا قلنا ليزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس **وقال** صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لم تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما **وقال** صلى الله عليه وسلم معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب **قال** بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه **وعن** عمر بن ابي سلمة لما نزلت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم **قال** اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا **وعن** سعد بن ابي وقاص لما نزلت آية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء اهلي **وقال** النبي صلى الله عليه وسلم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق **وقال** للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ومن آذى عمي فقد آذاني وانما عم الرجل صنو ابيه **وقال** للعباس اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته وقال هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين وكان ياخذ اسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم اني احبهما فاحبهما **وقال** ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا في اهل بيته وقال ايضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي **وقال** صلى الله عليه وسلم احب الله من احب حسنا

وقال من احبني واحب هذين واشار الى حسن وحسين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة **وقال** صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله **وقال** قدموا قريشا ولا تقدموها **وقال** صلى الله عليه وسلم لام سلمة لا توذيني في عائشة **وعن** عقبة بن الحرث رايت ابا بكر رضي الله عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك **وروي** عن عبد الله بن حسن بن حسن قال اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة لي فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل الي او اكتب فاني استحيي من الله ان يراك على بابي **وعن** الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت اليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا ورأى ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد **فقال** ليت هذا عندي فقيل له هو محمد بن اسامة فطاطا ابن عمر راسه ونقر بيده الارض وقال لو راه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه **وقال** الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يديها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها **ولما** فرض عمر بن الخطاب لابنه عبد الله في ثلثة الاف ولاسامة بن زيد في ثلثة الاف وخمس ماية **قال** عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد فقال لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك فاثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية ان كابس بن ربيعة كان يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم **وروي** ان مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فافاق فقال اشهدكم اني قد جعلت ضاربي في حل فسيل بعد ذلك فقال خفت ان اموت فالقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيي منه ان يدخل بعض آله النار بسببي وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال له اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقال** ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي لبدات بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله

صلى الله عليه وسلم ولأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إلي من أن أتقدمه عليها وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له أتسجد هذه الساعة فقال أليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم آية فاسجدوا وأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر وعمر يزوران أم أيمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ويقولان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية على النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي وفدت على أبي بكر وعمر فصنعا بها مثل ذلك

فصل ومن بره وتوقيره صلى الله عليه وسلم توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والإمساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم وأن يلتمس لهم فيما نقل عنهم من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات ويخرج لهم أصوب المخارج إذ هم أهل ذلك ولا يذكر أحد منهم بسوء ولا يغمص عليه أمر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك كما **قال** صلى الله عليه وسلم إذا ذكر أصحابي فأمسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم إلى آخر السورة **وقال** والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الآية وقال لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية **حدثنا** القاضي أبو علي حدثنا أبو الحسين وأبو الفضل قالا حدثنا أبو يعلى حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا الترمذي حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا سفيان بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة **قال** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر وقال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا به **وقال** الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه **وقال** لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه

وقال من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال إذا ذكر أصحابي فأمسكوا **وقال** في حديث جابر إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي كلهم خير **وقال** من أحب عمر فقد أحبني ومن أبغض عمر فقد أبغضني قال مالك بن أنس وغيره من أبغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق ونزع بآية الحشر والذين جاؤوا من بعدهم الآية **وقال** من غاظه أصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال أيوب السختياني من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن أحب عليا فقد أخذ بالعروة الوثقى ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد بريء من النفاق ومن انتقص أحدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح وأخاف أن لا يصعد له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما وفي حديث خالد بن سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم **قال** أيها الناس إني راض عن أبي بكر فاعرفوا له ذلك أيها الناس إن الله تعالى غفر لأهل بدر والحديبية أيها الناس إني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك أيها الناس احفظوني في أصحابي وأصهاري وأختاني لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة فإنها مظلمة لا توهب في القيامة غدا **وقال** رجل للمعافى بن عمران أين عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب وقال لا يقاس بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله وأتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فأبغضه الله **وقال** صلى الله عليه وسلم في الأنصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني في أصحابي وأصهاري فإنه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك أن يأخذه وعنه صلى الله عليه وسلم من حفظني في أصحابي كنت له حافظا يوم القيامة **وقال** من حفظني في أصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني إلا من بعيد قال مالك رحمه الله هذا النبي مؤدب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين

يخرج في جوف الليل إلى البقيع فيدعو لهم ويستغفر لهم كالمودع لهم وبذلك أمره الله وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم **وروي** عن كعب ليس أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلا له شفاعة يوم القيمة وطلب من المغيرة بن نوفل أن يشفع له يوم القيمة قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول من لم يوقر أصحابه ولم يعز أوامره

فصل ومن إعظامه وإكباره صلى الله عليه وسلم إعظام جميع أسبابه وإكرام مشاهده وأمكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه صلى الله عليه وسلم أو عرف به **وروي** عن صفية بنت نجدة قالت كان لأبي محذورة قصة في مقدم رأسه إذا قعد وأرسلها أصابت الأرض فقيل له ألا تحلقها فقال لم أكن بالذي أحلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة أنكر عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم أفعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره صلى الله عليه وسلم لئلا أسلب بركتها وتقع في أيدي المشركين **وروي** ابن عمر واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول أستحيي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة **وروي** أنه وهب للشافعي كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي أمسك منها دابة فأجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى أبو عبد الرحمن السلمي عن أحمد بن فضلوية الزاهد وكان من الغزاة الرماة أنه **قال** ما مسست القوس بيدي إلا وأنا على طهارة منذ بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ القوس بيده وقد أفتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية يضرب ثلثين درة وأمر بحبسه وكان له قدر **وقال** ما أحوجه إلى ضرب عنقه تربة دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم يزعم أنها غير طيبة وفي الصحيح أنه قال صلى الله عليه وسلم من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا **وحكي** أن جهجاها الغفاري أخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فأخذته الأكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول وقال صلى الله عليه وسلم

من حلف على منبري كاذبا فليتبوأ مقعده من النار وحدثت أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ... فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا

نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه أن نلم به ركبا

وحكي عن بعض المريدين أنه لما أشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم أنشأ يقول متمثلا

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ... قمر تقطع دونه الأوهام

وإذا المطي بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرجال حرام

قربننا من خير من وطئ الحصا ... فلها علينا حرمة وذمام

وحكي عن بعض المشايخ أنه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق يأتي إلى بيت مولاه راكبا لو قدرت أن أمشي على رأسي ما مشيت على قدمي **قال** القاضي أبو الفضل رحمه الله وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة رسول الله ما انتشر مدارس آيات ومساجد صلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة وأين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها أن تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدراتها

يا دار خير المرسلين ومن به ... هدي الأنام وخص بالآيات

عندي لأجلك لوعة وصبابة ... وتشوق متوقد الجمرات

وعلي عهد إن ملأت محاجري ... من تلكم الجدرات والعرصات

لأعفرن مصون شيبي بينها ... من كثرة التقبيل والرشفات

لولا العوادي والأعادي زرتها ... أبدا ولو سحبا على الوجنات

لكن سأهدي من حفيل تحيتي ... لقطين تلك الدار والحجرات

أذكى من المسك المفتق نفحة ... تغشاه بالآصال والبكرات

وتخصه بزواكي الصلوات ... ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته قال الله تعالى إن الله وملئكته

يصلون على النبي الآية قال ابن عباس معناه ان الله وملايكته يباركون على النبي وقيل ان الله يترحم على النبي وملايكته يدعون له قال المبرد واصل الصلاة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملايكة رقة واستدعاء للرحمة من الله وقد ورد في الحديث صفة صلوة الملايكة على من جلس ينتظر الصلاة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال ابو العالية صلوة الله ثناؤه عليه عند الملايكة وصلوة الملايكة الدعاء قال القاضي ابو الفضل وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة ولفظ البركة فدل انهما بمعنيين واما التسليم الذي امر الله تعالى به عباده فقال القاضي بكر بن بكير نزلت هذه الاية على النبي صلى الله عليه وسلم وامر الله اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام عليه ثلثة اوجه احدها السلامة لك ومعك وتكون السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني اي السلام على حفظك ورعايتك متولٍّ له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

فصل اعلم ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلوة عليه وحمل الايمة والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الاية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضي ابو الحسن ابن القصار والمشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه ان ياتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي بكر بن بكير افترض الله على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يتغفل عنها وقال القاضي ابو محمد بن نصر الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان لا تتعين في الصلاة وان من صلى عليه مرة واحدة في عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب الشافعي الفرض منها الذي امر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم

هو في الصلاة وقالوا واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما في الصلاة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتاخرين من علماء الامة على ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الاخر وقبل السلام فصلاته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم تجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسألة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال ابو بكر بن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلاة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ترك ذلك تارك فصلاته مجزية في مذهب مالك واهل المدينة وسفين الثوري واهل الكوفة من اصحاب الراي وغيرهم وهو قول جل اهل العلم وحكي عن مالك وسفين انها في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلوة الاعادة واوجب اسحق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن محمد بن المواز ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة قال ابو محمد يريد ليست من فرايض الصلاة وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي وقد خالف الخطابي من اصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسألة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلوة وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست من فروض الصلوة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه في هذه المسألة جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القران ونحوه عن ابي سعيد وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا على المنبر عمر بن الخطاب وفي الحديث لا صلوة لمن لم يصل علي قال ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث

وفي حديث ابي جعفر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل علي فيها وعلى اهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب انه قول ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم

فصل في المواطن التي تستحب فيها الصلوة والسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك في تشهد الصلوة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعا **حدثنا** القاضي ابو علي رحمه الله بقراتي عليه قال حدثنا الامام ابو القاسم البلخي قال حدثنا الفارسي عن ابي القاسم الخزاعي عن الهيثم عن ابي عيسى الحافظ قال حدثنا محمود بن غيلان حدثنا عبد الله بن يزيد المقري حدثنا حيوة بن شريح حدثني ابو هاني الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي اخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم **فقال** النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدا بتحميد الله والثنا عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شا ويروى من غير هذا السند بتمجيد الله وهو اصح **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال الدعا والصلوة معلق بين السما والارض ولا يصعد الى الله منه شي حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم **وعن علي** عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد ويروى ان الدعا محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم **وعن ابن مسعود** اذا اراد احدكم ان يسال الله شيا فليبدا بمدحه والثنا عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليسال فانه اجدر ان ينجح **وعن جابر** قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شرابه شربه او الوضوء توضا والا هراقه ولكن اجعلوني في اول الدعا واوسطه واخره **وقال** ابن عطاء للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات فان صادف اركانه قوي وان وافق اجنحته طار في السما وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعا بين الصلاتين لا يرد وفي حديث اخر كل دعا محجوب دون السما فاذا جاءت الصلوة على صعد الدعا وفي دعا ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال في اخره

واستجب دعائي ثم يبدا بالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين امين ومن مواطن الصلوة عليه عند ذكره وسماع اسمه او كتابه او عند الاذان وقد قال صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلوة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب **قال** اصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فلا تقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم يكن تسمية له مع الله وقاله اشهب **قال** ولا ينبغي ان تجعل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا **وروى** النسائي عن اوس بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلوة عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلوة والسلام دخول المسجد **قال** ابو اسحاق ابن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويترحم عليه وعلى اله ويبارك عليه وعلى اله ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك **وقال** عمرو ابن دينار في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت احد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته **قال** ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام على رسول الله واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين **وعن** علقمة اذا دخلت المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملايكته على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل واذا خرج ولم يذكر الصلوة واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر الصلوة والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث اخر القسم والاختلاف في الفاظه ومن مواطن الصلاة عليه ايضا الصلوة على الجنايز وذكر عن ابي امامة انها من السنة ومن مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلاة على النبي

وآله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الأول وأحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في أقطار الأرض ومنهم من يختم به أيضا الكتب وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة حدثنا أبو القاسم خلف بن إبرهيم المقري الخطيب رحمه الله وغيره قال حدثتني كريمة بنت محمد قالت حدثنا أبو الهيثم حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا أبو نعيم حدثنا الأعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا صلى أحدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد صالح في السماء والأرض هذا أحد مواطن التسليم عليه وسنته أول التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر أنه كان يقول ذلك إذا فرغ من تشهده وأراد أن يسلم واستحب مالك في المبسوط أن يسلم مثل ذلك قبل السلام قال محمد بن مسلمة أراد ما جاء عن عائشة وابن عمر أنهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب أهل العلم أن ينوي الإنسان حين سلامه كل عبد صالح في السماء والأرض من الملائكة وبني آدم والجن قال مالك في المجموعة وأحب للمأموم إذا سلم إمامه أن يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم

فصل في كيفية الصلاة عليه والتسليم حدثنا أبو إسحاق إبرهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه حدثنا القاضي أبو الأصبغ حدثنا أبو عبد الله بن عتاب حدثنا أبو بكر بن واقد وغيره حدثنا أبو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى حدثنا مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه عن عمرو بن سليم الزرقي أنه قال أخبرني أبو حميد الساعدي أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبرهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد وفي رواية مالك عن أبي مسعود الأنصاري قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل إبرهيم وبارك على محمد كما باركت على آل إبرهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم

وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبرهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبرهيم إنك حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد وفي رواية أبي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا القاضي أبو عبد الله التميمي سماعا عليه وأبو علي الحسن بن طريف النحوي بقراءتي عليه قالا حدثنا أبو عبد الله بن سعدون الفقيه قال حدثنا أبو بكر المطوعي قال حدثنا أبو عبد الله الحاكم عن أبي بكر بن أبي دارم الحافظ عن علي بن أحمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه علي عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا أنزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبرهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبرهيم وعلى آل إبرهيم إنك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على إبراهيم وعلى آل إبرهيم إنك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على إبرهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على إبراهيم وعلى آل إبرهيم إنك حميد مجيد وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الأنصاري سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد وعن سلامة الكندي كان علي يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وباري المسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الأباطيل كما حمل فاضطلع بأمرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ أمرك حتى أورى قبسا لقابس آلاء الله تصل بأهله أسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والإثم موضحات الأعلام ونائرات الأحكام ومنيرات الإسلام فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة

ورسولك الحق رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك
مهنّات له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل
على بناء الناس بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجره من ابتعاثك له
مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم وعنه
ايضا في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية لبيك
اللهم وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وما سبح لك من شي يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين
وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك
باذنك السراج المنير صلى الله عليه وسلم **وعن** عبد الله بن مسعود اللهم اجعل
صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك
ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون
والاخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد
وكان الحسن البصري وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك
حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض
المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وآله واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل بيته
واصهاره وانصاره واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين
وعن طاوس عن ابن عباس انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته
العليا وآته سؤله في الاخرة والاولى كما اتيت ابراهيم وموسى **وعن** وهيب بن الورد
انه كان يقول في دعائه اللهم اعط محمدا افضل ما سالك لنفسه واعط محمدا افضل ما
سالك له احد من خلقك واعط محمدا افضل ما انت مسؤول له الى يوم القيامة **وعن**
ابن مسعود انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلوة عليه
فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك
على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد
الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد

كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وما يوثر في تطويل الصلوة وتكثير الثنا على
اهل البيت وغيرهم كثير وقوله والسلام كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد من قوله السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفي تشهد
علي السلام على نبي الله السلام على انبياء الله ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد
بن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر
لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته **جا** في هذا
الحديث عن علي الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم بالغفران وفي حديث الصلاة عليه ايضا قبل
الدعا له بالرحمة وانما يدعى له بالصلاة والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة
وقد ذكر ابو محمد بن ابي زيد في الصلوة على النبي اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما ترحمت على ابراهيم
وآل ابرهيم ولم يات هذا في حديث صحيح وحجته قوله في السلام السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته

فصل في فضيلة الصلاة على النبي والتسليم عليه والدعا له

صلى الله عليه وسلم حدثنا احمد بن محمد بن الشيخ الصالح من كتابه حدثنا القاضي يونس بن مغيث
حدثنا ابو بكر بن معاوية حدثنا النسائي حدثنا سويد بن نصر حدثنا عبد الله عن حيوة
بن شريح **قال** اخبرني كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن ابن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله
بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل
ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة
لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة
وروى انس ابن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر صلوات
وحط عنه عشر خطيات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات
وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم ان جبريل ناداني فقال من صلى عليك صلوة صلى الله عليه عشرا
ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن ابن عوف عنه صلى الله عليه وسلم لقيت جبريل
فقال اني ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه
من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان وعبيد الله بن ابي طلحة **وعن** زيد بن الحباب
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة

وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم علي صلوة وعن
ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك
الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلوة صلت
عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثر وعن ابي بن كعب كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها
الرادفة جاء الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك فكم
اجعل لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير قال النصف
قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول
فاجعل صلاتي كلها لك قال اذا تكفى ويغفر ذنبك وعن ابي طلحة دخلت على النبي صلى الله
عليه وسلم فرايت من بشره وطلاقته ما لم اره قط فسالته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل
آنفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي
عليك الا صلى الله وملائكته عليه بها عشرا وعن جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة آت محمدا
الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة وعن سعد بن
ابي وقاص من قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان
محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له وروى
ابن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكانما اعتق رقبة وفي بعض
الآثار ليردن علي اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلاتهم علي وفي آخر ان انجاكم يوم القيامة
من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلاة وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه الصلوة على النبي
صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل من عتق الرقاب

فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم واثمه

حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
رحمه الله حدثنا ابو الفضل ابن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا السنجي
حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى حدثنا احمد بن ابرهيم الدورقي حدثنا ربعي ابن ابراهيم
عن عبد الرحمن ابن اسحاق عن سعيد ابن ابي سعيد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له

ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما
وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد
فقال آمين فساله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل صلى الله عليه وسلم اتاني فقال يا محمد من سميت
بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين وقال فيمن
ادرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات
مثله وعن علي بن ابي طالب عنه صلى الله عليه وسلم انه قال البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل
علي وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل
علي اخطي به طريق الجنة وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة قال ابو القاسم
صلى الله عليه وسلم انما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا على النبي صلى
الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة
من نسي الصلاة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه صلى الله عليه وسلم من الجفاء ان اذكر عند
الرجل فلا يصلي علي وعن جابر عنه صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير
صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم
حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب حكى ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم
قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزى عنه ما كان في ذلك المجلس

فصل في تخصيصه صلى الله عليه وسلم بتبليغ صلاة من صلى عليه او سلم من الانام

حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي حدثنا الحسين ابن محمد حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا ابن عبد
المؤمن حدثنا ابن داسة حدثنا ابو داود حدثنا ابن عوف حدثنا المقرئ حدثنا حيوة
عن ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله ابن قسيط عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر
بن ابي شيبة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته
ومن صلى علي نائيا بلغته وعن ابن مسعود ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن
امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة

فإنه يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فإن أحدًا لا يصلي علي إلا عرضت صلاته علي حين يفرغ منها وعن الحسن عنه صلى الله عليه وسلم حيث ما كنتم فصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس ليس أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يسلم عليه ويصلي عليه إلا بلغه وذكر بعضهم أن العبد إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن ابن علي إذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدًا ولا تتخذوا بيوتكم قبورًا وصلوا علي حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم وفي حديث أوس أكثروا علي من الصلوة في يوم الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي وعن سليمان بن سحيم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم قال نعم وأرد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الأزهر فإنهما يؤديان عنكم وأن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وما من مسلم يصلي علي إلا حملها ملك حتى يؤديها إلي ويسميه حتى إنه ليقول إن فلانًا يقول كذا وكذا

فصل في الاختلاف في الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام

قال القاضي وفقه الله عامة أهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس أنه لا تجوز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه لا تنبغي الصلاة على أحد إلا النبيين وقال سفين يكره أن يصلى إلا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك أنه لا يجوز أن يصلى على أحد من الأنبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى ابن إسحاق أكره الصلاة على غير الأنبياء وما ينبغي لنا أن نتعدى ما أمرنا به قال يحيى ابن يحيى لست آخذ بقوله ولا بأس بالصلوة على الأنبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه وفيه وعلى أزواجه وعلى آله قالوا والأسانيد عن ابن عباس لينة والصلوة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الإطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح أو إجماع وقد قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الآية وقال خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الآية وقال أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى وكان

إذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان وفي حديث الصلاة اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته وفي آخر وعلى آل محمد قيل أتباعه وقيل أمته وقيل الأتباع والرهط والعشيرة وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل أهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية أنس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي ويجي على مذهب الحسن أن المراد بآل محمد محمد نفسه فإنه كان يقول في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل أحمد يريد نفسه لأنه كان لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل لأن الفرض الذي أمر الله به هو الصلاة على محمد نفسه وهذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم لقد أوتي مزمارًا من مزامير آل داود يريد من مزامير داود وفي حديث أبي حميد الساعدي في الصلاة اللهم صل على محمد وآله وأزواجه وذريته وفي حديث ابن عمر أنه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر ذكره مالك في الموطأ من رواية يحيى الأندلسي وروى ابن وهب عن أنس ابن مالك كنا ندعو لأصحابنا بالغيب فيقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم أبرار الذين يقومون بالليل ويصومون بالنهار وقال القاضي والذي ذهب إليه المحققون وأميل إليه ما قاله مالك وسفين رحمهما الله وروي عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين أنه لا يصلى على غير الأنبياء عند ذكرهم بل هو شيء يختص به الأنبياء توقيرًا لهم وتعزيرًا كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء بالصلاة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما أمر الله به بقوله صلوا عليه وسلموا تسليمًا ويذكر من سواهم من الأئمة وغيرهم بالغفران والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان وقال والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم وأيضًا فهو أمر لم يكن معروفًا في الصدر الأول كما قال أبو عمران وإنما أحدثته الرافضة والمتشيعة في بعض الأئمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وأيضًا فإن التشبه بأهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلاة على الآل والأزواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والإضافة إليه لا على التخصيص قالوا وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراها

مجرى الدعاء والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب أن يكون الدعاء له مخالفا
لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار الامام أبي المظفر الاسفرايني من شيوخنا

فصل في حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف
يسلم ويدعو وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم سنة من المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها
وروي عن ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وعن أنس ابن
مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري
وكنت له شفيعا يوم القيامة وفي حديث آخر من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي
وكره مالك أن يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك فقيل
كراهة الاسم لما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات القبور وهذا يرده
قوله نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وقوله من زار قبري فقد أطلق اسم الزيارة
وقيل لأن ذلك لما قيل إن الزائر أفضل من المزور وهذا أيضا ليس بشيء إذ ليس كل
زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث أهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع
هذا اللفظ في حقه والأولى عندي أن منعه وكراهة مالك له لإضافته إلى قبر النبي صلى
الله عليه وسلم وأنه لو قال زرنا النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم
لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد
فحمى إضافة هذا اللفظ إلى القبر والتشبه بفعل أولئك قطعا للذريعة وحسما للباب
والله أعلم **قال** إسحاق بن إبرهيم الفقيه ومما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة
والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره
وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود الذي كان يستند إليه وينزل
جبريل بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك
كله **وقال** ابن أبي فديك سمعت بعض من أدركت يقول بلغنا أنه من وقف عند قبر
النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية إن الله وملائكته يصلون على النبي ثم قال صلى الله عليك
يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة
وعن يزيد بن سعيد المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال إليك حاجة

إذا أتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فأقرئه مني السلام قال غيره وكان عمر
يبرد إليه البريد من الشام قال بعضهم رأيت أنس ابن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف
قال مالك في رواية ابن وهب إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه إلى القبر
لا إلى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط لا أرى أن يقف عند قبر
النبي صلى الله عليه وسلم ولكن يسلم ويمضي **قال** ابن أبي مليكة من أحب أن يقوم وجاه النبي
صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه وقال نافع كان ابن عمر
يسلم على القبر رأيته مائة مرة وأكثر يجيء إلى القبر فيقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته
السلام على أبي بكر السلام على أبي ثم ينصرف وفي الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثي أنه
كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر وعند
ابن القاسم والقعنبي ويدعو لأبي بكر وعمر **قال** مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم
السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته قال في المبسوط ويسلم على أبي بكر وعمر قال
القاضي أبو الوليد الباجي وعندي أنه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلاة ولأبي بكر
وعمر كما في حديث ابن عمر من الخلاف **قال** ابن حبيب ويقول إذا دخل مسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام علينا من ربنا
وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك
واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد إلى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع
فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيها وتسأله تمام ما خرجت إليه والعون
عليه وإن كانت ركعتاك في غير الروضة أجزأتاك وفي الروضة أفضل وقد **قال**
صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة
من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم
على أبي بكر وعمر وتدعو لهما وأكثر من الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار
ولا تدع أن تأتي مسجد قباء وقبور الشهداء **وقال** مالك في كتاب محمد ويصلي على النبي
صلى الله عليه وسلم إذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد وإذا خرج
جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب عن فاطمة

بنت النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا دخلت المسجد فصل على النبي
صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرجت فصل
على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك وفي رواية
أخرى فليسلم مكان فليصل فيه وإذا خرج اللهم إني أسألك من فضلك وفي أخرى
اللهم احفظني من الشيطان وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون إذا
دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته
بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون إذا خرجوا
مثل ذلك وعن فاطمة أيضا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال صلى
الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى
على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله
وعن غيرها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي
أبواب رحمتك ويسر لي أبواب رزقك وعن أبي هريرة إذا دخل أحدكم المسجد
فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس يلزم
من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر وإنما ذلك للغرباء
وقال فيه أيضا لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي صلى الله
عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر فقيل له إن ناسا من أهل المدينة
لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا
في الجمعة أو في الأيام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة
فقال لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر
هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا
يفعلون ذلك ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده قال ابن القاسم ورأيت
أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوها أتوا القبر فسلموا قال وذلك رأيي قال
الباجي ففرق بين أهل المدينة والغرباء لأن الغرباء قصدوا لذلك وأهل المدينة
مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم قال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل
قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد

وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب أحمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به
ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم وأحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق
وأما في الفريضة فالتقدم إلى الصفوف والتنفل فيه للغرباء أحب إلي من التنفل
في البيوت **فصل** فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الأدب
سوى ما قدمناه وفضله وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل
سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه
روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول
ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن أنس وغيرهم وعن ابن عباس أنه مسجد
قباء حدثنا هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد
الحافظ حدثنا أبو عمر النمري حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن حدثنا أبو بكر بن داسه
حدثنا أبو داود حدثنا مسدد حدثنا سفين عن الزهري عن سعيد بن المسيب
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد
مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى وقد تقدمت الآثار في الصلاة والسلام
على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه
القديم من الشيطان الرجيم وقال مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا
في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن أنت فقال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين
القريتين إن مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لأحد أن
يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الأذى وأن ينزه عما يكره قال القاضي
حكى ذلك كله القاضي إسمعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء
كلهم متفقون أن حكم سائر المساجد هذا الحكم قال القاضي إسمعيل وقال محمد بن مسلمة
ويكره في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم وليس مما
يخص به المساجد رفع الصوت قد كره رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات
إلا المسجد الحرام ومسجدنا وقال أبو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا

خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضي اختلف الناس في معنى هذه
الاستثنا على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك في رواية اشهب
عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلوة في مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم افضل من ساير المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة
في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة فيه بدون الالف واحتجوا بما روي عن عمر
بن الخطاب صلوة في المسجد الحرام خير من ماية صلوة فيما سواه فتاتي فضيلة الرسول
عليه بتسع ماية وعلى غيره بالف وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه
وهو قول عمر بن الخطاب ومالك واكثر المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة الى
تفضيل مكة وهو قول عطا وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الباجي عن الشافعي
وحملوا الاستثنا في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلاة في المسجد الحرام افضل واحتجوا
بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة وفيه وصلوة
في المسجد الحرام افضل من الصلاة في مسجدي هذا بماية صلوة وروى قتادة مثله فياتي
فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا على الصلاة في ساير بماية الف ولا خلاف ان موضع
قبره افضل بقاع الارض قال القاضي ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة
حكم مكة لساير المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي الى ان
هذا التفضيل انما يكون في صلاة الفرض وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك في النافلة
ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق
في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال صلى الله عليه وسلم ما بين
بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن ابي هريرة وابي سعيد وزادا ومنبري
على حوضي وفي حديث اخر منبري على ترعة من ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان
احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه روي ما يبينه ما بين حجرتي
ومنبري والثاني ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن اسلم في هذا الحديث كما روي
بين قبري ومنبري قال الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات
ولم يكن بينهما خلاف لان قبره في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري على حوضي
قيل يحتمل انه منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو اظهر والثاني ان يكون له هناك منبر

والثالث ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض
ويوجب الشرب منه قاله الباجي وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما
انه موجب لذلك وان الدعاء والصلاة فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت
ظلال السيوف **والثاني** ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها قاله
الداودي وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة
لا يصبر على لاوايها وشدتها احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيامة وقال فيمن
تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال انما المدينة كالكير تنفي خبثها
وينصع طيبها وقال لا يخرج احد من المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله من هو خير منه
وروي عنه صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله يوم
القيامة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق اخر بعث من الامنين وعن ابن عمر من
استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها وقال تعالى ان اول بيت
وضع للناس للذي ببكة الى قوله امنا قال بعض امنا من النار وقيل كان يامن من الطلب
من احدث حدثا ولجا اليه من الجاهلية وهذا مثل قوله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة
للناس وامنا على قول بعضهم **وحكي** ان قوما اتوا اسعدون الخولاني بالمنستير فاعلموه
ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض البدن فقال
لعله حج ثلث حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه
ومن حج ثلث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما من
احد يدعو الله عند الركن الاسود الا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه صلى الله
عليه وسلم من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وحشر يوم القيمة
من الامنين قرات على القاضي الحافظ ابي علي رحمه الله حدثك ابو العباس العذري قال
حدثنا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروي حدثنا الحسن بن رشيق سمعت ابا الحسن محمد بن
الحسن بن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي قال سمعت سفين ابن عيينة
قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما دعا احد بشي في هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس وانا فما دعوت الله

بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي وقال
عمرو بن دينار وانا فما دعوت الله تعالى بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس
الا استجيب لي وقال سفين وانا فما دعوت الله بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من
عمرو الا استجيب لي قال الحميدي وانا فما دعوت الله بشي في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من سفين الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله بشي في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا
فما دعوت الله بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي قال
ابو اسامة وما اذكر الحسن ابن رشيق قال فيه شيا وانا فما دعوت الله بشي في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن ابن رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجوا ان
يستجاب لي من امر الاخرة قال العذري وانا فما دعوت الله في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من ابي اسامة الا استجيب لي قال ابو علي وانا فقد دعوت الله فيه باشيا كثيرة
استجيب لي بعضها وارجوا من سعة فضله ان يستجيب لي بقيتها قال القاضي ابو الفضل
ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وان لم تكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله
حرصا على تمام الفايدة والله الموفق للصواب برحمته

القسم الثالث

فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل او يجوز عليه وما يمتنع او يصح من الاحوال البشرية ان
يضاف اليه قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل
الاية وقال ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان
الطعام وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في
الاسواق وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الاية فمحمد صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا
من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم
قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي لما كان الا في صورة البشر الذين
يمكنكم مخاطبتهم اذ لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورويته اذا كان على
صورته وقال قل لو كان في الارض ملايكة يمشون مطمينين لنزلنا عليهم من السما
ملكا رسولا اي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او من خصه الله
تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبيا والرسل فالانبيا والرسل وسايط بين الله

وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه
من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم واجسادهم
وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طاري عليها ما يطرا على البشر من الاعراض والاسقام
والموت والفنا ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلى
من اوصاف البشر متعلقة بالملا الاعلى متشبهة بصفات الملايكة سليمة من التغير
والافات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية اذ لو كانت بواطنهم
خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملايكة وروييتهم ومخاطبتهم
ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم وظواهرهم متسمة
بنعوت الملايكة وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليه مخالطتهم
كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر مع البشر ومن
جهة الارواح والبواطن مع الملايكة كما قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من امتي
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما
قال تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيتكم اني اظل يطعمني ربي ويسقيني
فبواطنهم منزهة عن الافات مطهرة من النقايص والاعتلالات وهذه جملة لن يكتفي
بمضمونها كل همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل على ما ناتي به بعد هذا في البابين
بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل

الباب الاول

فيما يختص بالامور الدينية
والكلام في عصمة نبينا وساير الانبيا صلوات الله عليهم قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
اعلم ان الطواري من التغيرات والافات على احاد البشر لا يخلوا ان تطرا على جسمه
او حواسه بغير قصد واختيار كالامراض والاسقام او تطرا بقصد واختيار وكله
في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلثة انواع عقد بالقلب
وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرا عليهم الافات والتغيرات بالاختيار
وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم وان كان من البشر ويجوز على
جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه
عنهم وتنزيهه عن كثير من الافات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه
ان شا الله تعالى فيما ناتي به من التفاصيل

فصل

في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم

من وقت نبوته اعلم منحنا الله واياك توفيقه ان ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم
بالله وصفاته والايمان به وبما اوحي اليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفا
عن الجهل بشي من ذلك او الشك او الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين
هذا ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة ان يكون في عقود الانبياء
سواه ولا يعترض على هذا بقول ابرهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمين قلبي اذ لم
يشك ابرهيم في اخبار الله تعالى له باحيا الموتى ولكن اراد طمانينة القلب وترك
المنازعة لمشاهدة الاحيا فحصل له العلم الاول بوقوعه واراد العلم الثاني
بكيفيته ومشاهدته **الوجه** الثاني ان ابرهيم عليه السلام انما اراد اختبار
منزلته عند ربه وعلم اجابة دعوته بسوال ذلك من ربه ويكون قوله اولم تومن
اي تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفايك **الوجه** الثالث انه سال زيادة
يقين وقوة طمانينة وان لم يكن في الاول شك اذ العلوم الضرورية والنظرية
قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات
فاراد الانتقال من النظر او الخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين الى عين اليقين
فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله سال كشف غطاء العيان ليزداد
بنور اليقين تمكينا في حاله **الوجه** الرابع انه لما احتج على المشركين بان ربه
يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا **الوجه** الخامس قول
بعضهم هو سوال على طريق الادب المراد اقدرني على احيا الموتى وقوله ليطمين قلبي
عن هذه الامنية **الوجه** السادس انه اري من نفسه الشك وما شك لكن
ليجاوب فيزداد قربه وقول نبينا صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم
نفي لان يكون ابراهيم شك وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابراهيم
اي نحن موقنون بالبعث واحيا الله الموتى فلو شك ابرهيم لكنا اولى بالشك منه
اما على طريق الادب او ان يريد امته الذين يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع
والاشفاق ان حملت قصة ابراهيم على اختبار حاله او زيادة يقينه **فان قلت**
ما معنى قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرون الكتاب
من قبلك الايتين فاحذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين

عن ابن عباس او غيره من اثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر
فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسال
ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكى قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسال
وعامة المفسرين على هذا واختلفوا في معنى الاية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت
في شك الاية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التاويل قل يا ايها الناس ان
كنتم في شك من ديني الاية وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم
كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك الاية الخطاب له والمراد غيره ومثله فلا تك
في مرية مما يعبد هولا ونظيره كثير وقال بكر بن العلا الا تراه يقول ولا تكونن
من الذين كذبوا بايات الله وهو صلى الله عليه وسلم كان المكذب فيما يدعو اليه فكيف يكون
ممن كذب به فهذا كله يدل ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الاية قوله الرحمن
فاسئل به خبيرا المامور هاهنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسال النبي والنبي صلى الله عليه وسلم
هو الخبير المسول لا المستخبر السايل وقال ان هذا الشك الذي امر غير النبي صلى الله
عليه وسلم بسوال الذين يقرون الكتاب انما هو فيما قصه الله من اخبار الامم لا فيما دعا اليه
من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية
المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم قاله القتبي وقيل معناه
سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدا اجعلنا من دون الرحمن
الهة الى اخر الاية على طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم
ان يسال الانبياء ليلة الاسرا عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السوال
فروي انه قال لا اسال قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سل امم من ارسلنا هل
جاوهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة والمراد
بهذا والذي قبله اعلامه بما بعثت به الرسل وانه تعالى لم ياذن في عبادة غيره لاحد
ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكذلك
قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين
اي في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكره
في اول الاية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم اي قل لمن امترى يا محمد في ذلك لا تكونن

من الممترين بدليل قوله اول الاية افغير الله ابتغي حكما الايه وان النبي صلى الله عليه وسلم
يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله وقد علم الله انه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك فاسأل تزدد طمانينة
وعلما الى علمك ويقينك وقيل ان كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك
في الكتب ونشر فضايلك وحكي عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت في شك فيما انزلنا فان قيل
فما معنى قوله حتى اذا استيئس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراة التخفيف قلنا المعنى
في ذلك ما قالته عايشة رضي الله عنها معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها وانما معنى ذلك
ان الرسل لما استيئسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين
وقيل ان الضمير في ظنوا عايد على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل وهو قول ابن عباس
والنخعي وابن جبير وجماعة من العلما وبهذا قرا مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ
التفسير سواه مما لا يليق بمنصب العلما فكيف بالانبياء وكذلك ما ورد في حديث السيرة
ومبتدا الوحي من قوله لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما اتاه الله بعد
رؤية الملك ولكن لعله خشي ان لا تحتمل قوته مقاومة الملك واعبا الوحي فينخلع قلبه
او تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح انه قاله بعد لقايه الملك او يكون ذلك قبل
لقياه الملك واعلام الله تعالى له بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجايب وسلم عليه الحجر والشجر
وبدأته المنامات والتباشير كما روي في بعض طرق هذا الحديث ان ذلك كان اولا
في المنام ثم اري في اليقظة مثل ذلك تانيسا له صلى الله عليه وسلم ليلا يفجاه الامر مشاهدة
ومشافهة فلا يحتمله لاول حالة بنية البشرية وفي الصحيح عايشة اول ما بدي به
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلا وقالت الى
ان جاءه الحق وهو في غار حرا الحديث وعن ابن عباس مكث النبي صلى الله عليه وسلم
بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيا وثماني سنين
يوحى اليه وقد روى ابن اسحق عن بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره
بغار حرا قال فجاني وانا نايم فقال اقرا فقلت ما اقرا وذكر نحو حديث عايشة في غطه
له واقراه اياه اقرا باسم ربك السورة قال فانصرف عني وهببت من نومي كانما صورت
في قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون قلت لا تحدث عني قريش بهذا ابدا لاعمدن

فبينا
الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها فانا عامد لذلك اذ سمعت مناديا
ينادي من السما يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت راسي فاذا جبريل على صورة
رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا ان قوله لما قال وقصده ما قصد انما كان
قبل لقاء جبريل عليهما السلام وقبل اعلام الله تعالى له بالنبوة واظهاره اصطفاه
له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل انه صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني
اذا خلوت وحدي سمعت ندا وقد خشيت والله ان يكون هذا لامر ومن رواية حماد
بن سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني لاسمع صوتا وارى ضوا واخشى ان
يكون بي جنون وعلى هذا يتاول لو صح قوله في بعض هذه الاحاديث ان الابعد
شاعر او مجنون والفاظا يفهم منها معاني الشك في تصحيح ما راه وانه كان كله
في ابتدا امره وقبل لقاء الملك له واعلام الله له انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ
لا تصح طرقها واما بعد اعلام الله تعالى له ولقايه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز
عليه شك فيما القي اليه وقد روى ابن اسحق عن شيوخه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه القران
اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة اوجه اليك من يرقيك قال اما الان
فلا وحديث خديجة واختبارها امر جبريل بكشف راسها الحديث انما ذلك في حق
خديجة لتتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذي ياتيه ملك
ويزول الشك عنها لا انها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وليختبر هو حاله بذلك بل
قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عايشة ان ورقه
امر خديجة ان تختبر الامر بذلك وفي حديث اسمعيل بن ابي حكيم انها قالت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاك قال نعم فلما جا
جبريل اخبرها فقالت له اجلس الى شقي وذكر الحديث الى اخره وفيه فقالت ما هذا
بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر وامنت به فهذا يدل انها مستثبتة
بما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم وقول معمر في فترة
الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من
رؤوس شواهق الجبال لا يقدح في هذا الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده

ولا ذكر رواية ولا من حدث به ولا أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا
إلا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه قد يحمل على أنه كان أول الأمر كما ذكرناه وأنه
تعالى ذلك لما أحرجه من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم
إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ويصحح معنى هذا التأويل حديث رواه شريك
عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله أن المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة
للتشاور في شأن النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رأيهم على أن يقولوا إنه ساحر اشتد
ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه جبريل فقال يا أيها المزمل يا أيها المدثر
أو خاف أن الفترة لأمر أو سبب منه فخشي أن تكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه
ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس عليه السلام خشية
تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب وقول الله تعالى في يونس عليه السلام فظن أن لن
نقدر عليه معناه لن نضيق عليه قال مكي طمع في رحمة الله وأن لا يضيق عليه مسلكه
في خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه أنه لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر عليه ما أصابه
وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه وقال ابن زيد
معناه أفظن أن لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق أن يظن بنبي أن يجهل صفة
من صفات ربه وكذلك قوله إذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول
ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه إذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله كفر
لا يليق بالمؤمنين فكيف بالأنبياء وقيل مستحييا من قومه أن يسموه بالكذب أو يقتلوه
كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما أمره به من التوجه إلى أمر أمره الله به
على لسان نبي آخر فقال له يونس غيري أقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا
وقد روي عن ابن عباس أن إرسال يونس ونبوته إنما كان بعد أن نبذه الحوت
واستدل من الآية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين
وأرسلناه ويستدل أيضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه
ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القصة إذا قبل نبوته فإن قيل فما معنى قوله صلى
الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله كل يوم مائة مرة وفي طريق أخرى في اليوم
أكثر من سبعين مرة فاحذر أن يقع ببالك أن يكون هذا الغين وسوسة أو رينا وقع في قلبه

إلى قوله أو يزيدون

بلغ مقابلة

صلى الله عليه وسلم بل أصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه قاله أبو عبيد وأصله من غين
السماء وهو إطباق الغيم عليها وقال غيره الغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية
كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهوى فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث
أنه يغان على قلبه مائة مرة أو أكثر من سبعين في اليوم إذ ليس يقتضيه لفظه الذي
ذكرناه وهو أكثر الروايات وإنما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد
بهذا الغين إشارة إلى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر
ومشاهدة الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع إليه من مقاساة البشر وسياسة
الأمة ومعاناة الأهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه من أعباء
أداء الرسالة وحمل الأمانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما
كان صلى الله عليه وسلم أرفع الخلق عند الله مكانة وأعلاهم درجة وأتمهم به معرفة وكانت
حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه وإقباله بكليته عليه ومقامه هنالك
أرفع حاليه رأى صلى الله عليه وسلم حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي حاله
وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا أولى وجوه الحديث وأشهرها
وإلى معنى ما أشرنا به مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا
غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات
والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت طائفة من أرباب القلوب ومشيخة
المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة وأجله أن يجوز عليه
في حال سهو أو فترة إلى أن معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من أمر أمته
صلى الله عليه وسلم لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون
الغين هنا على قلبه السكينة التي تتغشاه لقوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه ويكون
استغفاره صلى الله عليه وسلم عندها إظهارا للعبودية والافتقار وقال ابن عطاء
استغفاره وفعله هذا تعريف للأمة يحملهم على الاستغفار قال غيره ويستشعرون
الحذر ولا يركنون إلى الأمن وقد يحتمل أن تكون هذه الإغانة حالة خشية وإعظام
يغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله تعالى وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة
العبادة أفلا أكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الأخيرة يحمل ما روي في بعض

طرق هذا الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه ليغان على قلبي في اليوم أكثر من سبعين مرة
فأستغفر الله **فإن قلت** فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم
على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله لنوح عليه السلام فلا تسألني ما ليس
لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين **فاعلم** أنه لا يلتفت في ذلك
إلى قول من قال في آية نبينا صلى الله عليه وسلم لا تكونن ممن يجهل أن الله لو شاء
لجمعهم على الهدى وفي آية نوح عليه السلام لا تكونن ممن يجهل أن وعد الله
حق لقوله وإن وعدك الحق إذ فيه إثبات الجهل بصفة من صفات الله وذلك
لا يجوز على الأنبياء والمقصود وعظهم أن لا يتشبهوا في أمورهم بسمات الجاهلين
كما قال إني أعظك أن تكون من الجاهلين وليس في آية منها دليل على كونهم
على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف وآية نوح قبلها فلا تسألني ما ليس
لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها أولى لأن مثل هذا قد يحتاج إلى إذن وقد
تجوز إباحة السؤال فيه ابتداء فنهاه الله أن يسأله عما طوي عنه علمه وأكنه
من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم أكمل الله نعمته عليه بإعلامه ذلك
بقوله إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح حكى معناه مكي كذلك أمر نبينا
صلى الله عليه وسلم في الآية الأخرى بالتزام الصبر على إعراض قومه ولا يحرج عند
ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه أبو بكر بن فورك وقيل معنى
الخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه أبو محمد مكي
وقال مثله في القرآن كثير فبهذا الفصل وجب القول بعصمة الأنبياء منه بعد
النبوة قطعا **فإن قلت** فإذا قررت عصمتهم من هذا وأنه لا يجوز عليهم شيء من ذلك
فما معنى إذا وعيد الله لنبينا صلى الله عليه وسلم على ذلك إن فعله وتحذيره منه
كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك الآية وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك
ولا يضرك الآية وقوله إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الآية وقوله
لأخذنا منه باليمين وقوله وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله وقوله
فإن يشأ الله يختم على قلبك وقوله وإن لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله اتق الله
ولا تطع الكافرين والمنافقين **فاعلم** وفقنا الله وإياك أنه صلى الله عليه وسلم

لا يضل ولا يجوز عليه أن لا يبلغ وأن يخالف أمر ربه ولا أن يشرك ولا أن يتقول على الله
ما لا يجب أو يفتري عليه أو يضل أو يختم على قلبه أو يطيع الكافرين لكن يسر أمره بالمكاشفة
والبيان في البلاغ للمخالفين وأن إبلاغه إن لم يكن بهذه السبيل فكأنه ما بلغ وطيب نفسه
وقوى قلبه بقوله والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهرون لا تخافا لتشتد بصائرهم
في الإبلاغ وإظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس **وأما** قوله
ولو تقول علينا بعض الأقاويل الآية وقوله إذا لأذقناك ضعف الحياة فمعناه أن هذا
جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وكذلك قوله وإن تطع أكثر من في الأرض
فالمراد غيره كما قال إن تطيعوا الذين كفروا الآية وقوله فإن يشأ الله يختم على قلبك
ولئن أشركت ليحبطن عملك وما أشبهه فالمراد غيره وإن هذه حال من أشرك والنبي
صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه إنه أطاعهم
والله ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
الآية وما كان طردهم صلى الله عليه وسلم ولا كان من الظالمين **فصل** وأما
عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب أنهم معصومون قبل
النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الأخبار والآثار
عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والإيمان بل على
إشراق أنوار المعارف ونفحات ألطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الأول
من كتابنا هذا ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحدا نبئ واصطفي ممن عرف بكفر وإشراك
قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفر عمن كانت
هذه سبيله **وأنا أقول** إن قريشا قد رمت نبينا صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته وعير
كفار الأمم أنبياءها بكل ما أمكنها واختلقته مما نص الله عليه أو نقلته إلينا الرواة ولم
نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك ما كان
قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين
ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل أفظع وأقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم
عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم من قبل ففي إطباقهم عن الإعراض عنه دليل
على أنهم لم يجدوا سبيلا إليه إذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة

وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضي
القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح الآية وبقوله وإذ أخذ الله ميثاق النبيين إلى قوله لتؤمنن به
ولتنصرنه قال فطهره الله في الميثاق وبعيد أن يأخذ منه الميثاق قبل خلقه
ثم يأخذ ميثاق النبيين بالإيمان به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك
أو غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه إلا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك
وقد أتاه جبريل وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ
الشيطان منك ثم غسله وملأه حكمة وإيمانا كما تظاهرت به أخبار المبدإ ولا
يشتبه عليك بقول إبراهيم عليه السلام في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فإنه قد قيل كان
هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب
معظم الحذاق من العلماء والمفسرين إلى أنه إنما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا
عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الإنكار والمراد أفهذا ربي قال الزجاج
قوله هذا ربي أي على قولكم كما قال أين شركائي أي عندكم ويدل على أنه لم يعبد شيئا
من ذلك ولا أشرك بالله قط طرفة عين قول الله تعالى عنه إذ قال لأبيه وقومه
ما تعبدون ثم قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي
إلا رب العالمين وقال إذ جاء ربه بقلب سليم أي من الشرك وقوله واجنبني وبني
أن نعبد الأصنام فإن قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين
قيل إنه لئن لم يؤيدني بمعونته أكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم على معنى الإشفاق والحذر
وإلا فهو معصوم في الأزل من الضلال فإن قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا
إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها فلا يشكل عليك لفظة العود فإنها تقتضي أنهم
إنما يعودون إلى ما كانوا فيه من ملتهم وقد تأتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس
له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل كذلك
ومثله قول الشاعر فعادا بعد أبوالا وهذا البيت تمثل به عمر بن عبد العزيز الأموي أوله

هذي المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وما كانا قبل كذلك فإن قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال
الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك إليها قاله الطبري وقيل وجدك بين أهل
الضلال فعصمك من ذلك وهداك للإيمان وإلى إرشادهم ونحوه عن السدي وغير
واحد وقيل ضالا عن شريعتك أي لا تعرفها فهداك إليها والضلال ها هنا التحير
ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به إلى ربه ويتشرع به
حتى هداه الله تعالى إلى الإسلام قال معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك إليه
وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى قال بن عباس لم تكن له ضلالة
معصية وقيل هدى أي بين أمرك بالبراهين وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة
فهداك إلى المدينة وقيل المعنى وجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك
ضالا عن محبتي لك في الأزل أي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرأ الحسن بن علي ووجدك
ضال فهدى أي اهتدى بك وقال بن عطا ووجدك ضالا أي محبا لمعرفتي والضال
المحب كما قال إنك لفي ضلالك القديم أي محبتك القديمة ولم يريدوا ها هنا في الدين إذ لو
قالوا ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عند هذا قوله إنا لنراها في ضلال مبين أي محبة
بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما أنزل إليك فهداك لبيانه كقوله
وأنزلنا إليك الذكر الآية وقيل ووجدك لم يعرفك أحد بالنبوة حتى أظهرك فهدى
بك السعداء ولا أعلم أحدا قال من المفسرين فيها ضالا عن الإيمان وكذلك في قصة
موسى عليه السلام قوله قال فعلتها إذا وأنا من الضالين أي المخطئين الفاعلين شيئا
بغير قصد قاله بن عرفة وقال الأزهري معناه من الناسين وقد قيل ذلك في قوله
ووجدك ضالا فهدى أي ناسيا كما قال تعالى أن تضل إحداهما فتذكر فإن قلت فما
معنى قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان فالجواب أن السمرقندي قال معناه
ما كنت تدري قبل الوحي أن تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان وقال بكر القاضي
نحوه قال ولا الإيمان الذي هو الفرائض والأحكام قال وكان قبل مؤمنا بتوحيده
ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف إيمانا وكذلك الحديث الذي
يرويه عثمان بن أبي شيبة بسنده عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد مع
المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه أحدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه

فقال الآخر كيف أقوم خلفه وعهدي باستلام الأصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث
أنكره أحمد بن حنبل جدا وقال هذا موضوع أو شبيه بالموضوع وقال الدارقطني
يقال أن عثمان وهم في إسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على إسناده
فلا يلتفت إليه والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه عند أهل العلم من قوله
بغضت إلي الأصنام وقوله في الحديث الآخر الذي روته أم أيمن حين كلمه عمه
وآله في حضور بعض أعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهيته لذلك فخرج
معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لي شخص أبيض طويل
يصيح بي وراءك لا تمسه فما شهد لهم بعد عيدا وقوله في قصة بحيرا حين
استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى إذ لقيه بالشام في سفرته مع
عمه أبي طالب وهو صبي ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا
فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته
صلى الله عليه وسلم وتوفيق الله تعالى له أنه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم
بمزدلفة في الحج فكان هو يقف بعرفة لأنه كان موقف إبراهيم عليه السلام

فصل قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه قد بان بما قدمناه عقود الأنبياء
في التوحيد والإيمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فأما ما عدا هذا الباب
من عقود قلوبهم فجماعها أنها مملوءة علما ويقينا على الجملة وأنها قد احتوت من المعرفة
والعلم بأمور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه ومن طالع الأخبار واعتنى بالحديث
وتأمل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه في حق نبينا في الباب الرابع أول قسم
من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه إلا أن أحوالهم في هذه المعارف تختلف فأما
ما تعلق منها بأمر الدنيا فلا يشترط في حق الأنبياء العصمة من عدم معرفة الأنبياء
ببعضها أو اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه إذ هممهم متعلقة
بالآخرة وأنبائها وأمر الشريعة وقوانينها وأمور الدنيا تضادها بخلاف
غيرهم من أهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم
غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني إن شاء الله تعالى ولكنه لا يقال إنهم

لا يعلمون شيئا من أمر الدنيا فإن ذلك يؤدي إلى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه
بل قد أرسلوا إلى أهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم
ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بأمور الدنيا بالكلية وأحوال الأنبياء وسيرهم
في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة وأما إن كان هذا العقد
مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي إلا العلم به ولا يجوز جهالة عليه جملة لأنه لا يخلو
أن يكون حصل ذلك عنده عن وحي من الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه
فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين أو يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه
فيه شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين وعلى
مقتضى حديث أم سلمة إني إنما أقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه خرجه الثقات
ولقصة أسرى بدر والإذن للمتخلفين على رأي بعضهم فلا يكون أيضا ما يعتقده
مما يثمره اجتهاده إلا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت إلى خلاف من خالف
فيه لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الآخر
بأن الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ في الاجتهاد في الشرعيات
ولأن القول في تخطئة المجتهدين إنما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي صلى
الله عليه وسلم واجتهاده إنما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما
عقد عليه صلى الله عليه وسلم قلبه فأما ما لم يعقد عليه قلبه من أمر النوازل الشرعية فقد
كان لا يعلم منها أولا إلا ما علمه الله شيئا شيئا حتى استقر علم جملتها عنده إما بوحي
من الله أو إذن أن يشرع في ذلك ويحكم بما أراه الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها
ولكنه لم يمت حتى استفرغ جميعها عنده صلى الله عليه وسلم وتقررت معارفها لديه
على التحقيق ورفع الشك والريب وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من
تفاصيل الشرع الذي أمر بالدعوة إليه إذ لا تصح دعوته إلى ما لا يعلم وأما ما
تعلق بعقده من ملكوت السماوات والأرض وخلق الله وتعيين أسمائه الحسنى
وآياته الكبرى وأمور الآخرة وأشراط الساعة وأحوال السعداء والأشقياء وعلم
ما كان ويكون مما لم يعلمه إلا بوحي فعلى ما تقدم من أنه معصوم فيه لا يأخذه فيما
أعلم منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل

ذلك وان كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله اني لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر على قلب بشر فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقول موسى لخضر هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم اسالك باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله اسالك بكل اسم سميت به نفسك واستاثرت به في علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله تعالى وهذا ما لا خفاء به اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد والشرع والمعارف والامور الدينية

فصل واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره بالوساوس وقد اخبرنا القاضي الحافظ ابو علي رحمه الله حدثنا ابو الفضل بن خيرون العدل حدثنا ابو بكر البرقاني وغيره حدثنا ابو الحسن الدارقطني حدثنا اسمعيل الصفار حدثنا عباس الترقفي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفين عن منصور عن سالم ابن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي ولكن الله تعالى اعانني عليه فاسلم زاد غيره عن منصور فلا يامرني الا بخير وعن عايشة بمعناه روي فاسلم بضم الميم اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي فاسلم يعني القرين انه انتقل عن حال كفره الى الاسلام فصار لا يامرني الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على بني ادم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه وقد جاءت الاثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في اطفاء نوره واماتة نفسه وادخال شغل عليه اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلاته فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم واسره ففي الصحاح قال ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي الصلوة فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي الاية فرده الله خاسيا وفي حديث ابي الدرداء عنه صلى الله عليه وسلم

ان عدو الله ابليس جاءني بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلوة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم اردت اخذه وذكر نحوه وقال لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك في حديثه في الاسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه ذكره في الموطا ولما لم يقدر على اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط الى عداه كقضيته مع قريش في الايتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة اخرى في غزوة يوم بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الاية ومرة ينذر بشانه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله امره وعصمه ضره وشره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب وقال صلى الله عليه وسلم حين لد في مرضه وقيل له خشينا ان تكون بك ذات الجنب فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي فان قيل فما معنى قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية فقد قال بعض المفسرين انها راجعة الى قوله واعرض عن الجاهلين ثم قال واما ينزغنك اي يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي وقيل ينزغنك يغرينك ويحركنك والنزغ ادنى الوسوسة فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان من اغرائه به وخواطر اداني وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ منه فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل في هذه الاية غير هذا وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي صلى الله عليه وسلم ان ما ياتيه من الله الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله له او ببرهان يظهره لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل فما معنى قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية فاعلم ان للناس في معنى هذه الاية اقاويل منها السهل والوعث والسمين والغث واولى ما يقال

فيهما عليه الجمهور من المفسرين أن التمني ههنا التلاوة وإلقاء الشيطان فيها شغله بخواطر وأذكار من أمور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه أو يدخل غير ذلك على أفهام السامعين من التحريف وسوء التأويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم آياته وسيأتي الكلام على هذه الآية بعد بأشبع من هذا إن شاء الله

وقد **حكى** السمرقندي إنكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمان وغلبته عليه وأن مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن قال إن الجسد هو الولد الذي ولد له وقال أبو محمد مكي في قصة أيوب وقوله أني مسني الشيطان بنصب وعذاب إنه لا يجوز لأحد أن يتأول أن الشيطان هو الذي أمرضه وألقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك إلا بفعل الله وأمره ليبتليهم ويثيبهم قال مكي وقيل إن الذي أصابه الشيطان ما وسوس به إلى أهله فإن قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما أنسانيه إلا الشيطان وقوله تعالى عن يوسف فأنساه الشيطان ذكر ربه وقول نبينا صلى الله عليه وسلم حين نام عن الصلاة يوم الوادي إن هذا واد به شيطان وقول موسى عليه السلام في وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم أن هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص أو فعل بالشيطان أو فعله كما قال تعالى كأنه رؤوس الشياطين وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فإنما هو شيطان وأيضا فإن قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه إذ لم تثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى عليه السلام قال الله تعالى وإذ قال موسى لفتاه والمروي أنه إنما نبئ بعد موت موسى عليه السلام وقيل قبل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القرآن وقصة يوسف قد ذكر أنها كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون في قوله تعالى فأنساه الشيطان قولين **أحدهما** أن الذي أنساه الشيطان ذكر ربه أحد صاحبي السجن وربه الملك أي أنساه أن يذكر للملك شأن يوسف عليه السلام وأيضا فإن مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف عليه السلام ويوشع بوساوس ونزغ وإنما هو بشغل خواطرهما بأمور أخر وتذكيرهما من أمورهما ما ينسيهما ما نسيا وأما قوله صلى الله عليه وسلم إن هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل إن كان

مقتضى ظاهره فقد بين أمر ذلك الشيطان بقوله إن الشيطان أتى بلالا فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام فاعلم أن تسلط الشيطان في ذلك الوادي إنما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا إن جعلنا قوله إن هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلوة وأما إن جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن أسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع إشكاله

فصل وأما أقواله صلى الله عليه وسلم فقامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا أو غلطا أما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق فيما قال اتفاقا وبإطباق أهل الملة إجماعا وأما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند الأستاذ أبي إسحق الإسفرايني ومن قال بقوله ومن جهة الإجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي أبي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد ما وقع عليه إجماع المسلمين أنه لا يجوز عليه خلف في القول في إبلاغ الشريعة والإعلام بما أخبر به عن ربه وما أوحاه إليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حال الرضى والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله أكتب كل ما أسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم فإني لا أقول في ذلك كله إلا حقا ولنزد ما أشرنا إليه من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول إذا قامت المعجزة على صدقه وأنه لا يقول إلا حقا ولا يبلغ عن الله إلا صدقا وأن المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره عني وهو يقول إني رسول الله إليكم لأبلغكم ما أرسلت به إليكم وأبين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح أن يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على أي وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو

لما تميز لنا من غيره ولاختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة
واحدة من غير خصوص وتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا وإجماعا
كما قاله الأستاذ أبو إسحاق **فصل** وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين
سؤالات منها ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم وقال
أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى قال تلك الغرانيق العلى
وإن شفاعتها لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية وإن شفاعتها لترتجى وإنها لمع
الغرانيق العلى وفي أخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة
سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم وما وقع في بعض
الروايات أن الشيطان ألقاها على لسانه وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان تمنى أن
لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه وفي رواية أخرى أن لا ينزل عليه
شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وأن جبريل جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ
الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تسلية
له وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية وقوله وإن كادوا ليفتنونك الآية
فاعلم أكرمك الله أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين أحدهما في توهين
أصله والثاني على تسليمه **أما** المأخذ الأول فيكفيك أن هذا حديث لم يخرجه
أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وإنما أولع به وبمثله المفسرون
والمؤرخون والمولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق
القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث يقول لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير
وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده
واختلاف كلماته فقائل يقول إنه في الصلوة وآخر يقول قالها في نادي قومه
حين أنزلت عليه السورة وآخر يقول قالها وقد أصابته سنة وآخر يقول
بل حدث نفسه فسها وآخر يقول إن الشيطان قالها على لسانه وإن النبي
صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتك وآخر يقول بل أعلمهم
الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
قال والله ما هكذا أنزلت إلى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت عنه هذه الحكاية

من المفسرين والتابعين ولم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب وأكثر
الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن أبي بشر
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب الشك في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان بمكة وذكر القصة قال أبو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي
صلى الله عليه وسلم بإسناد صحيح متصل يجوز ذكره إلا هذا ولم يسنده عن شعبة
إلا أمية ابن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي
صالح عن ابن عباس فقد بين لك أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره
سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا
يوثق به ولا حقيقة معه وأما حديث الكلبي فما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره
لقوة ضعفه وكذبه كما أشار إليه البزار رحمه الله والذي منه في الصحيح أن النبي
صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس
هذا توهينه من طريق النقل فأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة
على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة إما من تمنيه أن ينزل عليه
مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر أو أن يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه
القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم أن من القرآن ما ليس منه
حتى ينبهه جبريل عليهما السلام وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم أو يقول
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر أو سهوا وهو معصوم من ذلك
كله وقد قررنا بالبرهان والإجماع عصمته صلى الله عليه وسلم من جريان الكفر على قلبه
أو لسانه لا عمدا ولا سهوا أو أن يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان أو يكون
للشيطان عليه سبيل أو أن يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال
تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل الآية وقال إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف
الممات الآية ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك أن هذا
الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام متناقض الأقسام ممتزج المدح بالذم
متخاذل التأليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين
وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على أدنى متأمل فكيف

جمع صنديد وهو السيد الشجاع وفي القاموس الصنديد كزبرج السيد الشجاع

بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه وجه ثالث انه
قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين
نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم
المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام
لادنى شبهة ولم يحك احد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل
ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة
كما فعلوا مكابرة في قصة الاسرا حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك
ما روي في قصة القضية ولا فتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب
للمعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت فما روي عن معاند فيها كلمة ولا
عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك في ادخال
بعض شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء
المسلمين وجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك
الايتين وهاتان الايتان ترد الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا
يفتنونه حتى يفتري وانه لولا ان ثبته لكاد يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله
عصمه من ان يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم
الواهية انه زاد على الركون والافترا بمدح الهتهم وانه قال صلى الله عليه وسلم افتريت
على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الاية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له
وهذا مثل قوله في الاية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طايفة منهم
ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شي وقد روي عن ابن عباس
كل ما في القران كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار
ولم يذهب واكاد اخفيها ولم يفعل قال القشيري القاضي ولقد طالبته قريش وثقيف
اذ مر بالهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه الايمان به ان فعل فما فعل وما كان
ليفعل قال ابن الانباري ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت في معنى الاية
تفاسير اخر ما ذكرناه من نص الله على عصمة رسوله صلى الله عليه وسلم يرد سفسافها
فلم يبق في الاية الا ان الله امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار

وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الاية
واما الماخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد اعاذنا الله من صحته
ولكن على كل حال فقد اجاب على ذلك ايمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين
فمنها ما روي قتادة ومقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم اصابته سنة عند قراته
هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ لا يجوز على النبي
مثله في حالة من احواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه في نوم ولا
يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو وفي قول الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم
حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر بن عبد
الرحمن قال وسها فلما اخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح ان
يقوله صلى الله عليه وسلم لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه
وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ
للكفار كقول ابراهيم عليه السلام هذا ربي على احد التاويلات وكقوله بل
فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته
وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو احد
ما ذكره القاضي ابو بكر ولا يعترض على هذا بما روي انه كان في الصلوة فقد كان
الكلام قبل فيها غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تاويله عنده وعند غيره
من المحققين على تسليمه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القران ترتيلا
ويفصل الاي تفصيلا في قراته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان
لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم
بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم واشاعوها
ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما انزلها الله وتحققهم من حال
النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه وقد حكى موسى بن عقبة
في مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك في اسماع
المشركين وقلوبهم ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة
والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية

نعني تمني تلا قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوته وقوله فينسخ الله
ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم اياته وقيل معنى الاية هو ما يقع
للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو اذا قرا فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي
في الاية انه حدث نفسه وقال اذا تمنى اي حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد
الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ
وزيادة ما ليس من القران بل السهو عن اسقاط اية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا
السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو
وما لا يجوز ومما يظهر في تاويله ايضا ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلى
فان سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان قرانا والمراد بالغرانقة العلى وان شفاعتهن
لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانقة انها الملائكة وذلك ان
الكفار كانوا يعتقدون الاوثان والملائكة بنات الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه
السورة بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة
صحيح فلما تاوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر الهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك
وزينه في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله ما القى الشيطان واحكم اياته ورفع تلاوة تلك
اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للتلبيس كما نسخ كثير من القران ورفعت
تلاوته وكان في انزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي
من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم
مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم
انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الاية وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما قرا هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف
الكفار ان ياتي بشيء من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة
النبي صلى الله عليه وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه
لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه
وان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله تعالى
بقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل

واحكم اياته

وحفظ القران ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر الاية
ومن ذلك ما روي من قصة يونس عليه السلام انه وعد قومه العذاب عن ربه فلما
تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا فاعلم
اكرمك الله ان ليس في خبر من الاخبار الواردة في هذا الباب ان يونس عليه السلام قال
لهم ان الله مهلككم وانما دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه
لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع عنهم
العذاب وتداركهم قال الله تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي
الاية وروي في الاخبار انهم راوا دلايل العذاب ومخايله قاله ابن مسعود
وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشي الثوب القبر **فان قلت** فما معنى
ما روي من ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا
وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم
فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث اخر فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم
اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول اكتب عليما حكيما فيقول اكتب
سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن انس ان نصرانيا كان يكتب
للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما اسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له
فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل
الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية
عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله
على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية
سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله ولم يرد
عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله وافتراه
على نبي الله وانما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله واولئك هم الكاذبون
ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما
اوحي اليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن
في نظم القران وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له

ام لم

عليم حكيم أو كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه أو قلمه لكلمة أو كلمتين مما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم قبل إظهار الرسول لها إذ كان ما تقدم مما أملاه الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف إذا سمع البيت أن يسبق إلى قافيته أو مبتدأ الكلام الحسن إلى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم إن صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الآي وجهان وقراءتان أنزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فأملى إحداهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام إلى الأخرى فذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم ثم أحكم الله من ذلك ما أحكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الآي مثل قوله تعالى إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة فإنك أنت الغفور الرحيم وليستا من المصحف وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما معا الجمهور وثبتتا في المصحف مثل وانظر إلى العظام كيف ننشزها وننشرها ويقضي الحق ويقص الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل إن هذا يحتمل أن يكون فيما يكتبه من النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس غير القرآن فيصف الله ويسميه في ذلك كيف شاء

فصل هذا القول فيما طريقه البلاغ وأما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الأخبار التي لا مستند لها إلى الأحكام ولا أخبار المعاد ولا يضاف إلى وحي بل في أمور الدنيا وأحوال نفسه فالذي يجب تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وأنه معصوم من ذلك في حال رضاه وحال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف وإجماعهم عليه وذلك أنا نعلم من دين الصحابة وعادتهم ومبادرتهم إلى تصديق جميع أحواله والثقة بجميع أخباره في أي باب كانت وعن أي شيء وقعت وأنه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو أم لا ولما احتج ابن أبي الحقيق اليهودي على عمر حين أجلاهم من خيبر بإقرار رسول الله

صلى الله عليه وسلم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله عليه وسلم كيف بك إذا أخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من أبي القاسم فقال له عمر كذبت يا عدو الله **وأيضا** فإن أخباره وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه صلى الله عليه وسلم لغلط في قول قاله أو اعترافه بوهم في شيء أخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته صلى الله عليه وسلم رجوعه عما أشار به على الأنصار في تلقيح النخل وكان ذلك رأيا لا خبرا وغير ذلك من الأمور التي ليست من هذا الباب كقوله صلى الله عليه وسلم والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله إنكم تختصمون إلي الحديث وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل في هذا الباب والذي بعده إن شاء الله تعالى مع أشباهها **وأيضا** فإن الكذب متى عرف من أحد في شيء من الأخبار بخلاف ما هو على أي وجه كان استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته **وأيضا** فإن تعمد الكذب في أمور الدنيا معصية والإكثار منه كبيرة بإجماع مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويشيع مما يخل بصاحبها ويزري بقائلها لاحقة بذلك وأما فيما لا يقع هذا الموقع فإن عددناها من الصغائر فهل تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده إذ عمدة النبوة البلاغ والإعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بأنه لا يجوز على الأنبياء خلف في القول في وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبأنه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في أمورهم وأحوال دنياهم لأن ذلك كان يزري بهم ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد وانظر أحوال أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها من الأمم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف

واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الآثار فيه في الباب أول الكتاب ما يبين لك صحة ما أشرنا اليه **فصل** فإن قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه أبو إسحق إبرهيم بن جعفر حدثنا القاضي أبو الأصبغ بن سهل حدثنا حاتم بن محمد حدثنا أبو عبد الله ابن الفخار حدثنا أبو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد أنه **قال** سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت **فقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي الرواية الأخرى ما قصرت الصلوة وما نسيت الحديث بقصته فأخبر بنفي الحالتين وأنها لم تكن وقد كان أحد ذلك كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله **فاعلم** وفقنا الله وإياك أن للعلماء في ذلك أجوبة بعضها بصدد الإنصاف **ومنها** ما هو بنية التعسف والاعتساف وها أنا أقول أما على القول بتجويز الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه **وأما** على مذهب من يمنع السهو والنسيان في أفعاله جملة ويرى أنه في مثل هذا عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق في خبره لأنه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره في موضعه **وأما** على إحالة السهو عليه في الأقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه أجوبة **منها** أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن اعتقاده وضميره **وأما** إنكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا **وأما** النسيان فأخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وأنه لم ينس في ظنه فكأنه قصد الخبر بهذا عن ظنه وإن لم ينطق به وهذا صدق أيضا **وجه ثان** أن قوله ولم أنس راجع إلى السلام أي إني سلمت قصدا وسهوت عن العدد أي لم أسه في نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد **وجه ثالث** وهو أبعدها ما ذهب اليه بعضهم وإن احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن أي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان أحدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الأخرى الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت

هذا ما رأيت فيه لأئمتنا وكل من هذه الوجوه يحتمل اللفظ على بعد بعضها من بعض وتعسف الآخر منها **قال** القاضي أبو الفضل **والذي** أقول ويظهر لي أنه أقرب من هذه الوجوه كلها أن قوله لم أنس إنكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وأنكره على غيره بقوله صلى الله عليه وسلم بئسما لأحدكم أن يقول نسيت آية كذا وكذا ولكنه نسي وبقوله في بعض روايات الحديث الآخر لست أنسى ولكن أنسى فلما قال له السائل أقصرت الصلوة أم نسيت أنكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وأنه إن كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى سأل غيره فتحقق أنه نسي وأجري عليه ذلك ليسن فقوله على هذا لم أنس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي **ووجه** آخر استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك أنه قال إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لأن النسيان غفلة وآفة والسهو إنما هو شغل قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا إن تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت الصلوة ولا نسيت خلف في قول **وأما** قصة كلمات إبرهيم المذكورة في الحديث أنها كذباته الثلاث المنصوصة في القرآن منها اثنتان قوله إني سقيم وبل فعله كبيرهم **هذا** وقوله للملك عن زوجته إنها أختي **فاعلم** أكرمك الله أن هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب **أما** قوله إني سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم أي إن كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه عن الخروج معهم إلى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت وقيل سقيم القلب بما أشاهده من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم فلما رآه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما أراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها وأنه أثناء نظره في ذلك وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض حال مع أنه لم يشك هو ولا ضعف إيمانه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول

حتى ألهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نصه الله وقد قدمنا بيانه **وأما** قولهم بل فعله كبيرهم هذا الآية فإنه علق خبره بشرط نطقه كأنه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق أيضا ولا خلف فيه **وأما** قوله أختي فقد بين في الحديث وقال فإنك أختي في الإسلام والله تعالى يقول إنما المؤمنون إخوة **فإن قلت** فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابرهيم إلا ثلث كذبات **وقال** في حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن إلا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق ابراهيم عليه السلام بمؤاخذته بها **وأما** الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول إنما هو ستر مقصده لئلا يأخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث عن أخباره والتعريض بذكره لا أنه يقول تجهزوا إلى غزوة كذا أو وجهتنا إلى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والأول ليس فيه خبر يدخله الخلف **فإن قلت** فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل أي الناس أعلم فقال أنا أعلم فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه الحديث وفيه قال بلى عبد لنا بمجمع البحرين أعلم منك وهذا خبر قد أنبأ الله عنه أنه ليس كذلك فاعلم أنه قد وقع في هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة **عن** ابن عباس هل تعلم أحدا أعلم منك فإذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الآخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لأن حاله في النبوة والاصطفاء يقتضي ذلك فيكون إخباره بذلك أيضا **عن** اعتقاده وحسبانه صدقا ولا خلف فيه وقد يريد بقوله أنا أعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد وأمور الشريعة وسياسة الأمة ويكون الخضر أعلم منه بأمور أخر مما لا يعلمه أحد إلا بإعلام الله من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما فكان موسى أعلم على الجملة بما تقدم وهذا أعلم على الخصوص بما أعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله ذلك عليه فيما قاله العلماء إنكار هذا القول عليه لأنه لم يرد العلم إليه

كما قالت الملائكة لا علم لنا إلا ما علمتنا أو لأنه لم يرض قوله شرعا وذلك والله أعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من أمته فيهلك لما تضمنه من مدح الإنسان نفسه فيورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وإن نزه عن هذه الرذائل الأنبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك ليلها إلا من عصمه الله فالتحفظ منها أولى لنفسه وليقتدى به **ولهذا قال** صلى الله عليه وسلم تحفظا من مثل هذا مما قد علم به أنا سيد ولد آدم ولا فخر وهذا الحديث إحدى حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه وأنا أعلم من موسى ولا يكون الولي أعلم من النبي **وأما** الأنبياء فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته عن أمري فدل أنه بوحي ومن قال إنه ليس بنبي قال يحتمل أن يكون فعله بأمر نبي آخر وهذا يضعف لأنه ما علمنا أنه كان في زمن موسى عليه السلام نبي غيره إلا أخاه هرون وما نقل أحد من أهل الأخبار في ذلك شيئا يعول عليه وإذا جعلنا أعلم منك ليس على العموم وإنما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج إلى إثبات نبوة خضر ولهذا **قال** بعض الشيوخ كان موسى أعلم من الخضر فيما أخذ عن الله والخضر أعلم فيما دفع إليه من موسى وقال آخر إنما ألجئ موسى إلى الخضر للتأديب لا للتعليم

فصل

وأما ما يتعلق بالجوارح من الأعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فأجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند الجمهور في ذلك الإجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي أبي بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الإجماع وهو قول الكافة واختاره الأستاذ أبو إسحاق وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لأن كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة مع الإجماع على ذلك من الكافة وأما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء وهو مذهب أبي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة أخرى إلى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يأت في الشرع قاطع بأحد الوجهين وذهبت طائفة أخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر

قالوا لاختلاف الناس في الصغاير وتعيينها من الكباير واشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره
إن كل ما عصي الله به فهو كبيرة وإنه إنما سمي منها الصغير بالإضافة إلى ما هو أكبر منه ومخالفة
الباري في أي أمر كان يجب كونه كبيرة **قال** القاضي أبو محمد عبد الوهاب لا يمكن أن يقال
في معاصي الله صغيرة إلا على معنى أنها تغتفر باجتناب الكباير ولا يكون لها حكم مع ذلك
بخلاف الكباير إذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء والمشية في العفو عنها إلى الله وهو قول
القاضي أبي بكر وجماعة أيمة الأشعرية وكثير من أيمة الفقهاء **وقال** بعض أيمتنا ولا يجب
على القولين أن يختلف في أنهم معصومون عن تكرار الصغاير وكثرتها إذ يلحقها ذلك بالكباير
ولا في صغيرة أدت إلى إزالة الحشمة وأسقطت المروة وأوجبت الإزراء والخساسة فهذا
أيضا مما يعصم عنه الأنبياء إجماعا لأن مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه
وينفر القلوب عنه والأنبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فأدى إلى
مثله لخروجه بما أدى إليه عن اسم المباح إلى الحظر وقد ذهب بعضهم إلى عصمتهم من
مواقعة المكروه قصدا وقد استدل بعض الأيمة على عصمتهم من الصغاير بالمصير إلى امتثال
أفعالهم واتباع آثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من أصحاب مالك والشافعي
وأبي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وإن اختلفوا في حكم ذلك وحكى
ابن خويز منداذ وأبو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول الأبهري وابن القصار
وأكثر أصحابنا وقول أكثر أهل العراق وابن سريج والإصطخري وابن خيران من الشافعية وأكثر
الشافعية على أن ذلك ندب وذهبت طايفة إلى الإباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان
من الأمور الدينية وعلم به مقصد القربة ومن قال بالإباحة في أفعاله لم يقيد قال
فلو جوزنا عليهم الصغاير لم يمكن الاقتداء بهم في أفعالهم إذ ليس كل فعل من أفعاله
يتميز مقصده به من القربة أو الإباحة أو الحظر أو المعصية ولا يصح أن يؤمر المرء
بامتثال أمر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول إذا تعارضا من
الأصوليين ونزيد هذه الحجة بأن نقول من جوز الصغاير ومن نفاها عن نبينا صلى الله
عليه وسلم مجمعون على أنه لا يقر على منكر من قول أو فعل وأنه متى رأى شيئا فسكت عنه
صلى الله عليه وسلم دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في
نفسه وعلى هذا المأخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل وإذ الحظر أو الندب

على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه وأيضا فقد علم من دين الصحابة
قطعا الاقتداء بأفعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء بأقواله
فقد نبذوا خواتمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع واحتجاجهم برؤية ابن
عمر إياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج غير واحد منهم في غير شيء
مما بابه العبادة أو العادة بقوله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله **وقال** هلا
خبرتيها أني أقبل وأنا صايم وقالت عايشة محتجة كنت أفعله أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
وغضب صلى الله عليه وسلم على الذي أخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال
إني أخشاكم لله وأعلمكم بحدوده والآثار في هذا أعظم من أن نحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها
على القطع اتباعهم أفعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا
ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما أنكر صلى الله عليه وسلم على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه
وأما المباحات فجايز وقوعها منهم إذ ليس فيها قدح بل هي مأذون فيها وأيديهم
كأيدي غيرهم مسلطة عليها إلا أنهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم
من أنوار المعرفة واصطفوا به من تعلق هممهم بالله والدار الآخرة لا يأخذون من المباحات
إلا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم
وما أخذ على هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه أول الكتاب طرفا في
خصال نبينا صلى الله عليه وسلم فبان لك عظيم فضل الله على نبينا وعلى ساير أنبيايه عليهم السلام
بأن جعل أفعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية

فصل وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها آخرون
والصحيح إن شاء الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسألة
تصورها كالممتنع فإن المعاصي والنواهي إنما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس
في حال نبينا صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى إليه هل كان متبعا لشرع من قبله أم لا فقال
جماعة لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة
في حقه حينئذ إذ الأحكام الشرعية إنما تتعلق بالأوامر والنواهي وتقرر الشريعة
ثم اختلفت حجج القايلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الأمة القاضي
أبو بكر إلى أن طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته أنه لو كان

ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ هو كان من مهم امره واولي ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يوثر من ذلك شي جملة وذهبت طايفة الي امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا علي التحسين والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واسندنا ذلك الي النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولي واظهر **وقالت** فرقة اخري بالوقف في امره صلي الله عليه وسلم وترك قطع الحكم عليه بشي في ذلك اذ لم يحل العقل ولا استبان عندها في احدهما طريق النقل وهو مذهب ابو المعالي وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم علي التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابرهيم وقيل موسي وقيل عيسي صلوات الله عليهم فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شي من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسي اخر الانبياء فلزمت شريعته من جا بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة عيسي بل الصحيح انه لم تكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا صلي الله عليه وسلم ولا حجة ايضا للاخر في قوله تعالي ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وللاخرين في قوله شرع لكم من الدين ما وصي به نوحا فحمل هذه الاية علي اتباعهم في التوحيد كقوله اولئك الذين هدي الله فبهداهم اقتده وقد سمي الله تعالي فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف ابن يعقوب علي قول من يقول انه ليس برسول وقد سمي الله تعالي جماعة منهم في هذه الاية شرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالي وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في ساير الانبيا غير نبينا او يخالفون بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما من مال الي النقل فاين ما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلي اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه بمساق حجته في كل نبي

فصل في حكم ما يكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمي معصية ويدخل تحت التكليف واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظايف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المواخذة عليه فاحوال الانبيا في ترك المواخذة وكونه

ليس بمعصية لهم مع اممهم سوا ثم ذلك علي نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه **اما** الاول فحكمه عند جماعة من العلما حكم السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق علي امتناع ذلك في حق النبي صلي الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعني القول من جهة التبليغ والادا وطرو هذه العوارض عليها يوجب التشكيك ويسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا والي هذا مال ابو اسحق وذهب الاكثر من الفقها والمتكلمين الي ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهوا او عن غير قصد منه جايز عليه كما تقرر من احاديث السهو في الصلوة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة علي الصدق في القول ومخالفة ذلك تناقضها **واما** السهو في الافعال فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما **قال** صلي الله عليه وسلم انما انا بشر انسي كما تنسون فاذا نسيت فذكروني نعم بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه صلي الله عليه وسلم سبب افادة علم وتقرير شرع كما **قال** صلي الله عليه وسلم اني لانسي او انسي لاسن بل قد روي لست انسي ولكن انسي لاسن وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص واغراض الطعن فان القايلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا تقر علي السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور علي قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم علي قول الاخرين **واما** ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله صلي الله عليه وسلم وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر من طبقات علما الامة علي جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الامة ومعاناة الاهل وملاحظة الاعدا ولكن ليس علي سبيل التكرار ولا الاتصال بل علي سبيل الندور كما قال صلي الله عليه وسلم انه ليغان علي قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شي يحط من رتبته ويناقض معجزته وذهبت طايفة الي منع السهو والنسيان والغفلات في حقه صلي الله عليه وسلم جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب

علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الأحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا إن شاء الله تعالى

فصل في الكلام على الأحاديث المذكور فيها السهو منه صلى الله عليه وسلم قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه صلى الله عليه وسلم وما يمتنع وأحلناه في الأخبار جملة وفي الأقوال الدينية قطعاً وأجزنا وقوعه في الأفعال الدينية على الوجه الذي رتبناه وأشرنا إلى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه الصحيح من الأحاديث الواردة في سهوه صلى الله عليه وسلم في الصلاة ثلثة أحاديث **أولها** حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمساً وهذه الأحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله فيه ليستن به إذ البلاغ بالفعل أجلى منه بالقول وأرفع للاحتمال وشرطه أن لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وأن النسيان والسهو في الفعل في حقه صلى الله عليه وسلم غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد قال صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني وقال رحم الله فلاناً لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطتهن ويروى أنسيتهن وقال صلى الله عليه وسلم إني لأنسى وأنسى لأسن قيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي إني لا أنسى ولكن أنسى لأسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار أنه ليس بشك وأن معناه التقسيم أي أنسى أنا أو ينسيني الله قال القاضي أبو الوليد الباجي يحتمل ما قاله أن يريد أني أنسى في اليقظة وأنسى في النوم أو أنسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو أو أنسى مع إقبالي عليه وتفرغي له فأضاف أحد النسيانين إلى نفسه إذ كان له بعض السبب فيه ونفى الآخر عن نفسه إذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة من أصحاب المعاني والكلام على الحديث إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلوة ولا ينسى لأن النسيان ذهول وغفلة وآفة قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان صلى الله عليه وسلم يسهو في صلوته ويشغله عن حركات الصلوة ما في الصلاة شغلاً بها لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية الأخرى إني لا أنسى وذهبت طائفة إلى منع هذا كله عنه وقالوا إن سهوه صلى الله عليه وسلم كان عمداً وقصداً ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد ولا يحلى منه بطائل لأنه كيف يكون

متعمداً ساهياً في حال ولا حجة لهم في قولهم إنه أمر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله إني لأنسى أو أنسى وقد أثبت أحد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون وقد مال إلى هذا عظيم من المحققين من أئمتنا وهو أبو المظفر الإسفرايني ولم يرتضه غيره منهم ولا أرتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله إني لا أنسى ولكن أنسى إذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة وإنما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله بئسما لأحدكم أن يقول نسيت آية كذا ولكنه نسي أو إذ نفي الغفلة وقلة الاهتمام بأمر الصلاة عن قلبه لكن شغل عنها بها ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل إن الذي ترك يوم الخندق أربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب إلى جواز تأخير الصلوة في الخوف إذا لم يتمكن من أدائها إلى وقت الأمن وهو مذهب الشاميين والصحيح أن حكم صلوة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له **فإن قلت** فما تقول في نومه صلى الله عليه وسلم يوم الوادي وقد قال إن عيني تنامان ولا ينام قلبي **فاعلم** أن للعلماء عن ذلك أجوبة **منها** أن المراد بأن هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الأوقات وقد يندر منه غير ذلك ويصحح هذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث نفسه إن الله قبض أرواحنا وقول بلال فيه ما ألقيت علي نومة مثلها قط ولكن مثل هذا إنما يكون منه لأمر يريده من إثبات حكم وتأسيس سنة وإظهار شرع وكما قال في الحديث الآخر لو شاء الله لأيقظنا ولكن أراد أن يكون لمن بعدكم **الثاني** أن قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه لما روي أنه كان محروساً وأنه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضى وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه مع أهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوءه بمجرد النوم إذ لعل ذلك لملامسة الأهل أو لحدث آخر فكيف وفي آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم أقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضأ وقيل لا ينام قلبه من أجل أنه يوحى إليه في النوم وليس في قصة الوادي إلا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الله قبض

أرواحنا ولو شاء لردها إلينا في حين غير هذا **فإن قيل** فلولا عادته في استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ لنا الصبح **فقيل الجواب** انه كان من شانه صلى الله عليه وسلم التغليس بالصبح ومراعاة أول الفجر لا يصح ممن نامت عينه إذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكّل بلالا بمراعاة أوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته **فإن قيل** فما معنى نهيه صلى الله عليه وسلم عن القول نسيت وقد قال صلى الله عليه وسلم إني أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني وقال لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها **فاعلم** أكرمك الله أنه لا تعارض في هذه الالفاظ أما نهيه عن أن يقال نسيت آية كذا فمحمول على ما نسخ حفظه من القرآن أي أن الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره إليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من سهو أو غفلة من قبله تذكرها صلح أن يقال فيه أنسى وقد قيل إن هذا منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب أن يضيف الفعل إلى خالقه والآخر على طريق الجواز ولاكتساب العبد فيه وإسقاطه صلى الله عليه وسلم لما أسقط من هذه الآيات جائز عليه بعد بلاغ ما أمر ببلاغه وتوصيله إلى عباده ثم يستذكرها من أمته أو من قبل نفسه إلا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره وقد يجوز أن ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز أن ينسى منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره إياه ويستحيل دوام نسيانه له بحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه

فصل في الرد على من أجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك اعلم أن المجوزين للصغائر على الأنبياء من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث إن التزموا ظواهرها أفضت بهم إلى تجويز الكبائر وخرق الإجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت أقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فإذا لم يكن مذهبهم إجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على خطإ قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير إلى ما صح وها نحن نأخذ في النظر فيها إن شاء الله فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات

وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك وقوله عفا الله عنك لم أذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وقوله عبس وتولى أن جاءه الأعمى الآية وما قص من قصص غيره من الأنبياء كقوله وعصى آدم ربه فغوى وقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء الآية وقوله عنه ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقوله عن يونس سبحانك إني كنت من الظالمين وما ذكر من قصته وقصة داود وقوله وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب إلى قوله مآب وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته مع إخوته وقوله عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ونحوه من أدعيته صلى الله عليه وسلم وذكر الأنبياء في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة **وقوله** إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله وفي حديث أبي هريرة إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح وإلا تغفر لي وترحمني الآية وقد كان قال الله له ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون وقال عن إبراهيم والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله عن موسى تبت إليك وقوله ولقد فتنا سليمان إلى ما أشبه هذه الظواهر **فأما** احتجاجهم بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهذا قد اختلف فيه المفسرون فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع أعلمه أنه مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة والمتأخر عصمتك بعدها حكاه أحمد بن نصر وقيل المراد بذلك أمته صلى الله عليه وسلم وقيل المراد ما كان من سهو وغفلة وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل المراد ما تقدم لأبيك آدم وما تأخر من ذنوب أمتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي قبله يتأول قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات قال مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ههنا هي مخاطبة لأمته وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر أن يقول وما أدري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فأنزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الآية وبمآل المؤمنين في الآية الأخرى بعدها قاله ابن عباس فمقصد الآية إنك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب أن لو كان قال بعضهم المغفرة ههنا تبرئة من العيوب وأما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي

انقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى
قول قتادة وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لأثقلت ظهره
حكى معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى بلغها
حكاه الماوردي والسلمي وقيل حططنا عنك ثقل أيام الجاهلية حكاه مكي وقيل
ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري
وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى
انقض أي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى
الله عليه وسلم بأمور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها أوزارا وثقلت
عليه وأشفق منها أو يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لأنقضت
ظهره أو يكون من ثقل الرسالة أو ما ثقل عليه وشغل قلبه من أمور الجاهلية وإعلام الله تعالى
له بحفظ ما استحفظه من وحيه **وأما** قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم فأمر
لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله معصية
بل لم يعده أهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب إلى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله
من ذلك بل كان مخيرا في أمرين قالوا وقد كان له أن يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه
وحي فكيف وقد قال الله تعالى له فأذن لمن شئت منهم فلما أذن لهم أعلمه الله بما لم
يطلع عليه من سرهم انه لو لم يأذن لهم لقعدوا وأنه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا
ههنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق
ولم تجب عليهم قط أي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وإنما يقول العفو لا يكون
إلا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك أي لم يلزمك ذنبا قال
الداودي روي أنها كانت تكرمة قال مكي هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك
وحكى السمرقندي أن معناه عافاك الله **وأما** قوله تعالى في أسارى بدر ما كان
لنبي أن يكون له أسرى الآيتين فليس فيه إلزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان
ما خص به وفضل من بين سائر الأنبياء فكأنه قال ما كان لنبي غيرك كما قال صلى الله
عليه وسلم أحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي **فإن قيل** فما معنى قوله تعالى تريدون
عرض الدنيا الآية قيل المعني بالخطاب لمن أراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا

وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية أصحابه
بل قد روي عن الضحاك أنها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس
بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر أن يعطف عليهم العدو ثم قال
تعالى لولا كتاب من الله سبق فاختلف المفسرون في معنى الآية فقيل معناها لولا
أنه سبق مني أن لا أعذب أحدا إلا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي أن يكون أمر الأسرى
معصية وقيل المعنى لولا إيمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به
الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بأن يقال لولا ما كنتم
مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن أحلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل
لولا أنه سبق في اللوح المحفوظ أنها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية
لأن من فعل ما أحل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل
بل كان صلى الله عليه وسلم قد خير في ذلك **وقد روي** عن علي رضي الله عنه قال جاء
جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير أصحابك في الأسارى
إن شاءوا القتل وإن شاءوا الفداء على أن يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل
منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وأنهم لم يفعلوا إلا ما أذن لهم فيه لكن بعضهم
مال إلى أضعف الوجهين مما كان الأصلح غيره من الإثخان والقتل فعوتبوا على ذلك
وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين
وإلى نحو هذا أشار الطبري **وقوله** صلى الله عليه وسلم في هذه القضية لو نزل
من السماء عذاب ما نجى منه إلا عمر إشارة إلى هذا من تصويب رأيه ورأي من أخذ
بمأخذه في إعزاز الدين وإظهار كلمته وإبادة عدوه وأن هذه القضية لو استو
جبت عذابا نجى منه عمر ومثله وعين عمر لأنه أول من أشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر
عليهم في ذلك عذابا لحله عليهم فيما سبق وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت
ولو ثبت لما جاز أن نظن أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل
من نص ولا جعل الأمر إليه فيه وقد نزهه الله عن ذلك وقال القاضي بكر بن العلاء
أخبر الله نبيه في هذه الآية أن تأويله وافق ما كتبه له من إحلال الغنائم والفداء
وقد كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم

بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليه وذلك قبل بدر بأزيد من عام فهذا
كله يدل على أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الأسرى كان على تأويل وبصيرة
وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى أراد لعظم أمر بدر وكثرة
أسراها والله أعلم إظهار نعمته وتأكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ
من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وإنكار وتذنيب هذا معنى كلامه **وأما**
قوله عبس وتولى الآيات فليس فيه إثبات ذنب له صلى الله عليه وسلم بل إعلام الله
أن ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وأن الصواب والأولى كان لو كشف لك حال
الرجلين الإقبال على الأعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك
الكافر كان طاعة لله تعالى وتبليغا عنه واستئلافا له كما شرعه الله له لا معصية
ومخالفة وما قصه الله عليه من ذلك إعلام بحال الرجلين وتوهين أمر الكافر عنده
والإشارة إلى الإعراض عنه بقوله وما عليك ألا يزكى وقيل أراد بعبس وتولى الكافر
الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله أبو تمام **وأما** قصة آدم عليه السلام
وقوله تعالى فأكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله
ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه
فغوى أي جهل وقيل أخطأ فإن الله تعالى قد أخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا
إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسي عداوة إبليس له وما عهد الله
إليه من ذلك بقوله إن هذا عدو لك ولزوجك الآية قيل نسي ذلك بما أظهر لهما
وقال ابن عباس إنما سمي الإنسان إنسانا لأنه عهد إليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة
استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف إبليس لهما إني لكما لمن الناصحين وتوهما أن أحدا
لا يحلف بالله حانثا **وقد روي** عذر آدم بمثل هذا في بعض الآثار وقال
ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة
فلذلك قال ولم نجد له عزما أي قصدا للمخالفة وأكثر المفسرين على أن
العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عند أكله سكران وهذا فيه ضعف لأن
الله وصف خمر الجنة أنها لا تسكر فإذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك إن كان
ملبسا عليه غالطا إذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف

وقال الشيخ ابن فورك وغيره إنه يمكن أن يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى
وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر أن الاجتباء والهداية
كانا بعد العصيان وقيل بل أكلها متأولا وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهي
عنها لأنه تأول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل إنما كانت
التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول أن الله لم ينهه عنها نهي تحريم
فإن قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وقال فتاب عليه
وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وإني نهيت عن أكل الشجرة فعصيت
فسيأتي الجواب عنه وعن أشباهه مجملا في آخر الفصل إن شاء الله تعالى **وأما**
قصة يونس فقد مضى الكلام على بعضها آنفا وليس في قصة يونس نص على ذنب وإنما
فيه أبق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل إنما نقم الله عليه خروجه عن
قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم
قال والله لا ألقاهم بوجه كذاب أبدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك
وقيل ضعف عن حمل أعباء الرسالة وقد تقدم الكلام أنه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه
نص على معصية إلا على قول مرغوب عنه وقوله تعالى إذ أبق إلى الفلك المشحون
قال المفسرون تباعد **وأما** قوله إني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء
في غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فإما أن يكون لخروجه
عن قومه بغير إذن ربه أو لضعفه عما حمله أو لدعائه بالعذاب على قومه وقد
دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ وقال الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم
وأضاف الظلم إلى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول آدم وحواء ربنا
ظلمنا أنفسنا إذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي أنزلا فيه وإخراجهما
من الجنة وإنزالهما إلى الأرض **وأما** قصة داود عليه السلام فلا يجب أن يلتفت
إلى ما سطره فيها الأخباريون عن أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض
المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه
قوله وظن داود أنما فتناه إلى قوله وحسن مآب وقوله فيه أواب فمعنى
فتناه اختبرناه وأواب قال قتادة مطيع وهذا التفسير أولى قال ابن عباس

وبن مسعود ما زاد داود على أن قال للرجل انزل لي عن امرأتك وأكفلنيها فعاتبه الله
على ذلك ونبهه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي أن يعوّل عليه من أمره وقد
قيل خطبها على خطبته وقيل بل أحب بقلبه أن تستشهد وحكى السمرقندي أن ذنبه
الذي استغفر منه قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك فظلّمه بقول خصمه وإلى نفي ما أضيف
في الأخبار إلى داود من ذلك ذهب أحمد بن نصر وأبو تمام وغيرهما من المحققين قال الداودي
ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وقيل إن الخصمين
اللذين اختصما إليه رجلان في نعاج غنم على ظاهر الآية من غير الرواية **وأما** قصة
يوسف وإخوته فليس على يوسف منها تعقّب وأما إخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على
أفعالهم وذكر الأسباط وعدّهم في القرآن عند ذكر الأنبياء قال المفسرون يريد من نبي
من أبناء الأسباط وقيل إنهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوا صغار الأسنان ولهذا
لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا ولهذا قالوا أرسله معنا غدا نرتع ونلعب وإن ثبت لهم
نبوة فبعد هذا والله أعلم **وأما** قول الله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى
برهان ربه فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين أن همّ النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة
لقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه إذا همّ عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية
في همه إذا **وأما** على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فإن الهم إذا وطنت عليه النفس
سيئة وأما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون
إن شاء الله همّ يوسف من هذا ويكون قوله وما أبرئ نفسي الآية أي ما أبرئها من هذا الهم أو يكون
ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى
أبو حاتم عن أبي عبيدة أن يوسف لم يهم وأن الكلام فيه تقديم وتأخير أي ولقد همت به
ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها وقد قال الله تبارك وتعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه
فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الأبواب
وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي الآية قيل في ربي الله وقيل الملك
وقيل همّ بها أي بزجرها ووعظها وقيل همّ بها أي غمّها امتناعه عنها وقيل همّ بها نظر
إليها وقيل همّ بضربها ودفعها وقيل هذا كله قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن
إلى يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله تعالى فألقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من رآه

وأما خبر موسى مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى أنه من عدوه قال كان من القبط
الذين كانوا على دين فرعون ودليل السورة في هذا كله أنه قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه
بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت
نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من أجل أنه لا ينبغي لنبي أن يقتل حتى يؤمر وقال
النقاش لم يقتله عمدا مريدا للقتل وإنما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل
إن هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا أي ابتليناك
ابتلاء قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل إلقاؤه في التابوت واليم وغير ذلك
وقيل معناه أخلصناك إخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار
إذا أخلصتها وأصل الفتنة الاختبار وإظهار ما بطن إلا أنه استعمل في عرف الشرع في
اختبار أدى إلى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من أن ملك الموت جاءه فلطم عينه
ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يجب له إذ هو
ظاهر الأمر بين الوجه جائز الفعل لأن موسى دافع عن نفسه من أتاه لإتلافها وقد تصور
له في صورة آدمي ولا يمكن أنه علم حينئذ أنه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة
أدت إلى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله فلما جاءه بعد
وأعلمه الله أنه رسوله إليه استسلم وللمتقدمين والمتأخرين على هذا الحديث أجوبة هذا
أسدها عندي وهو تأويل شيخنا الإمام أبي عبد الله المازري وقد تأوله قديما ابن عائشة
وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة
معروف **وأما** قصة سليمان وما حكى فيها أهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا
سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأطوفن الليلة
على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل
إن شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل قال النبي صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال أصحاب المعاني
والشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه حين عرض عليه وهو عقوبته ومحنته وقيل
بل مات فألقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لأنه لم يستثن
لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته أن سلب ملكه وذنبه أن أحب

أن يكون الحق لاختلاله على خصمهم وقيل أخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما نقله الأخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الأنبياء من مثله وإن سئل لم لم يقل سليمان في القصة المشهورة إن شاء الله فعنه أجوبة **أحدها** ما روي في الحديث الصحيح أنه نسي أن يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثاني أنه لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون أن لا يسلط عليه أحد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه إياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل أراد أن يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من أنبياء الله ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته كإلانة الحديد لأبيه وإحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا **وأما قصة** نوح عليه السلام فظاهرة العذر وأنه أخذ فيها بالتأويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى وأهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ وأراد علم ما طوي عنه من ذلك لا أنه شك في وعد الله فبين الله عليه أنه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد أعلمه الله أنه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فأخذ بهذا التأويل وعتب عليه وأشفق هو من إقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه وكان نوح عليه السلام فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الآية غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تأويله وإقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح من أن نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح فليس في هذا الحديث أن هذا الذي أتى معصية بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا فقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما أباح الله ألا ترى أن هذا النبي كان نازلا تحت شجرة فلما آذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الأذى عليه وليس فيما أوحى الله إليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه إلى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين إذ ظاهر فعله إنما كان لأجل أنها آذته هو في خاصته فكان انتقاما

لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هنالك ولم يأت في كل هذا أمر ونهي عنه فيعصي به ولا نص فيما أوحى الله إليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار والله أعلم

فصل فإن قلت فإذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتأويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر في القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الأنبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم وإشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء **فاعلم** وفقنا الله وإياك أن درجة الأنبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والإشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وأنهم في تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها ولا أمروا بها ثم أخذوا عليها وعوتبوا بسببها أو حذروا من المؤاخذة بها وأتوها على وجه التأويل أو السهو أو تزيد من أمور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب بالإضافة إلى علي منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم لا أنها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فإن الذنب مأخوذ من الشيء الدنيء الرذل ومنه ذنب كل شيء أي آخره وأذناب الناس رذالهم فكأن هذه أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية لله وإعظامه في السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما يكون بالإضافة إليه هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين أي يرونها بالإضافة إلى علي أحوالهم كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو أو تأويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى أي جهل أن تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل وقيل أخطأ ما طلب من الخلود إذ أكلها وخابت أمنيته وهذا يوسف عليه السلام قد أخذ بقوله لأحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين قيل أنسي يوسف ذكر الله وقيل أنسي صاحبه أن يذكره لسيده الملك قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن حبسك فقال يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يؤاخذ الأنبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في أضعاف ما أتوا به

من سوء الأدب وقد قال المحتج للفرقة الأولى على سياق ما قلناه إذا كان الأنبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم أرفع فحالهم إذاً أسوأ حالاً من غيرهم **فاعلم** أكرمك الله أنا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول إنهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سبباً لمنماة رتبهم كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك الآية وقال بعد قول موسى تبت إليك إني اصطفيتك على الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمان وإنابته فسخرنا له الريح إلى قوله وحسن مآب قال بعض المتكلمين زلات الأنبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف وأشار إلى نحو مما قدمناه وأيضاً فلينبه غيرهم من البشر منهم أو ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع بأهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين وقال ابن عطا لم يكن ما نص الله من قصة صاحب الحوت نقصاً له ولكن استزادة من نبينا صلى الله عليه وسلم وأيضاً فيقال لهم فإنكم ومن وافقكم يقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف بعصمة الأنبياء من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها إذاً عندكم وخوف الأنبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما أجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة بأفعال السهو والتأويل وقد قيل إن كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الأنبياء على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكراً لله على نعمه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وقد أمن من المؤاخذة بما تقدم وتأخر أفلا أكون عبداً شكوراً وقال إني أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي قال الحرث بن أسد خوف الملائكة والأنبياء خوف إعظام وتعبد لله لأنهم آمنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم وليستن بهم أممهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وأيضاً فإن في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفاً أشار إليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله قال الله تعالى إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فإحداث الرسل والأنبياء الاستغفار والتوبة والإنابة والأوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى

لنبيه بعد أن غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الآية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً

فصل

قد استبان لك أيها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته أو كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلاً وإجماعاً وقبلها سمعاً ونقلاً ولا بشيء مما قررناه من أمور الشرع وأداه عن ربه من الوحي قطعاً وعقلاً وشرعاً وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وأرسله قصداً أو غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعاً وإجماعاً ونظراً وبرهاناً وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعاً وتنزيهه عن الكبائر إجماعاً وعن الصغائر تحقيقاً وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للأمة وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح فيجب عليك أن تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها وخطرها فإن من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم أو يجوز أو يستحيل عليه ولا يعرف صور أحكامه لا يأمن أن يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب أن يضاف إليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الأسفل من النار إذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط النبي صلى الله عليه وسلم على الرجلين اللذين رأياه ليلاً وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما إنها صفية ثم قال لهما إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً فتهلكا هذه أكرمك الله إحدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلاً لا يعلم بجهله إذا سمع شيئاً منها يرى أن الكلام فيها جملة من فضول العلم وأن السكوت أولى وقد استبان لك أنه متعين للفائدة التي ذكرناها **وفائدة ثانية** يضطر إليها في أصول الفقه ويبتني عليها مسائل من الفقه لا تتعد ويتخلص بها من تشغيب مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وهو باب عظيم وأصل كبير من أصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في أخباره وبلاغه وأنه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في أفعاله عمداً وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج إليها الحاكم والمفتي فيمن أضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم

شيا من هذه الامور ووصفه بها من لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع
الاجماع فيه عليه والخلاف فكيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله
فيه نقص او مدح فاما ان يجترئ على سفك دم حرام او يسقط حقا ويضيع حرمة
للنبي صلى الله عليه وسلم ولسبيل هذا ما قد اختلف ارباب الاصول وائمة العلما
والمحققين في عصمة الملايكة **فصل** في القول في عصمة الملايكة اجمع
المسلمون ان الملايكة مومنون فضلا واتفق ائمة المسلمين ان حكم المرسلين
منهم حكم النبيين سوا في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبيا
والتبليغ اليهم كالانبيا مع الامم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طايفة
الى العصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يومرون وبقوله وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن
المسبحون وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون الاية وبقوله
ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الايه وقوله كرام بررة ولا يمسه
الا المطهرون ونحوه من السمعيات وذهبت طايفة الى ان هذا خصوص للمرسلين
منهم والمقربين واحتجوا باشيا ذكرها اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها
ان شا الله بعد ونبين الوجه فيها ان شا الله والصواب عصمة جميعهم وتنزيه
نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورايت بعض
شيوخنا اشار الى ان لا حاجة بالفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان للكلام
في ذلك ما للكلام في عصمة الانبيا من الفوايد التي ذكرناها سوى فايدة الكلام
في الاقوال والافعال فهي ساقطة ههنا فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم
قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقلة المفسرين وما روي عن
علي وابن عباس في خبرهما وابتلايهما **فاعلم** اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها
شي لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيا يوخذ بقياس
والذي منه في القران اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من
السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترايهم كما نصه الله اول الايات
من افترايهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة

وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطا هذه الاشكالات ان شا الله فاختلف اولا
في هاروت وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل
القراة ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما انزل وما يعلمان من احد نافية او مو
جبة فاكثر المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله
كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه امن قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس
له تعليم انذار اي يقولان لمن جا يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه
ولا تتخيلوا بكذا فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به
ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة **وروي** ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر عنده
هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرا بعضهم وما
انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما
عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما ماذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر
وانه امتحان من الله وابتلا فكيف لا ينزههما عن كباير المعاصي والكفر المذكورة
في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس
قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين
واتبعتهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكي هما جبريل وميكايل ادعى
اليهود عليهما المجي به كما ادعوا على سليمان فاكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين كفروا
يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت
وماروت علجان من اهل بابل وقرا وما انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا على
هذا وكذلك قراة عبد الرحمن بن ابزي بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود
وسليمان وتكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرايل فمسخهما الله
حكاه السمرقندي والقراة بكسر اللام شاذة فحمل الاية على تقدير ابي محمد مكي حسن
ينزه الملايكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله بانهم مطهرون
وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه قصة ابليس وانه كان من
الملايكة ورييسا فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه وانه استثناه من الملايكة
بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن

كما آدم أبو الإنس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب
كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الأرض حين أفسدوا والاستثناء من غير
الجنس شائع في كلام العرب سائغ وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم إلا اتباع الظن
ومما رووه في الأخبار أن خلقا من الملائكة عصوا الله فحرقوا وأمروا أن يسجدوا لآدم
فأبوا فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد له من ذكر الله إلا إبليس في أخبار لا أصل لها
تردها صحاح الأخبار فلا يشتغل بها

الباب الثاني فيما يخصهم في الأمور

الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية قد قدمنا أنه صلى الله عليه وسلم وسائر
الأنبياء والرسل من البشر وأن جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الآفات والتغييرات
والآلام والأسقام وتجرع كاسات الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة
فيه لأن الشيء إنما يسمى ناقصا بالإضافة إلى ما هو أتم منه وأكمل من نوعه وقد كتب الله
على أهل هذه الدار فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة
الغير فقد مرض صلى الله عليه وسلم واشتكى وأصابه الحر والقر وأدركه الجوع والعطش
ولحقه الغضب والضجر وناله الإعيا والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش
شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر
وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الأعلى وتخلص من دار الامتحان
والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها وأصاب غيره من الأنبياء ما هو أعظم
منها فقتلوا قتلا ورموا في النار ووشروا بالمياشير ومنهم من وقاه الله ذلك في
بعض الأوقات ومنهم من عصمه الله كما عصم بعد نبينا من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه
يد ابن قمئة يوم أحد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته أهل الطائف ولقد أخذ على عيون
قريش عند خروجه إلى ثور وأمسك عنه سيف غورث وحجر أبي جهل وفرس سراقة ولئن
لم يقه من سحر ابن الأعصم فلقد وقاه ما هو أعظم من سم اليهودية وهكذا سائر أنبيائه
مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين أمرهم ويتم
كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن أهل الضعف فيهم لئلا
يضلوا بما يظهر من العجائب على أيديهم ضلال النصارى بعيسى وليكون في محنهم تسلية
لأممهم ووفور لأجورهم عند ربهم تماما على الذي أحسن إليهم قال بعض المحققين

وهذه الطوارئ والتغييرات المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود بها
مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس وأما بواطنهم فمنزهة غالبا
عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملأ الأعلى والملائكة لأخذها عنهم وتلقيها
الوحي منهم قال وقد قال صلى الله عليه وسلم إن عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال
إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني وقال لست أنسى ولكن أنسى ليستن
فأخبر أن سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وأن الآفات التي
تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره من
البشر في حكم الباطن لأن غيره إذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو صلى الله
عليه وسلم في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الآثار أنه كان
محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره إذا جاع
ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته وهو صلى الله عليه وسلم
قد أخبر أنه لا يعتريه ذلك وأنه بخلافهم لقوله لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني
ربي ويسقيني وكذلك أقول إنه في هذه الأحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب
لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري
غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه

فصل

فإن قلت فقد جاءت الأخبار
الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم سحر كما حدثنا الشيخ أبو محمد العتابي بقراءتي عليه
قال حدثنا حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن علي بن خلف حدثنا محمد بن أحمد حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا عبيد بن إسمعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام
بن عروة عن عائشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنه ليخيل إليه
أنه فعل الشيء وما فعله وفي رواية أخرى حتى كان يخيل إليه أنه كان يأتي النساء ولا
يأتيهن الحديث إذا كان هذا من التباس الأمر على المسحور فكيف حال النبي
صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله
وإياك أن هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به
لسخف عقولها وتلبيسها على أمثالها إلى التشكيك في الشرع وقد نزه الله الشرع
والنبي صلى الله عليه وسلم عما يدخل في أمره لبسا وإنما السحر مرض من الأمراض

وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته وأما
ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة
في شيء في تبليغه أو شريعته أو يقدح في صدقه لقيام الدليل والإجماع على عصمته
من هذا وإنما هذا فيما يجوز طروه عليه من أمور دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل
من أجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها
ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان وأيضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر من قوله
حتى يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن وقد قال سفين وهذا أشد ما يكون من السحر
ولم يأت في خبر منها أنه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعله
وإنما كانت خواطر وتخيلات وقد قيل إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل الشيء أنه
فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد وأقواله
على الصحة هذا ما وقفت عليه لأئمتنا من الأجوبة عن هذا الحديث مع ما أوضحناه من معنى
كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث
تأويل أجلى وأبعد من مطاعن ذوي الأضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو أن عبد
الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما
سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وذكر عن عطاء
الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو
نائم أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق
حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة سنة حتى أنكر بصره
وروى محمد بن سعد عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس عن النساء والطعام
والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات
أن السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وأنه إنما أثر
في بصره وحبسه عن وطء نسائه ويكون معنى قوله يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن
أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فإذا دنا منهن أصابته أخذة
السحر فلم يقدر على إتيانهن كما يعتري من أخذ واعترض ولعله لمثل هذا أشار سفين
بن عيينة

بقوله وهذا أشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة في الرواية الأخرى أنه ليخيل إليه
أنه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن أنه رأى شخصا
من بعض أزواجه أو شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل إليه لما أصابه في بصره وضعف
نظره لا لشيء طرأ عليه في ميزه وإذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه
ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض أنسا هذه حاله في جسمه فأما

فصل

أحواله في أمور الدنيا فنحن نسبرها على أسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل فأما
العقد منها فقد يعتقد في أمور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه أو يكون منه على شك أو ظن
بخلاف أمور الشرع كما حدثنا أبو بحر سفين بن العاصي وغير واحد سماعا وقراءة قالوا
حدثنا أبو العباس أحمد بن عمر حدثنا أبو العباس الرازي حدثنا أبو أحمد بن عمرويه حدثنا
حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم حدثنا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري وأحمد المعقري
قالوا حدثنا النضر بن محمد حدثني عكرمة قال حدثنا أبو النجاشي حدثنا رافع بن خديج قال
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا
نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنفضت فذكروا ذلك له فقال إنما أنا بشر
إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر وفي رواية أنس
أنتم أعلم بأمر دنياكم وفي حديث آخر إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن وفي حديث
ابن عباس في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر فما حدثتكم
عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا بشر أخطئ وأصيب وهذا على ما
قررناه فيما قاله من قبل نفسه في أمور الدنيا وظنه من أحوالها لا ما قاله من قبل نفسه
واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم
لما نزل بأدنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه
أم هو الرأي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال فإنه
ليس بمنزل انهض حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نعور ما وراءه من القلب فنشرب
ولا يشربون فقال أشرت بالرأي وفعل ما قاله وقد قال له الله وشاورهم في الأمر
وأراد مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار الأنصار فلما أخبروه
برأيهم رجع عنه فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة

ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرنا اذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وانما هي امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه صلى الله عليه وسلم من المعرفة بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب

فصل واما ما يعتقد في امور احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو مما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه بشيء فلا ياخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار

حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمه الله حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو عمر حدثنا ابو محمد حدثنا ابو بكر حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن كثير اخبرنا سفين عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه صادق فاقضي له وتجري احكامه صلى الله عليه وسلم على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الاشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله امته باتباعه والاقتداء به في افعاله واحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه هو اذا في ذلك بالمكنون من اعلام الله له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه الامة فاجرى الله احكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء امته به في تعيين قضاياه وتنزيل

احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك على علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله حكام امته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستأثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته

فصل واما اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض او رضى او غضب وانه معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا في تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمراة التي سالته عن زوجها هو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض وقد قال صلى الله عليه وسلم اني لا امزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه ان يامر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال صلى الله عليه وسلم ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فكيف تكون له خائنة قلب **فان قلت** فما معنى قوله تعالى في قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك الاية فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه اهل التفسير عن علي بن حسين ان الله تعالى كان اعلم نبيه ان زينب ستكون من نسائه فلما شكاها زيد اليه قال له امسك عليك زوجك واتق الله واخفى منه في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق

زيد لها وروى نحوه عمرو بن فائد عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم
يعلمه أن الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي أخفى في نفسه ويصحح هذا
قول المفسرين في قوله بعد هذا وكان أمر الله مفعولا أي لا بد لك أن تتزوجها
ويوضح هذا أن الله لم يبد من أمره معها غير زواجه لها فدل أنه الذي أخفاه
صلى الله عليه وسلم مما كان أعلمه به تعالى وقوله تعالى في القصة ما كان على النبي
من حرج فيما فرض الله له سنة الله الآية فدل أنه لم يكن عليه حرج في الأمر قال
الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه فيما أحل له مثال فعله لمن قبله من الرسل قال الله سنة
الله في الذين خلوا من قبل أي من النبيين فيما أحل لهم ولو كان على ما روي في حديث
قتادة من وقوعها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند ما أعجبته ومحبته طلاق زيد لها
لكان فيه أعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحياة الدنيا
ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الأتقياء فكيف سيد الأنبياء
قال القشيري وهذا إقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم
وبفضله وكيف يقال رآها فأعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان
النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد وإنما جعل الله طلاق زيد لها
وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم إياها لإزالة حرمة التبني وإبطال سنته كما قال
تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج
أدعيائهم ونحوه لابن فورك وقال أبو الليث السمرقندي فإن قيل فما الفائدة
في أمر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بإمساكها فهو أن الله سبحانه أعلم نبيه أنها زوجته
فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها إذ لم يكن بينهما ألفة وأخفى في نفسه ما أعلمه
الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه فأمره الله بزواجها
ليباح مثل ذلك لأمته كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم
وقد قيل كان أمره لزيد بإمساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها وهذا إذا
جوزنا عليه أنه رآها فجأة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه
ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاءة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وأمر زيدا
بإمساكها وإنما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والأولى ما ذكرناه

عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضي
القشيري وإن خشيته صلى الله عليه وسلم من الناس كانت من إرجاف المنافقين
واليهود وتشنيعهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح
حلائل الأبناء كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات إليهم فيما أحله
لهم كما عتبه على مراعاة رضى أزواجه في سورة التحريم بقوله تعالى لم تحرم
ما أحل الله لك الآية كذلك قوله ههنا وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وقد
روي عن الحسن وعائشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الآية لما
فيها من عتبه وإبداء ما أخفاه

فصل

فإن قلت قد تقررت عصمته صلى الله
عليه وسلم في أقواله في جميع أحواله وأنه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب
في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن
ما معنى الحديث في وصيته صلى الله عليه وسلم الذي حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي
رحمه الله حدثنا القاضي أبو الوليد حدثنا أبو ذر حدثنا أبو محمد وأبو الهيثم وأبو
إسحاق قالوا حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا علي بن عبد الله
حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس
قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه
الوجع الحديث وفي رواية ائتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي أبدا فتنازعوا فقالوا
ما له أهجر استفهموه فقال دعوني فإن الذي أنا فيه خير وفي طريقه أن النبي صلى
الله عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى أهجر ويروى أهجرا وفيه فقال عمر
إن النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط
فقال قوموا عني وفي رواية واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا
يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال أئمتنا وهذا
الحديث النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الأمراض وما يكون من عوارضها
من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم أن يكون منه من القول أثناء
ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدي إلى فساد في شريعته من هذيان واختلال في كلام

وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر اذ معناه هذى يقال هجر هجرا
اذا هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر على طريق
الانكار على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع
الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا
ضبطه الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه عن مسلم
في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف الف الاستفهام
والتقدير اهجر او ان يحمل قول القائل هجر او اهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة
لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه وهول المقام الذي
اختلف فيه عليه والامر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه واجرى
الهجر مجرى شدة الوجع لا انه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على
حراسته والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا واما على رواية
اهجرا وهي رواية ابي اسحاق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس
من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة
لهم من بعضهم اي جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا
ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا
الحديث وكيف اختلفوا بعد امره لهم صلى الله عليه وسلم ان ياتوه بالكتاب فقال
بعضهم اوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها بقرائن
فلعل قد ظهر من قرائن قوله صلى الله عليه وسلم لبعضهم ما فهموا انه لم يكن منه عزمة
بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف
عنه اذ لم يكن عزمة ولما راوه من صواب راي عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع
عمر اما اشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال املاء الكتاب
وان تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع
وقيل خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة وراى
ان الارفق بالامة في تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب
فيكون المصيب والمخطي ماجورا وقد علم عمر تقرر الشرع وتاسيس الملة

وان الله تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم وقوله صلى الله عليه وسلم اوصيكم بكتاب الله
وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبي صلى الله عليه وسلم
وقد قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب
في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك وقالت
طائفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما
طلب منه لا انه ابتدا بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم وكره
ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي انطلق بنا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر فينا علمناه وكراهة علي هذا وقوله والله
لا افعل الحديث واستدل بقوله دعوني فالذي انا فيه خير اي الذي انا فيه خير
من ارسال الامر وترككم وكتاب الله وان تدعوني مما طلبتم وذكر ان الذي طلب كتابة
امر الخلافة بعده وتعيين ذلك

فصل

فان قيل فما وجه حديثه ايضا الذي
حدثناه الفقيه ابو محمد الخشني بقراءتي عليه حدثنا ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر
الفارسي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابرهيم بن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج
حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن سالم مولى النصريين قال سمعت ابا هريرة يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني
قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مؤمن اذيته او سببته او جلدته
فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة وفي رواية فايما احد
دعوت عليه دعوة وفي رواية ليس لها باهل وفي رواية فايما رجل من المسلمين
سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة ورحمة وكيف يصح ان
يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد
من لا يستحق الجلد او يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله
فاعلم شرح الله صدرك ان قوله اولا ليس لها باهل اي عندك يا رب في باطن امره
فان حكمه صلى الله عليه وسلم على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم صلى الله
عليه وسلم بجلده او ادبه بسبه او لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره
ثم دعا صلى الله عليه وسلم لشفقته على امته وراْفته ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله بها

وحذره أن يتقبل فيمن دعا عليه دعوته أن يجعل دعاءه ولعنه له رحمة فهو معنى قوله
ليس لها بأهل لا أنه صلى الله عليه وسلم يحمله الغضب ويستفزه الضجر لأن يفعل
مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله أغضب كما يغضب
البشر أن الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز أن يكون المراد بهذا أن الغضب لله حمله
على معاقبته بلعنه أو سبه وأنه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه أو كان مما خير بين المعاقبة
فيه والعفو عنه وقد يحتمل أنه خرج مخرج الإشفاق وتعليم أمته الخوف والحذر من
تعدي حدود الله وقد يحمل على ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد من غير
موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب وليس المراد بها الإجابة
كقوله تربت يمينك ولا أشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد
في صفته في غير حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن فحاشا وقال أنس لم يكن سبابا
ولا فاحشا ولا لعانا وكان يقول لأحدنا عند المعتبة ما له ترب جبينه فيكون
حمل الحديث على هذا المعنى ثم أشفق صلى الله عليه وسلم من موافقة أمثالها إجابة فعاهد
ربه كما قال في الحديث أن يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك
إشفاقا على المدعو عليه وتأنيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن
النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا
منه لربه لمن جلده أو سبه على حق وبوجه صحيح أن يجعل ذلك له كفارة لما أصاب
وتمحية لما اجترم وأن تكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء
في الحديث الآخر ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو له كفارة **فإن قلت** فما معنى
حديث الزبير وقول النبي صلى الله عليه وسلم حين تخاصمه مع الأنصاري في شراج
الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الأنصاري أن كان ابن عمتك يا
رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير حتى يبلغ
الجدر الحديث **فالجواب** أن النبي صلى الله عليه وسلم منزه أن يقع بنفس مسلم
منه في هذه القصة أمر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير أولا إلى الاقتصار
على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك الآخر ولج وقال
ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا

الحديث باب إذا أشار الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم وذكر في آخر الحديث
فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وقد جعل المسلمون هذا
الحديث أصلا في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال
غضبه ورضاه وأنه وإن نهي أن يقضي القاضي وهو غضبان فإنه في حكمه في حال
الغضب والرضى سواء لكونه فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا
إنما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح وكذلك الحديث في إقادته عكاشة
من نفسه لم يكن لتعد حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه أن عكاشة قال له
وضربتني بالقضيب فلا أدري أعمدا أم أردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
أعيذك بالله يا عكاشة أن يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في حديثه
الآخر مع الأعرابي حين طلب صلى الله عليه وسلم الاقتصاص منه فقال الأعرابي قد عفوت
عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد
أخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يأبى فضربه بعد
ثلاث مرات وهذا منه صلى الله عليه وسلم لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع أدب
لكنه صلى الله عليه وسلم أشفق إذ كان حق نفسه من الأمر حتى عفا عنه **وأما حديث**
سواد بن عمرو أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا متخلق فقال ورس ورس حط
حط وغشيني بقضيب في يده في بطني فأوجعني فقلت القصاص يا رسول الله فكشف لي
عن بطنه وإنما ضربه صلى الله عليه وسلم لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب
إلا تنبيهه فلما كان منه إيجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه

فصل

وأما أفعاله صلى الله عليه وسلم الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات
ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة
بل إن هذا فيها على الندور إذ عامة أفعاله على السداد والصواب بل أكثرها أو كلها
جارية مجرى العبادات والقرب على ما بيناه إذ كان صلى الله عليه وسلم لا يأخذ منها لنفسه
إلا ضرورته وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم
شريعته ويسوس أمته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف
يصنعه أو بر يوسعه أو كلام حسن يقوله أو يسمعه أو تألف شارد أو قهر معاند

أو مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح أعماله منتظم في زكي وظائف عباداته وقد
كان يخالف في أفعاله الدنيوية بحسب اختلاف الأحوال ويعد الأمور أشباهها
فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي أسفاره الراحلة ويركب البغلة في معارك الحرب
دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع وإجابة الصارخ وكذلك في لباسه
وساير أحواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح أمته وكذلك يفعل الفعل من أمور الدنيا
مساعدة لأمته وسياسة وكراهية لخلافها وإن كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك
الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الأمور الدينية مما له الخيرة في أحد
وجهيه كخروجه من المدينة لأحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو
على يقين من أمرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لأن تقول
الناس إن محمدا يقتل أصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة على قواعد إبراهيم
عليه السلام مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك
وتحريك متقدم عداوتهم للدين وأهله فقال لعائشة في الحديث الصحيح لولا حدثان
قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه
كانتقاله من أدنى مياه بدر إلى أقربها للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت من أمري ما استدبرت
ما سقت الهدي ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استئلافه ويصبر للجاهل ويقول
إن من شرار الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغائب ليحبب إليه شريعته ودين
ربه ويتولى في منزله ما يتولى الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه حتى لا يبدو منه شيء من
أطرافه وحتى كأن على رؤوس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث أولهم ويتعجب
مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب
ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين
فإن قلت فما معنى قوله لعائشة في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل ألان له
القول وضحك معه فلما سألته عن ذلك قال إن من شر الناس من اتقاه الناس لشره
وكيف جاز أن يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال فالجواب أن فعله
صلى الله عليه وسلم كان استئلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن إيمانه ويدخل في الإسلام بسببه
أتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك إلى الإسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج

من حد مداراة الدنيا إلى السياسة الدينية وقد كان يستألفهم بأموال الله العريضة
فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد أعطاني وهو أبغض الخلق إلي فما زال يعطيني
حتى صار أحب الخلق إلي وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف
بما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة
لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا إذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن
بغيبة بل كان جائزا بل كان واجبا في بعض الأحيان كعادة المحدثين في تجريح
الرواة والمزكين في الشهود فإن قيل فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة
من قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة اشتريها واشترطي لهم الولاء وقد أخبرته
أن موالي بريرة أبوا بيعها إلا أن يكون لهم الولاء فقال صلى الله عليه وسلم اشتريها
واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال أقوام يشترطون شروطا
ليست في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم قد أمرها
بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله أعلم لما باعوها من عائشة كما لم يبيعوها
قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم أبطله صلى الله عليه وسلم وهو قد حرم الغش والخديعة
فاعلم أكرمك الله أن النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا
ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد أنكر قوم هذه الزيادة قوله
اشترطي لهم الولاء إذ ليست في أكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها
إذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى أولئك لهم اللعنة وقال وإن أسأتم فلها
فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف
لهم من شرط الولاء لأنفسهم قبل ذلك ووجه ثان أن قوله صلى الله عليه وسلم
اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الأمر لكن على معنى التسوية والإعلام بأن شرطه
لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل أن الولاء لمن أعتق فكأنه قال
اشترطي أو لا تشترطي فإنه شرط غير نافع وإلى هذا ذهب الداودي وغيره
وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا
الوجه الثالث أن معنى قوله صلى الله عليه وسلم اشترطي لهم الولاء أي أظهري لهم
حكمه وبيني عندهم سنته أن الولاء إنما هو لمن أعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم

مبيناً لذلك وموبخاً على المخالفة ما تقدم منه فيه. فإن قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام بأخيه إذ جعل السقاية في رحله وأخذه باسم سرقتها وعلى أخوته في ذلك وقوله إنكم لسارقون ولم يسرقوا. فاعلم أكرمك الله أن الآية تدل على أن فعل يوسف كان عن أمر الله لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله الآية. فإذا كان ذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه. وأيضاً فإن يوسف كان أعلم أخاه بأني أنا أخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وإزاحة السوء والمضرة عنه بذلك. وأما قوله أيتها العير إنكم لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم عليه جواب لحل شبهة، ولعل قائله إن حسن له التأويل كائناً من كان ظن على صورة الحال ذلك. وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له. وقيل غير هذا. ولا يلزم أن نقول الأنبياء ما لم يثبت أنهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه، ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم.

فصل فإن قيل ما الحكمة في إجراء الأمراض وشدتها عليه وعلى غيره من الأنبياء على جميعهم السلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كأيوب ويعقوب ودانيال وعيسى ويحيى وزكريا وإبراهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه وأحباؤه وأصفياؤه. فاعلم وفقنا الله وإياك أن أفعال الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته، يبتلي عباده كما قال لننظر كيف تعملون، وليبلوكم أيكم أحسن عملاً، ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين، ولنعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم. فامتحانه إياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم وأسباب لاستخراج حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتأكيد لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين فيتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ومحو لهنات فرطت منهم أو غفلات سلفت لهم ليلقوا الله تعالى طيبين مهذبين وليكون أجرهم أكمل وثوابهم أوفر وأجزل. **حدثنا** القاضي أبو علي الحافظ حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل ابن خيرون قالا حدثنا أبو يعلى البغدادي حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا أبو عيسى الترمذي حدثنا قتيبة حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء

ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة. وكما قال تعالى وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير الآيات الثلاث. وعن أبي هريرة ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة. وعن أنس عنه صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة. وفي حديث آخر إذا أحب الله عبداً ابتلاه ليسمع تضرعه. وحكى السمرقندي أن كل من كان أكرم على الله كان بلاؤه أشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب. كما روي عن لقمان أنه قال يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء. وقد حكي أن ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه التفاته في صلاته إليه ويوسف نائم محبة له. وقيل بل اجتمع يوماً هو وابنه يوسف على أكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء أسفاً على يوسف إلى أن سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يأمر منادياً ينادي على سطحه ألا من كان مفطراً فليتغد عند آل يعقوب. وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله عليها. وروي عن الليث أن سبب بلاء أيوب أنه دخل مع أهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه وأغلظوا له إلا أيوب فإنه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه. ومحنة سليمان لما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة أصهاره أو للعمل بالمعصية في داره ولا علم عنده. وهذه فائدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم. قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن عبد الله رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكاً شديداً فقلت إنك لتوعك وعكاً شديداً قال أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك أن لك الأجر مرتين قال أجل ذلك كذلك. وفي حديث أبي سعيد أن رجلاً وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما أطيق أضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنا معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء إن كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله وإن كان النبي ليبتلى بالفقر وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء. وعن أنس عنه صلى الله عليه وسلم إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوماً

ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به إن المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة وروي هذا عن عائشة وأبي ومجاهد وقال أبو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال في رواية عائشة ما من مصيبة تصيب المسلم إلا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية أبي سعيد ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياه كما تحت ورق الشجر وحكمة أخرى أودعها الله في الأمراض لأجسامهم وتعاقب الأوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عليهم مؤونة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك خلاف موت الفجاءة وأخذه كما يشاهد من اختلاف أحوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا وفي رواية أبي هريرة من حيث أتتها الريح تكفأها فإذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله معناه أن المؤمن مرزأ مصاب بالبلاء والأمراض راض بتصريفه بين أقدار الله منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة سخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما أتتها وإذا أزاح الله عن المؤمن رياح البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع إلى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فإذا كان بهذه السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدم من الآلام ومعرفة ما له فيها من الأجر وتوطينه نفسه على المصائب ورقتها وضعفها بتوالي المرض أو شدته والكافر بخلاف هذا معافى في غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالأرزة الصماء حتى إذا أراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة وأخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته أشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه أشد ألما وعذابا ولعذاب الآخرة أشد كانجعاف الأرزة وكما قال تعالى فأخذناهم بغتة وهم لا

وكذلك عادة الله في أعدائه كما قال تعالى فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة الآية ففجأ جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة ولهذا ما كره السلف موت الفجاءة ومنه في حديث إبراهيم كانوا يكرهون أخذة كأخذة الأسف أي الغضب يريد موت الفجاءة وحكمة ثالثة أن الأمراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من أصابته وعلم تعاهدها له للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الأنكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله وقبل العباد ويؤدي الحقوق إلى أهلها وينظر فيما يحتاج إليه من وصية فيمن يخلفه أو أمر يعهده وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال أو حق في بدن وأقاد من نفسه وماله وأمكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة وأوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالأنصار عيبته ودعا إلى كتب كتاب لئلا تضل أمته بعده إما في النص على الخلافة أو الله أعلم بمراده ثم رأى الإمساك عنه أفضل وخيرا وهكذا سيرة عباد المؤمنين وأولياء المتقين وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لإملاء الله لهم ليزدادوا إثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في رجل مات فجأة سبحان الله كأنه على غضب المحروم من حرم وصيته وقال موت الفجاءة راحة للمؤمن وأخذة أسف للكافر أو الفاجر وذلك لأن الموت يأتي المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان أمره عليه كيف ما جاء وأفضى إلى راحته من نصب الدنيا وأذاها كما قال صلى الله عليه وسلم مستريح ومستراح منه وتأتي الفاجر والكافر منيته على غير استعداد ولا أهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت أشد شيء عليه وفراق الدنيا أفظع أمر صدمه وأكره شيء له وإلى هذا المعنى أشار صلى الله عليه وسلم بقوله من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع في تصرف وجوه الأحكام فيمن تنقصه أو سبه صلى الله عليه وسلم

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه قد تقدم من الكتاب

والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير
وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرم الله اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل منتقصه من
المسلمين وسابه قال الله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة
واعد لهم عذابا مهينا وقال والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى
وما كان لكم ان توذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان
عند الله عظيما وقال تعالى في تحريم التعريض له يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا
انظرنا واسمعوا الاية وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك
واسمع منا ويعرضون بالكلمة ويريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم
وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والا
ستهزاء به وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت
وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها
في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه
الا برعايته لهم وهو صلى الله عليه وسلم واجب الرعاية بكل حال وهذا هو صلى الله
عليه وسلم قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه
وحماية عن اذاه اذ كان النبي صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا ابا القاسم
فقال لم اعنك وانما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتاذى باجابة
دعوة غيره ممن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزون ذريعة الى اذاه
والازراء به فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا
بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى صلى الله عليه وسلم حمى اذاه بكل وجه فحمل محققوا
العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا
الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله
وان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم
ولذلك لم ينه عن اسمه لانه قد كان الله منع من ندائه به بقوله لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله
وقد يدعوه بكنيته ابا القاسم بعضهم في بعض الاحوال وقد روى انس عنه

صلى الله عليه وسلم ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون
اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروي ان عمر كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد باسم النبي
صلى الله عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبري والصواب جواز هذا كله بعده صلى الله عليه وسلم
بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابي القاسم وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن في ذلك لعلي رضي الله عنه وقد اخبر صلى الله عليه وسلم
ان ذلك اسم المهدي وكنيته وقد فصلت الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمناه

الباب الاول في بيان ما هو في حقه صلى الله عليه وسلم سب او نقص من تعريض

او نص اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم او عابه
او الحق به نقصا في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض به
او شبهه بشيء على طريق السب له او الازراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه
او العيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا
من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك
من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم
او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور او عيره بشيء
مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة
لديه وهذا كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم
الى هلم جرا قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم
يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحاق وهو مذهب الشافعي قال
القاضي ابو الفضل وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند هولاء
وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في المسلم
لكنهم قالوا هي ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى مثله الطبري عن ابي
حنيفة واصحابه فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم او برئ منه او كذبه وقال سحنون
فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل
قتله حد او كفر كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله ولا نعلم خلافا في استباحة
دمه بين علماء الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره

وأشار بعض الظاهرية وهو أبو محمد علي بن أحمد الفارسي إلى الخلاف في تكفير المستخف به
والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون أجمع العلماء أن شاتم النبي صلى الله عليه وسلم
المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الأمة القتل ومن شك
في كفره وعذابه كفر واحتج إبراهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد
بن الوليد مالك بن نويرة لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال أبو
سليمان الخطابي لا أعلم أحدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله إذا كان مسلما
وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف
عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال
ابن القاسم في العتبية أو شتمه أو عابه أو تنقصه فإنه يقتل وحكمه عند الأمة القتل
كالزنديق وقد فرض الله توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي صلى
الله عليه وسلم من المسلمين قتل أو صلب حيا ولم يستتب والإمام مخير في صلبه حيا أو قتله
ومن رواية أبي المصعب وابن أبي أويس سمعنا مالكا يقول من سب النبي صلى الله عليه وسلم
أو شتمه أو عابه أو تنقصه قتل مسلما كان أو كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد أخبرنا
أصحاب مالك أنه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره من النبيين من مسلم أو كافر قتل
ولم يستتب وقال أصبغ يقتل على كل حال أسر ذلك أو أظهره ولا يستتاب لأن توبته
لا تعرف وقال عبد الله ابن الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب
وحكى الطبري مثله عن أشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك من قال إن رداء النبي
صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى الله عليه وسلم وسخ أراد به عيبه قتل وقال بعض
علمائنا أجمع العلماء على أن من دعا على نبي من الأنبياء بالويل أو بشيء من المكروه أنه يقتل بلا
استتابة وأفتى أبو الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الجمال يتيم أبي طالب
بالقتل وأفتى أبو محمد ابن أبي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم
إذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة
هذا المار في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب
سليم الإيمان وقال أحمد بن أبي سليمان صاحب سحنون من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم
كان أسود يقتل وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا وكذا

وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال أشد من كلامه الأول ثم قال إنما
أردت برسول الله العقرب فقال ابن أبي سليمان للذي سأله اشهد عليه وأنا
شريكك يريد في قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لأن ادعاءه التأويل
في لفظ صراح لا يقبل لأنه امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
موقر له فوجبت إباحة دمه وأفتى أبو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل
أدّ واشك إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال إن سألت أو جهلت فقد جهل وسأل النبي
صلى الله عليه وسلم بالقتل وأفتى فقهاء الأندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه
بما شهد به عليه من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته إياه أثناء مناظرته
باليتيم وختن حيدرة وزعمه أن زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات
أكلها إلى أشباه لهذا وأفتى فقهاء القيروان وأصحاب سحنون بقتل إبراهيم
الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي أبي العباس
ابن طالب للمناظرة فرفعت عنه أمور منكرة من هذا الباب بالاستهزاء بالله وأنبيائه
ونبينا صلى الله عليه وسلم فأحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وأمر بقتله وصلبه
فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم أنزل وأحرق بالنار وحكى بعض المؤرخين أنه
لما رفعت خشبته وزالت عنها الأيدي استدارت وحولته عن القبلة فكانت آية
للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذكر حديثا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم وقال
القاضي أبو عبد الله بن المرابط من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فإن تاب
وإلا قتل لأنه تنقص إذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته إذ هو على بصيرة من أمره ويقين
من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك وأصحابه أن من قال فيه عليه السلام
ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان أن من قصد
النبي صلى الله عليه وسلم بأذى أو نقص معرضا أو مصرحا وإن قل فقتله واجب فهذا الباب
كله مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم
وإن اختلفوا في حكم قتله على ما أشرنا إليه ونبينه بعد وكذلك أقول حكم من
غمصه أو عيره برعاية الغنم أو السهو أو النسيان أو السحر أو ما أصابه من جرح

أو هزيمة لبعض جيوشه أو أذى من عدوه أو شدة من زمنه أو بالميل إلى نسائه
فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك ويأتي
ما يدل عليه

فصل في الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه صلى الله عليه وسلم

فمن القرآن لعنه تعالى لمؤذيه في الدنيا والآخرة وقرانه تعالى أذاه بأذاه ولا
خلاف في قتل من سب الله وأن اللعن إنما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل
فقال تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله الآية وقال تعالى في قاتل المؤمن مثل ذلك
فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا
وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى
اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله أي لعنهم الله ولأنه فرق بين أذاهما
وأذى المؤمنين وفي أذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم مؤذي
الله ونبيه أشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم الآية فسلب اسم الإيمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه ولم
يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم
فوق صوت النبي إلى قوله أن تحبط أعمالكم ولا يحبط العمل إلا الكفر والكافر يقتل
وقال تعالى وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها
فبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ثم قال والذين
يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم وقال تعالى ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض
ونلعب إلى قوله قد كفرتم بعد إيمانكم قال أهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأما الإجماع فقد ذكرناه وأما الآثار فحدثنا الشيخ أبو عبد الله
أحمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ أبي ذر الهروي إجازة حدثنا أبو الحسن الدارقطني
وأبو عمر بن حيويه قالا حدثنا محمد بن نوح حدثنا محمد بن عبد العزيز بن محمد بن الحسن
ابن زبالة حدثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن أبيه عن جده عن محمد بن
علي بن الحسين عن أبيه عن الحسين بن علي عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب أصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح أمر النبي صلى
الله عليه وسلم بقتل كعب بن الأشرف وقوله من لكعب بن الأشرف فإنه يؤذي الله ورسوله

ووجه إليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل بأذاه له فدل
أن قتله إياه لغير الإشراك بل للأذى وكذلك قتل أبا رافع قال البراء وكان يؤذي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك أمره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه
اللتين كانتا تغنيان بسبه صلى الله عليه وسلم وفي حديث آخر أن رجلا كان يسبه
صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوي فقال خالد أنا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم
فقتله وكذلك لم يقل جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث
وعقبة بن أبي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا إلا من بادر
بإسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزار عن ابن عباس أن عقبة بن أبي معيط
نادى يا معاشر قريش ما لي أقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك
وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عبد الرزاق أن النبي صلى الله عليه وسلم
سبه رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير أنا فبارزه فقتله الزبير وروي أيضا
أن امرأة كانت تسبه صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوتي فخرج إليها خالد بن الوليد
فقتلها وروي أن رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير إليه ليقتلاه
وروى ابن قانع أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت
أبي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ
المهاجر بن أبي أمية أمير اليمن لأبي بكر رضي الله عنه أن امرأة هنالك في الردة غنت بسب
النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ أبا بكر ذلك فقال له لولا ما فعلت
لأمرتك بقتلها لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس هجت امرأة من خطمة
النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها أنا يا رسول الله فنهض فقتلها
فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس أن أعمى كانت
له أم ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت
تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
فأهدر دمها وفي حديث أبي برزة الأسلمي كنت يوما جالسا عند أبي بكر الصديق رضي
الله عنه فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي إسماعيل وغير واحد من الأئمة في هذا
الحديث أنه سب أبا بكر ورواه النسائي أتيت أبا بكر وقد أغلظ لرجل فرد عليه

قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني أضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لأحد إلا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي أبو محمد بن نصر ولم يخالف عليه أحد فاستدل الأئمة
بهذا الحديث على قتل من أغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل ما أغضبه أو آذاه أو سبه
ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي
الله عنه فكتب عمر إليه أنه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب أحد من الناس إلا رجلا سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسأل الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر له أن فقهاء العراق أفتوه بجلده فغضب مالك وقال يا أمير المؤمنين ما بقاء الأمة
بعد شتم نبيها صلى الله عليه وسلم من شتم الأنبياء قتل ومن شتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
جلد قال القاضي أبو الفضل كذا وقع في هذه الحكاية ورواها غير واحد من أصحاب
مناقب مالك ومؤلفي أخباره وغيرهم ولا أدري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين أفتوا
الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشهر بعلم أو من لا يوثق
بفتواه أو يميل به هواه أو يكون ما قاله يحمل على السب فيكون الخلاف هل هو سب أو غير سب
أو يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقله لمالك على أصله وإلا فالإجماع على قتل من سبه
كما قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار أن من سبه أو تنقصه صلى الله عليه
وسلم فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سوء طويته وكفره ولهذا ما حكم له كثير
من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والأوزاعي والثوري وأبي حنيفة
والكوفيين والقول الآخر أنه دليل على الكفر فيقتل حدا وإن لم يحكم له بالكفر إلا أن يكون
متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله إما صريح كفر كالتكذيب
ونحوه أو من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله
لذلك وهو كفر أيضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم قال أهل التفسير هي قولهم إن كان ما يقول
محمد حقا لنحن شر من الحمير وقيل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد إلا كقول القائل
سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وقد قيل
إن قائل مثل هذا إن كان مستترا به أن حكمه حكم الزنديق يقتل ولأنه قد غير دينه
وقد قال صلى الله عليه وسلم من غير دينه فاضربوا عنقه ولأن لحكم النبي صلى الله عليه وسلم

في الحرمة مزية على أمته وساب الحر من أمته يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام القتل
لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره

فصل فإن قلت فلم لم يقتل النبي صلى
الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل الآخر الذي
قال له إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله وقد تأذى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك
وقال قد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه
في أكثر الأحيان **فاعلم** وفقنا الله وإياك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول الإسلام
يستألف عليه ويميل قلوبهم إليه ويحبب إليهم الإيمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول
لأصحابه إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا
ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وكان صلى الله عليه وسلم
يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل من أذاهم ويصبر على
جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء والإحسان وبذلك
أمره الله تعالى فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح
إن الله يحب المحسنين وقال تعالى ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة
كأنه ولي حميم وذلك لحاجة الناس إلى التألف أول الإسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر
وأظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر أمره كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله
يوم الفتح ومن أمكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم أو غلبة ممن لم ينظمه قبل ذلك بصحبته
والانخراط في جملة مظهري الإيمان به ممن كان يؤذيه كابن الأشرف وأبي رافع والنضر
وعقبة وكذلك نذر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما
ممن آذاه حتى ألقوا بأيديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه صلى الله عليه وسلم
على الظاهر وأكثر تلك الكلمات إنما كان يقولها القائل منهم خفية ومع أمثاله ويحلفون
عليها إذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا
يطمع في فيئتهم ورجوعهم إلى الإسلام وتوبتهم فيصبر صلى الله عليه وسلم على هناتهم
وجفوتهم كما صبر أولو العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا
وأخلص سرا كما أخلص جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء
وأعوان وحماة وأنصار كما جاءت به الأخبار وبهذا أجاب بعض أئمتنا رحمهم الله

قوله وارجف المعاند اي الجاحد عن القصد الراد للحق مع العلم به بغيه وتقول الاقاويل الكاذبة المنفردة

عن هذا السؤال وقال العلة لم يثبت عنده صلى الله عليه وسلم من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد
ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي او عبد او امراة والدماء لا تستباح
الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهود في السلام وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه الا ترى
كيف نبهت عليه عايشة ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله
عليه وسلم اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم
وطعنا في الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم
وكذلك قال بعض اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين
بعلمه فيهم ولم يات انه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم وايضا فان الامر كان
سرا وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة بالعهد والجوار
والناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين
في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المومنين وصحابة سيد المرسلين وانصار
الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما
اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وارجف المعاند وارتاع
من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو
والظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ الترة وقد رايت ما حررته منسوبا
الى مالك ابن انس رحمه الله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل
اصحابه وقال اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة
عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها وقد قال محمد
بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي ابو الحسن
ابن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض
والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا
اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الاية قال معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة
في المبسوط عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسخت
ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القائل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل
لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له وانما راها من وجه الغلط

قوله يا اخوة القردة والخنازير قاله تقريعا لهم وجعل منهم القردة والخنازير فهم اخوتهم من حيث وقوع المسخ في طوائفهم

في الراي وامور الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا وراى انه من الاذى
الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود اذ قالوا
السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء الا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه
جميع البشر وقيل بل المراد تسامون دينكم والسام والسامة الملال وهذا دعاء
على سامة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا عرض
الذمي وغيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب
وانما هو تعريض بالاذى قال القاضي ابو الفضل قد قدمنا ان الاذى والسب في حقه
صلى الله عليه وسلم سواء وقال القاضي ابو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم
ثم قال ولم يذكر في الحديث هل كان هذا اليهودي من اهل العهد والذمة او الحرب ولا يترك
موجب الادلة للامر المحتمل والاولى في ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستيلاف
والمداراة على الدين لعلهم يومنون ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج
باب من ترك قتال الخوارج للتالف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك
وقررناه قبل وقد صبر لهم صلى الله عليه وسلم على سحره وسمه وهو اعظم من سبه الى ان نصره
الله عليهم واذن له في قتل من حينه منهم وانزلهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب
وكتب على من شاء منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم
وايدي المومنين وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف
المسلمين واجلاهم من جوارهم فان قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عايشة انه صلى
الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه في شيء يوتى اليه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله
فاعلم ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه فان هذه من حرمات
الله التي انتقم لها وانما يكون ما لا ينتقم له فيما تعلق بسوء ادب او معاملة من القول
والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن مما جبلت عليه الاعراب من الجفاء
والجهل او جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابي بازاره حتى اثر في عنقه وكرفع
صوت الاخر عنده وكجحد الاعرابي شراءه منه فرسه التي شهد بها خزيمة وكما كان
من تظاهر زوجتيه عليه واشباه هذا مما يحسن الصفح عنه او يكون هذا مما اذاه به
كافر رجا بعد ذلك اسلامه كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله

وعن اليهودية التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من أذى أهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استئلافهم واستئلاف غيرهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق

فصل قد تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والإزراء به وغمصه بأي وجه كان من ممكن أو محال فهذا وجه بين لا إشكال فيه. الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو أن يكون القائل لما قال في جهته صلى الله عليه وسلم غير قاصد للسب والإزراء ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته صلى الله عليه وسلم بكلمة الكفر من لعنه أو سبه أو تكذيبه أو إضافة ما لا يجوز عليه أو نفي ما يجب له مما هو في حقه صلى الله عليه وسلم نقيصة مثل أن ينسب إليه إتيان كبيرة أو مداهنة في تبليغ الرسالة أو في حكم بين الناس أو يغض من مرتبته أو شرف نسبه أو وفور علمه أو زهده أو يكذب بما اشتهر من أمور أخبر بها صلى الله عليه وسلم وتواتر الخبر بها عن غير قصد لرد خبره أو يأتي بسفه من القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته وإن ظهر بدليل حاله أنه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه إما لجهالة حملته على ما قاله أو لضجر أو سكر اضطره إليه أو قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الأول القتل دون تلعثم إذ لا يعذر أحد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه إذا كان عقله في فطرته سليما إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان وبهذا أفتى الأندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه وقال محمد بن سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم في أيدي العدو يقتل إلا أن يعلم تنصره أو إكراهه وعن أبي محمد بن أبي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وأفتى أبو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لأنه يظن به أنه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وأيضا فإنه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لأنه أدخله على نفسه لأن من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها وإتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا ألزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل أنتم إلا أعبد لأبي قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم أنه ثمل فانصرف لأن الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها إثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون

فصل الوجه الثالث أن يقصد إلى تكذيبه فيما قاله وأتى به أو ينفي نبوته أو رسالته أو وجوده أو يكفر به انتقل بقوله ذلك إلى دين آخر غير ملته أم لا فهذا كافر بإجماع يجب قتله ثم ينظر فإن كان مصرحا بذلك كان حكمه أشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الآخر لا يسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم إن كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب أو غيره فإن كان متسترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه. قال أبو حنيفة وأصحابه من برئ من محمد أو كذب به فهو مرتد حلال الدم إلا أن يرجع. وقال ابن القاسم في المسلم إذا قال إن محمدا ليس بنبي أو لم يرسل أو لم ينزل عليه قرآن وإنما هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من أعلن بتكذيبه أنه كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم أنه يوحى إليه وقاله سحنون وقال ابن القاسم دعا إلى ذلك سرا أو جهرا قال أصبغ وهو كالمرتد لأنه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال أشهب في يهودي تنبأ وزعم أنه أرسل إلى الناس أو قال بعد نبيكم نبي إنه يستتاب إن كان معلنا بذلك فإن تاب وإلا قتل وذلك أنه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الأمة القتل وقال أحمد بن أبي سليمان صاحب سحنون من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم أسود قتل لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بأسود وقال نحوه أبو عثمان الحداد قال لو قال إنه مات قبل أن يلتحي أو أنه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لأن هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة

فصل الوجه الرابع أن يأتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم وغيره أو يتردد في المراد به من سلامته من المكروه أو شره فهاهنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف أئمتنا في رجل أغضبه غريمه

فقال له صلى الله عليه وسلم فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملايكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه لم يكن مضمرا الشتم وقال ابو اسحاق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم يكن معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملايكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده الناس غير هولاء لاجل قول الاخر له صلى الله على النبي فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الان لاجل امر الاخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه وذهب الحارث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى تستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق الان فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما ترد اليه التاويلات لا بد من اعمال النظر فيه هذا معنى كلامه وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرايل ولعن الله بني ادم وذكر انه لم يرد الانبياء وانما اردت الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن ما جاء به انه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله ولا سب رسوله وانما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه في المسالة المتقدمة ومثل هذا كثيرا ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن ماية كلب وشبهه من هجو القول ولا شك انه يدخل في مثل هذا العدد من اباييه واجداده جماعة من الانبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع الى ادم عليه السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهله قايله منه وشدة الادب فيه ولو علم انه قصد سب من في ابايه من الانبياء على علم لقتل وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في ابايه او من نسله او ولده على علم منه انه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسالتين تقتضي تخصيص بعض ابايه واخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد وقد شهد عليه بشي ثم قال له تتهمني فقال له الاخر الانبيا يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحاق ابن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله بن عيسى ايام قضايه اتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك له وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه

فصل

الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا ولكنه ينزع بذكر بعض اوصافه او يستشهد ببعض احواله صلى الله عليه وسلم الجايزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او لغيره او على التشبه به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته على طريق التاسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيرها او سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه صلى الله عليه وسلم او قصد الهزل والتندير بقوله كقول القايل ان قيل في السوء فقد قيل في النبي او ان كذبت فقد كذب الانبياء او ان اذنبت فقد اذنبوا او انا اسلم من السنة الناس ولم تسلم منهم انبياء الله ورسله او قد صبرت كما صبر اولو العزم او كصبر ايوب او قد صبر نبي الله من عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري

كنت موسى وافته بنت شعيب ... غير ان ليس فيكما من فقير

على ان اخر البيت شديد وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي صلى الله عليه وسلم وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله

لولا انقطاع الوحي بعد محمد ... قلنا محمد من ابيه بديل

هو مثله في الفضل الا انه ... لم ياته برسالة جبريل

فصار البيت الثاني من هذا الفصل لتشبيهه غير النبي صلى الله عليه وسلم في فضله بالنبي والتحرز
محتمل لوجهين أحدهما أن هذه الفضيلة نقصت الممدوح والآخر استغناؤه عنها
وهذه أشد ونحو منه قول الآخر «وإذا ما رفعت راياته صفقت بين جناحي جبرين»
وقول الآخر من أهل العصر «فر من الخلد واستجار بنا فصبر الله قلب رضوان»
وكقول حسان المصيصي من شعراء الأندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره أبي بكر
بن زيدون «كأن أبا بكر أبو بكر الرضى وحسان حسان وأنت محمد»
إلى أمثال هذا وإنما أكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف أمثلتها ولتساهل كثير
من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم
ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما
الشعراء وأشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هاني الأندلسي وابن سليمان المعري
بل قد خرج كثير من كلامهما إلى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد أجبنا عنه
وغرضنا الآن الكلام في هذا الفصل الذي سقنا أمثلته فإن هذه كلها وإن لم تتضمن
سبا ولا أضافت إلى الملائكة والأنبياء نقصا ولست أعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها
إزراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز حظوة
الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة نالها أو معرة قصد الانتفاء منها أو ضرب مثل
لتطييب مجلسه أو إغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله قدره وشرف خطره وألزم
توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا إن درئ عنه القتل
الأدب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف عادته
لمثله أو ندوره وقرينة كلامه أو ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون
مثل هذا ممن جاء به وقد أنكر الرشيد على أبي نواس قوله «فإن يك باقي سحر فرعون
فيكم فإن عصى موسى بكف خصيب» وقال له يا ابن اللخناء أنت المستهزئ بعصى موسى
وأمر بإخراجه عن عسكره من ليلته وذكر القتبي أن مما أخذ عليه أيضا وكفر فيه أو قارب
قوله في محمد الأمين وتشبيهه إياه بالنبي صلى الله عليه وسلم «تنازع الأحمدان الشبه
فاشتبها خلقا وخلقا كما قد الشراكان» وقد أنكروا أيضا عليه قوله
«كيف لا يدنيك من أمل من رسول الله من نفره» لأن حق الرسول وموجب تعظيمه وإنافة منزلته

أن يضاف إليه ولا يضاف فالحكم في أمثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا المنهج
جاءت فتيا إمام مذهبنا مالك بن أنس رحمه الله وأصحابه ففي النوادر من رواية ابن أبي مريم
عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم الغنم فقال
مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه أرى أن يؤدب قال ولا ينبغي
لأهل الذنوب إذا عوتبوا أن يقولوا قد أخطأت الأنبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز
لرجل انظر لنا كاتبا يكون أبوه عربيا فقال كاتب له قد كان أبو النبي كافرا فقال جعلت
هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي أبدا وقد كره سحنون أن يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
عند التعجب إلا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما أمرنا الله وسئل القابسي
عن رجل قال لرجل قبيح كأنه وجه نكير ولرجل عبوس كأنه وجه مالك الغضبان فقال
أي شيء أراد بهذا ونكير أحد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي أراد أروع دخل عليه
حين رآه من وجهه أم عاف النظر إليه لدمامة خلقه فإن كان هذا فهو شديد لأنه جرى
مجرى التحقير والتهوين فهو أشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وإنما السب واقع على
المخاطب وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال وأما ذاكر مالك خازن النار
فقد جفا الذي ذكره عندما أنكر من عبوس الآخر إلا أن يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته
فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه
في فعله فيقول كأنه لله يغضب غضب مالك فيكون أخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا
ولو كان أثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان أشد ويعاقب المعاقبة الشديدة
وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال أبو الحسن أيضا في شاب معروف بالخير
قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فإنك أمي فقال الشاب أليس كان النبي صلى الله عليه وسلم
أميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس وأشفق الشاب مما قال وأظهر الندم عليه فقال أبو الحسن
أما إطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكون
النبي صلى الله عليه وسلم أميا آية له وكون هذا أميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه
بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه إذا استغفر وتاب واعترف ولجأ إلى الله فيترك لأن
قوله لا ينتهي إلى حد القتل وما طريقه الأدب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه
ونزلت أيضا مسئلة استفتى فيها بعض قضاة الأندلس شيخنا القاضي أبا محمد بن منصور رحمه الله

ابو النبي كافرا

في رجل تنقصه آخر بشيء فقال له إنما تريد نقصي بقولك وأنا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص
حتى النبي صلى الله عليه وسلم فأفتاه بإطالة سجنه وإيجاع أدبه إذ لم يقصد السب وكان
بعض فقهاء الأندلس أفتى بقتله. **فصل** الوجه السادس أن يقول القائل ذلك حاكيًا
عن غيره وآثرًا له عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف
ذلك على أربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم فإن كان أخبر به على وجه
الشهادة والتعريف بقائله والإنكار والإعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي
امتثاله ويحمد فاعله وكذلك إن حكاه في كتاب أو في مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله
والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فإن كان
القائل لذلك ممن تصدى لأن يؤخذ عنه العلم أو رواية الحديث أو يقطع بحكمه أو شهادته
أو فتياه في الحقوق وجب على سامعه الإشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة
عليه بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من أئمة المسلمين إنكاره وبيان كفره وفساد
قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقيامًا بحق سيد المرسلين وكذلك إن كان ممن
يعظ العامة أو يؤدب الصبيان فإن من هذه سريرته لا يؤمن على إلقاء ذلك
في قلوبهم فيتأكد في هؤلاء الإيجاب لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وإن
لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين
ونصرته عن الأذى حيًا وميتًا مستحق على كل مؤمن لكنه إذا قام بهذا من ظهر به الحق
وفصلت به القضية وبان به الأمر سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير
الشهادة وعضد التحذير منه وقد أجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف
مثل هذا وقد سئل أبو محمد بن أبي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى أيسعه
أن لا يؤدي شهادته قال إن رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك إن علم
أن الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والأدب فليشهد ويلزمه ذلك
وأما الإباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا أرى لها مدخلًا في الباب فليس
التفكه بعرض النبي صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لأحد لا ذاكرًا ولا آثرًا لغير
غرض شرعي بمباح وأما الأغراض المتقدمة فتتردد بين الإيجاب والاستحباب
وقد حكى الله مقالات المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الإنكار لقولهم والتحذير

من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه وكذلك وقع من أمثاله
في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه المتقدمة وأجمع السلف والخلف
من أئمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها
للناس وينقضوا شبهها عليهم وإن كان ورد لأحمد بن حنبل إنكار لبعض هذا على الحارث
بن أسد فقد صنع أحمد مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه
الوجوه السائغة الحكاية عنها فأما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والإزراء
بمنصبه على وجه الحكايات والأسمار والطرف وأحاديث الناس ومقالاتهم في الغث
والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا
ممنوع وبعضه أشد في المنع والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد
أو معرفة بمقدار ما حكاه أو لم تكن عادته أو لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم
يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة إليه وإن قوم ببعض
الأدب فهو مستوجب له وإن كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الأدب أشد وقد
حكي أن رجلًا سأل مالكًا عمن يقول القرآن مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال
إنما حكيته عن غيري فقال مالك إنما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله على طريق
الزجر والتغليظ بدليل أنه لم ينفذ قتله وإن اتهم هذا الحاكي فيما حكاه أنه اختلقه
ونسبه إلى غيره أو كانت تلك عادة له أو ظهر استحسانه لذلك أو كان مولعًا بمثله
والاستخفاف له أو التحفظ لمثله وطلبه ورواية أشعار هجوه صلى الله عليه وسلم وسبه
فحكم هذا حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته إلى غيره فيبادر بقتله
ويعجل إلى الهاوية أمه وقد قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت
مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من ألف في الإجماع إجماع المسلمين
على تحريم ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم وكتابته وقراءته وتركه متى وجد دون محو
ورحم الله أسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد أسقطوا من أحاديث المغازي والسير
ما كان هذا سبيله وتركوا روايته إلا أشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو
الوجوه الأول ليروا نقمة الله من قائلها وأخذه المفتري عليه بذنبه وهذا أبو عبيد
القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرى فيما اضطر إلى الاستشهاد به من أهاجي أشعار العرب

في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم احد بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم

فصل الوجه السابع

ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم او يختلف في جوازه عليه وما يطرأ من الامور البشرية به ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدته من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقه او يخشى به فتنته فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال صلى الله عليه وسلم مخبرا عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما من نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة وتدريج لله لهم الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم ولذلك قد ذكر الله يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدئه والتعجب من منح الله قبله وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته اذ اظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار الله تعالى له وتاييده بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سأل ابا سفيان عنه هل في آبائه من ملك ثم قال ولو كان في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذ اليتم من صفته واحدى علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب ارمياء

وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا لابي طالب وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه الله تعالى فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى من القرآن العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح به صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة وانما هي آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب والامية في غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا الى سائر ما روي من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسوية بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن اورد شيئا منها مورده وقصد بها مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصد لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره واخبار سائر الانبياء عليهم السلام في الاحاديث مما في ظاهره اشكال يقتضي امورا لا تليق بهم بحال ويحتاج الى تأويل وتردد احتمال فلا يجب ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم اوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وايجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء

من غلبت عليه العجمة وداخلته الأمية ولا يكاد يفهم من مقاصد العرب إلا نصها وصريحها
ولا يتحقق إشاراتها إلى غرض الإيجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تأويلها
شذر مذر فمنهم من آمن به ومنهم من كفر، فأما ما لا يصح من هذه الأحاديث فواجب
أن لا يذكر منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق أنبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام
على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها إلا أن تذكر على وجه التعريف بأنها
ضعيفة المعاد واهية الإسناد وقد أنكر الأشياخ على أبي بكر بن فورك في مشكلة
الكلام على أحاديث ضعيفة موضوعة لا أصل لها أو منقولة عن أهل الكتاب الذين
يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها
إذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها إزالة اللبس بها واجتثاثها من أصلها وطرحها أكشف
للبس وأشفى للنفس **فصل** ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم
وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم
أن يلتزم في كلامه عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر تلك الأحوال الواجب من توقيره وتعظيمه
ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامة الأدب عند ذكره فإذا ذكر ما قاساه من
الشدائد ظهر عليه الإشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي
صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو أمكنته وإذا أخذ في أبواب العصمة وتكلم على مجاري
أعماله وأقواله صلى الله عليه وسلم تحرى أحسن اللفظ وأدب العبارة ما أمكنه واجتنب
بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فإذا تكلم في الأقوال
قال هل يجوز عليه الخلف في القول والإخبار بخلاف ما وقع سهوا أو غلطا ونحوه من العبارة
ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة وإذا تكلم على العلم قال هل يجوز ألا يعلم إلا ما علم
وهل يمكن أن لا يكون عنده علم من بعض الأشياء حتى يوحى إليه ولا يقول بجهل لقبح اللفظ
وبشاعته وإذا تكلم في الأفعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الأوامر والنواهي ومواقعة
الصغائر فهو أولى وآدب من قوله هل يجوز أن يعصي أو يذنب أو يفعل كذا وكذا من
أنواع المعاصي فهذا من حق توقيره صلى الله عليه وسلم وما يجب له من تعزير وإعظام وقد رأيت
بعض العلماء لم يتحفظ في هذا فقبح منه ولم أستصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين
قوله لأجل ترك تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه وتكفير قائله وإذا كان

مثل هذا بين الناس مستعملا في آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه
صلى الله عليه وسلم أوجب والتزامه آكد فجودة العبارة تقبح الشيء أو تحسنه وتحريرها وتهذيبها
يعظم الأمر أو يهونه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا فأما ما أورده
على جهة النفي عنه والتنزيه فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب
جملة ولا إتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره
وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف تظهر عليهم
حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل
ذلك عند تلاوة آي من القرآن حكى الله فيها مقال عداه ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب
فكان يخفض بها صوته إعظاما لربه وإجلالا له وإشفاقا من التشبه بمن كفر به

الباب الثاني في حكم سابه وشانئه ومنتقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته

ووراثته قد قدمنا ما هو سب وأذى في حقه صلى الله عليه وسلم وذكرنا إجماع العلماء على قتل
فاعل ذلك وقائله أو تخيير الإمام في قتله أو صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم
أن مشهور مذهب مالك وأصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا إن أظهر
التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل
وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة
عليه والشهادة على قوله أو جاء تائبا من قبل نفسه لأنه حد لا تسقطه التوبة كسائر
الحدود قال الشيخ أبو الحسن القابسي رحمه الله إذا أقر بالسب وتاب منه وأظهر التوبة قتل
بالسب لأنه هو حده وقال أبو محمد بن أبي زيد مثله وأما ما بينه وبين الله فتوبته تنفعه
وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته
عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق إذا جاء تائبا فحكى القاضي أبو الحسن ابن
القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال أقتله بإقراره لأنه كان يقدر على ستر نفسه
فلما اعترف خفنا أنه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال أقبل توبته لأني
أستدل على صحتها بمجيئه فكأننا وقفنا على باطنه بخلاف من أسرته البينة قال القاضي
أبو الفضل وهذا قول أصبغ ومسألة ساب النبي صلى الله عليه وسلم أقوى لا يتصور فيها
الخلاف على الأصل المتقدم لأنه حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته بسببه لا تسقطه

التوبة كسابر حقوق الادميين والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث
واسحاق واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف
وحكي ابن المنذر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل
القتل عن المسلم بالتوبة من سبه صلي الله عليه وسلم لانه لم ينتقل من دين الي غيره وانما فعل
شيا حده عندنا القتل لا عفو فيه لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الي ظاهر
وقال القاضي ابو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب
الله تعالي على مشهور القول باستتابته ان النبي صلي الله عليه وسلم بشر والبشر جنس يلحقهم
المعرة الا من اكرمه الله بنبوته والباري تعالي منزه عن جميع المعايب قطعا وليس
من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه صلي الله عليه وسلم كالارتداد المقبول فيه التوبة
لان الارتداد معني ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الادميين فقبلت توبته ومن
سب النبي صلي الله عليه وسلم تعلق فيه حق لادمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده
او يقذف فان توبته لا يسقط عنه حد القتل والقذف وايضا فان توبة المرتد اذا
قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبي صلي الله عليه وسلم
لكفره لكن لمعني يرجع الي تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة
قال القاضي ابو الفضل يريد والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر لكن بمعني
الازرا والاستخفاف او لان بتوبته واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله
اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه وكلام شيوخنا هولا مبني على القول بقتله حدا لا
كفرا وهو يحتاج الي تفصيل واما علي رواية الوليد ابن مسلم عن مالك ومن وافقه علي
ذلك ممن ذكرناه وقال به من اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها
فان تاب نكل وان ابي قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر
واظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه
حدا وانما يقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه به واظهاره الاقلاع
والتوبة عنه فيقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي صلي الله عليه وسلم وتحقيره
ما عظم الله من حقه واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر
او تاب فان قيل فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه

بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا يقطع عليه
بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد به عليه او زعمه ان ذلك
كان منه وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات
بعض احكام الكفر علي بعض الاشخاص وان لم تثبت له خصايصه كقتل تارك
الصلاة واما من علم انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك وكذلك
ان كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا مما لا اشكال فيه ويقتل
وان تاب منه لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره
وامره بعد الي الله المطلع علي صحة اقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر
التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله واستحلاله هتك
حرمة الله وحرمة نبيه صلي الله عليه وسلم يقتل كافرا بلا خلاف فعلي هذه التفصيلات
خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها واجر اختلافهم
في الموارثة وغيرها علي ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شا الله تعالي

فصل

اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها علي الاختلاف في توبة المرتد
اذ لا فرق بينهما وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور
اهل العلم الي ان المرتد يستتاب وحكي ابن القصار انه اجماع من الصحابة علي
تصويب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمان وعلي
وابن مسعود وبه قال عطا بن ابي رباح والنخعي والثوري ومالك واصحابه
والاوزاعي والشافعي واحمد واسحاق واصحاب الراي وذهب طاوس وعبيد
بن عمير والحسن في احدي الروايتين عنه انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز ابن
ابي سلمة وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف
وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن لا ندرا القتل عنه لقوله
صلي الله عليه وسلم فاقتلوه وحكي ايضا عن عطا ان كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب
ويستتاب الاسلامي وجمهور العلما علي ان المرتد والمرتدة في ذلك سوا وروي
عن علي لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطا وقتادة وروي عن ابن عباس
لا تقتل النسا في الردة وبه قال ابو حنيفة قال مالك والعبد والحر والذكر والانثي

فيه سواء وأما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر أنه يستتاب ثلثة أيام يحبس فيها
وقد اختلف فيه عن عمر وهو أحد قولي الشافعي وقول أحمد وإسحاق واستحسنه
مالك وقال لا يأتي الاستظهار إلا بخير وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ أبو
محمد بن أبي زيد في الاستيناء ثلثا وقال مالك أيضا الذي آخذ به في المرتد قول
عمر يحبس ثلثة أيام ويعرض عليه كل يوم فإن تاب وإلا قتل وقال أبو الحسن ابن
القصار في تأخيره ثلثا روايتان عن مالك هل ذلك واجب أو مستحب واستحسن
الاستتابة والاستيناء ثلثا أصحاب الراي وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه
أنه استتاب امرأة فلم تتب فقتلها وقال الشافعي مرة فقال إن لم يتب مكانه قتل
واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى إلى الإسلام ثلث مرات فإن أبى قتل وروي عن
علي رضي الله عنه يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب أبدا وبه أخذ الثوري ما
رجيت توبته وحكى ابن القصار عن أبي حنيفة أنه يستتاب ثلث مرات في ثلثة أيام وثلث
جمع كل يوم أو كل جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد إلى الإسلام ثلث
مرات فإن أبى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد أو يشدد عليه أيام الاستتابة
ليتوب أم لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام
بما لا يضره وقال أصبغ يخوف أيام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الإسلام وفي كتاب
أبي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الأيام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار وقال أصبغ وأي
المواضع حبس فيها من السجون مع الناس أو وحده إذا استوثق منه سواء ويوقف
ماله إذا خيف أن يتلفه مع المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب أبدا كلما
رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد أربع مرات أو خمسا
قال ابن وهب عن مالك يستتاب أبدا كلما رجع وهو قول الشافعي وأحمد وقاله
ابن القاسم وقال إسحاق يقتل في الرابعة وقال أصحاب الراي إن لم يتب في الرابعة
قتل دون استتابة وإن تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه
خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم أحدا أوجب على المرتد في المرة الأولى أدبا
إذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي والكوفي

فصل هذا حكم من ثبت عليه
ذلك بما يجب ثبوته من إقرار أو عدول لم يدفع فيهم فأما من لم تتم الشهادة عليه

بما شهد عليه الواحد أو اللفيف من الناس أو ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك
إن تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الإمام
بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله
من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي أمره أذاقه من شدة النكال
من التضييق في السجن والشد في القيود إلى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه
القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل
لكن وقف عن قتله لمعنى أوجبه وتربص به لإشكال وعائق اقتضاه أمره وحالات
الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك والأوزاعي
أنها ردة فإذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية أشهب إذا
تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وأفتى أبو عبد الله بن عتاب فيمن سب
النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل أحدهما بالأدب الموجع والتنكيل
والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن كان أقصى أمره
القتل فعاق عائق أشكل في القتل لم ينبغ أن يطلق من السجن ولا يستطال سجنه
ولو كان فيه من المدة ما عسى أن يقيم ويحمل عليه من القيد ما لا يطيق وقال في مثله
ممن أشكل أمره يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه
وقال في مسألة أخرى مثلها ولا تهراق الدماء إلا بالأمر الواضح وفي الأدب بالسوط
والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فأما إن لم يشهد عليه سوى شاهدين
فأثبت من عداوتهما أو جرحتهما ما أسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فأمره أخف
لسقوط الحكم عنه وكأنه لم يشهد عليه إلا أن يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان
من أهل التبريز فأسقطهما بعداوة فهو وإن لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن
صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الإرشاد

فصل
هذا حكم المسلم فأما الذمي إذا صرح بسبه أو عرض أو استخف بقدره أو وصفه بغير الوجه
الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله إن لم يسلم لأنا لم نعطه الذمة أو العهد على هذا وهو
قول عامة العلماء إلا أبا حنيفة والثوري وأتباعهما من أهل الكوفة فإنهم قالوا لا يقتل
ما هو عليه من الشرك أعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا على قتله

وقال في مسألة أخرى مثلها ولا تهراق الدماء إلا بالأمر الواضح

بقوله تعالى وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الآية ويستدل أيضا
عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الأشرف وأشباهه ولأنا لم نعاهدهم ولم نعطهم
الذمة على هذا ولا يجوز لنا أن نفعل ذلك معهم فإذا أتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة
فقد نقضوا عهدهم وصاروا أهل حرب يقتلون لكفرهم وأيضا فإن ذمتهم لا تسقط حدود
الإسلام عنهم من القطع في سرقة أموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وإن كان ذلك حلالا
عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به ووردت لأصحابنا ظواهر
تقتضي الخلاف إذا ذكره الذمي بالوجه الذي ذكرناه ستقف عليها من كلام ابن القاسم
وابن سحنون بعد وحكى أبو المصعب الخلاف فيها عن أصحابه المدنيين واختلفوا إذا سبه
ثم أسلم فقيل يسقط إسلامه قتله لأن الإسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم إذا سبه ثم تاب
لأنا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من إظهاره فلم يزدنا ما أظهر
إلا مخالفة للأمر ونقضا للعهد فإذا رجع عن دينه الأول إلى الإسلام سقط ما قبله قال
الله تعالى قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه إذ كان ظننا
بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الآن فلم نقبل بعد رجوعه ولا استنمنا إلى باطنه
إذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الأحكام باقية عليه لم يسقطها شيء وقيل لا
يسقط إسلام الذمي الساب قتله لأنه حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته
وقصده إلحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه إلى الإسلام بالذي يسقطه كما وجب
عليه من حقوق المسلمين من قبل إسلامه من قتل وقذف وإذا كنا لا نقبل توبة المسلم فأن لا
نقبل توبة الكافر أولى قال مالك في كتاب ابن حبيب المبسوط وابن القاسم وابن الماجشون
وابن عبد الحكم وأصبغ فيمن شتم نبينا من أهل الذمة أو واحدا من الأنبياء عليهم السلام
قتل إلا أن يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون وقال سحنون
وأصبغ لا يقال له أسلم ولا لا تسلم ولكن إن أسلم فذلك له توبة وفي كتاب محمد أخبرنا
أصحاب مالك أنه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره من الأنبياء من مسلم
أو كافر قتل ولم يستتب وروي لنا عن مالك إلا أن يسلم الكافر وقد روى ابن وهب
عن ابن عمر أن راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروى
عيسى عن ابن القاسم في ذمي قال إن محمدا لم يرسل إلينا وإنما أرسل إليكم وإنما نبينا موسى

أو عيسى ونحو هذا لا شيء عليهم لأن الله تعالى أقرهم على مثله وأما إن سبه فقال ليس بنبي
إذ لم يرسل أو لم ينزل عليه قرآن وإنما هو شيء تقوله أو نحو هذا فيقتل قال ابن القاسم وإذا
قال النصراني ديننا خير من دينكم إنما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح أو سمع المؤذن
يقول أشهد أن محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الأدب الموجع والسجن
الطويل قال وأما إن شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتما يعرف فإنه يقتل إلا أن يسلم قاله
مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم ومحمل قوله عندي إن أسلم طائعا وقال
محمد بن سحنون في سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن إذا تشهد كذبت
يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم
الأنبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر ضربت عنقه إلا أن يسلم
قال محمد بن سحنون فإن قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه
قيل لأنا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا وأخذ أموالنا فإذا قتل واحدا منا قتلناه
وإن كان من دينه استحلاله فكذلك إظهاره لسب نبينا قال سحنون كما لو بذل لنا
أهل الحرب الجزية على إقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قائل كذلك ينتقض
عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الإسلام من سبه من القتل كذلك
لا تحصنه الذمة قال القاضي أبو الفضل ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن أبيه مخالف
لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتأمله ويدل على أنه خلاف ما روي
عن المدنيين في ذلك فحكى أبو المصعب الزهري قال أتيت بنصراني قال والذي اصطفى
عيسى على محمد فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته أو عاش يوما وليلة وأمرت من جر
برجله وطرح على مزبلة فأكلته الكلاب وسئل أبو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق
محمدا فقال يقتل وقال ابن القاسم سألنا مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه أنه قال مسكين
محمد يخبركم أنه في الجنة ما له لم ينفع نفسه إذ كانت الكلاب تأكل ساقيه لو قتلوه
استراح الناس منه قال مالك أرى أن تضرب عنقه قال ولقد كدت أن لا أتكلم فيها
ثم رأيت أنه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
من اليهود والنصارى فأرى للإمام أن يحرقه بالنار وإن شاء قتله ثم حرق جثته وإن شاء
أحرقه بالنار حيا إذا تهافتوا في سبه ولقد كتب إلى مالك من مصر وذكر مسألة ابن القاسم

المتقدمه قال فامرني مالك فكتبت بان يقتل وان يضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله
واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما انكره
ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق وافتى عبيد الله بن يحيى وبن لبابة
في جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية ونبوة
عيسى لله وتكذيب محمد في النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل عنها به وقال غير واحد
من المتاخرين منهم القابسي وبن الكاتب وقال ابو القاسم بن الجلاب في كتابه من سب
الله تعالى ورسوله من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي ابو محمد في الذمي
يسب روايتين في درء القتل عنه باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه
من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي اسلامه وانما تسقط عنه باسلامه حدود الله
فاما حد القذف فحق للعباد كان ذلك لنبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف
النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف
في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره
ام هل يسقط القتل باسلامه ويحد ثمانين فتامله

فصل في ميراث

من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب
النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي صلى
الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزندقة وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان
مستترا بذلك وان كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب
قال ابو الحسن القابسي ان قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه على ما اظهر من اقراره
يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث في شيء وكذلك لو اقر بالسب
واظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه وساير احكامه حكم الاسلام ولو اقر
بالسب وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا
يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول ابي الحسن
في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو
مثل قول اصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله ومثله
لابن القاسم في العتبية ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن اعلن كفره مثله

قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا ترثه ورثته من المسلمين ولا من اهل الدين الذي
ارتد اليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه وقاله اصبغ قتل على ذلك او مات عليه
وقال ابو محمد بن ابي زيد وانما يختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة
فلا تقبل منه فاما المتمادي فلا خلاف انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله
تعالى ثم مات ولم يعدل عليه بينة او لم تقبل انه يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن
القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم او اعلن دينا مما
يفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين
ولا ترثه ورثته ربيعة والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى واختلف فيه عن احمد
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وبن مسعود وبن المسيب والحسن والشعبي وعمر
بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي والليث واسحاق وابو حنيفة يرثه ورثته
من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه في الارتداد فللمسلمين
وتفصيل ابي الحسن في باقي جوابه حسن بين وهو على راي اصبغ وخلاف قول
سحنون واختلافهما على قولي مالك في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من
المسلمين قامت عليه بذلك بينة فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ
ومحمد بن مسلمة وغير واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته وحكمه
حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع
عنه في العتبية وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه وقال به
ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب
بن قاسم في العتبية الى انه ان اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث وان لم
يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك كل من اسر كفرا فانهم يتوارثون بوراثة
الاسلام وسئل ابو القاسم بن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم
فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة الميراث
لانه لا توارث بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله
واختصاره

الباب الثالث في حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبيائه

وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وازواجه وصحبه لا خلاف ان ساب الله تعالى

من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب
ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب اسحاق ابن يحيى من سب الله تعالى
من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون افتراء على الله بارتداده الى دين دان به واظهره
فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوط مطرف وعبد الملك مثله وقال
المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي
والنصراني فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله
كالردة وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب وافتى ابو محمد بن ابي زيد فيما
حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله تعالى فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل
لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور
واختلف فقهاء قرطبة في مسألة هرون ابن حبيب اخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق
الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها انه قال عند استقلاله من
مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله فافتى ابراهيم
ابن حسين ابن خالد بقتله وان مضمن قوله تجوير لله وتظلم منه والتعريض فيه
كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابراهيم بن حسين ابن عاصم وسعيد
بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه الا ان القاضي راى عليه التثقيل في الحبس والشدة
في الادب لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي فوجه من قال في ساب الله تعالى
بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله فاشبه قصد الكفر
بغير سب الله تعالى واظهار الانتقال الى دين آخر من الاديان المخالفة للاسلام
ووجه ترك الاستتابة انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه
وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل في هذا احد فحكم
له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته واذا انتقل من دين الى آخر واظهر السب بمعنى
الارتداد فهذا قد اعلم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه بخلاف الاول المتمسك به
وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب اكثر العلماء وهو مذهب مالك واصحابه
على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله **فصل** واما من اضاف الى الله تعالى
ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التأويل

والاجتهاد والخطأ المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة او نفي صفة كمال
فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك واصحابه
في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا
وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك
قتلهم والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم
كما فعل عمر رضي الله عنه بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الما
جشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك في الموطا وما رواه
عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في القدرية يستتابون فان تابوا
والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم في اهل الاهواء من الاباضية والقدرية وشبههم
ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف لتاويل كتاب الله يستتابون اظهروا ذلك
او اسروه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القاسم في كتاب
محمد في اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله له
في المبسوط في الاباضية والقدرية وساير اهل البدع قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرايهم
السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما
استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم
من الخوارج والقدرية والمرجئة وقد روي ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام
انه كافر واختلفت الروايات عن مالك فاطلق في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان
ابن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري فقال لا تزوجه قال
الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك وروي عنه ايضا اهل الاهوا كلهم كفار وقال
من وصف شيا من ذات الله تعالى واشار الى شي من جسده يد او سمع او بصر
قطع ذلك منه لانه شبه الله بنفسه وقال فيمن قال القران مخلوق كافر فاقتلوه وقال
ايضا من رواية بن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر
التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله
التستري من ايمة العراقيين جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف
اختلف قوله في اعادة الصلاة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري

وأكثر أقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة روي عنهم
فيمن قال بخلق القرآن وقاله ابن المبارك والأودي ووكيع وحفص ابن غياث
وأبو إسحاق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في آخرين وهو قول أكثر المحدثين والفقهاء
والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية وأهل الأهواء المضلة وأصحاب البدع المتأولين
وهو قول أحمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفية والشاكة في هذه الأصول وممن
روي عنه معنى القول الآخر بترك تكفيرهم علي بن أبي طالب وابن عمر والحسن البصري
وهو رأي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين
ورثة أهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري أحكام
الإسلام عليهم قال إسمعيل القاضي وإنما قال مالك في القدرية وسائر أهل البدع يستتابون
فإن تابوا وإلا قتلوا لأنه من الفساد في الأرض كما قال في المحارب إن رأى الإمام قتله
وإن لم يقتل قتله وفساد المحارب إنما هو في الأموال ومصالح الدنيا وإن كان قد يدخل
أيضا في أمر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد أهل البدع معظمه على الدين وقد
يدخل في أمر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة **فصل في تحقيق القول
في إكفار المتأولين** قد ذكرنا مذاهب السلف في إكفار أصحاب البدع والأهواء المتأولين
ممن قال قولا يؤديه مساقه إلى كفر هو إذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله إليه
على اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي
قال به الجمهور من السلف ومنهم من أباه ولم ير إخراجهم من سواد المؤمنين وهو قول
أكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال ونوارثهم من المسلمين ونحكم
لهم بأحكامهم ولهذا قال سحنون لا إعادة على من صلى خلفهم قال وهو قول جميع
أصحاب مالك المغيرة وابن كنانة وأشهب قال لأنه مسلم وذنبه لم يخرجه من الإ
سلام واضطرب آخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير أو ضده واختلاف
قول مالك في ذلك وتوقفه عن إعادة الصلاة خلفهم منه وإلى نحو من هذا ذهب
القاضي أبو بكر إمام أهل التحقيق والحق وقال إنها من المعوصات إذ القوم لم يصرحوا
باسم الكفر وإنما قالوا قولا يؤدي إليه واضطرب قوله في المسألة على نحو اضطراب
قول إمامه مالك بن أنس حتى قال في بعض كلامه إنهم على رأي من كفرهم بالتأويل

لا تحل مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا صلوة على ميتهم ويختلف في موارثتهم
على الاختلاف في ميراث المرتد وقال أيضا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين
ولا نورثهم من المسلمين وأكثر ميله إلى ترك التكفير بالمآل وكذلك
اضطرب فيه قول شيخه أبي الحسن الأشعري وأكثر قوله ترك التكفير وإن
الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري تعالى وقال مرة من اعتقد
أن الله جسم أو المسيح أو بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل
هذا ذهب أبو المعالي رحمه الله في أجوبته لأبي محمد عبد الحق وكان سأله عن المسألة
فاعتذر له بأن الغلط فيها يصعب لأن إدخال كافر في الملة وإخراج مسلم عنها
عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير في أهل
التأويل فإن استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطأ في ترك ألف كافر
أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال صلى الله عليه وسلم فإذا
قالوها يعني الشهادة فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله
فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها إلا بقاطع ولا
قاطع من شرع ولا قياس عليه وألفاظ الأحاديث الواردة في الباب معرضة
للتأويل فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الإسلام وتسميته
الرافضة بالشرك وإطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم من أهل الأهواء
فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الآخر عنها بأنه قد ورد مثل هذه الألفاظ
في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون كفر وإشراك دون إشراك وقد
ورد مثله في الزناء وعقوق الوالدين والزوج والزور وغير معصية وإذا كان محتملا للأمرين
فلا يقطع على أحدهما إلا بدليل قاطع وقوله في الخوارج هم شر البرية وهذه صفة
الكفار وقال شر قتيل تحت أديم السماء طوبى لمن قتلهم أو قتلوه وقال فإذا
وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج
به من يكفرهم فيقول له الآخر إنما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم
عليهم بدليله من الحديث نفسه تقتلون أهل الإسلام فقتلهم ها هنا حد لا كفر
وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره

[illegible]
[illegible]
والخطأ في ترك
ألف كافر أهون
من الخطأ في سفك
محجمة من دم مسلم

ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني أضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي فإن
احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم فأخبر أن الإيمان
لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا
يعودون إليه حتى يعود السهم إلى فوقه وبقوله سبق الفرث والدم يدل
على أنه لم يتعلق من الإسلام بشيء أجابه الآخرون أن معنى لا يجاوز حناجرهم
لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم
بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكك في حاله وإن احتجوا بقول أبي سعيد
الخدري في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الأمة
ولم يقل يخرج من هذه الأمة وتحرير أبي سعيد الرواية وإتقانه اللفظ أجابهم
الآخرون بأن العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الأمة بخلاف لفظة من التي هي
للتبعيض وكونهم من الأمة مع أنه قد روي عن أبي ذر وعلي وأبي أمامة وغيرهم وهذا الحديث
يخرج من أمتي وسيكون من أمتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على إخراجهم من الأمة
بفي ولا إدخالهم فيها بمن لكن أبا سعيد رضي الله عنه أجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه
وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الألفاظ وتحريرهم
لها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة لأهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها
مقالات كثيرة مضطربة سخيفة أقربها قول جهم ومحمد بن شبيب أن الكفر بالله الجهل به
لا يكفر أحد بغير ذلك وقال أبو الهذيل إن كل متأول كان تأويله تشبيها لله بخلقه
وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من أثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو
كافر وقال بعض المتكلمين إن كان ممن عرف الأصل وبنى عليه وكان فيما هو من أوصاف
الله فهو كافر وإن لم يكن من هذا الباب ففاسق إلا أن يكون ممن لم يعرف الأصل فهو
مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري إلى تصويب أقوال المجتهدين
في أصول الدين فيما كان عرضة للتأويل وفارق في ذلك فرق الأمة إذ أجمعوا
سواه على أن الحق في أصول الدين في واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وإنما الخلاف
في تكفيره وقد حكى القاضي أبو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الأصبهاني
قال وحكى قوم عنهما أنهما قالا ذلك في كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق

من أهل ملتنا وغيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في أن كثيرا من العامة
والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم إذ لم تكن
لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب
التفرقة وقائل هذا كله كافر بالإجماع على كفر من لم يكفر أحدا من النصارى واليهود
وكل من فارق دين الإسلام أو وقف في تكفيرهم أو شك قال القاضي أبو بكر لأن التوقيف
والإجماع على كفرهم فمن وقف في ذلك كذب النص والتوقيف أو شك فيه والشك
والتكذيب فيه لا يقع إلا من كافر

فصل في بيان ما هو من المقالات كفر

وما يتوقف أو يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم أن تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه
مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا أن كل مقالة صرحت بنفي
الربوبية أو الوحدانية أو عبادة أحد غير الله أو مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية
وسائر فرق أصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية وأشباههم من النصارى والمجوس
الصابيين
والذين أشركوا بعبادة الأوثان أو الملائكة أو الشياطين أو الشمس أو النجوم أو النار
أو أحد غير الله من مشركي العرب وأهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع
إلى كتاب وكذلك القرامطة وأصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة
من الروافض وكذلك من اعترف بإلهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد أنه
غير حي أو غير قديم وأنه محدث أو مصور أو ادعى له ولدا أو صاحبة أو والدا
أو أنه متولد من شيء أو كائن عنه أو أن معه في الأزل شيئا قديما غيره أو أن ثم
صانعا للعالم سواه أو مدبرا غيره فذلك كله كفر بإجماع المسلمين كقول
الإلهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج
إليه ومكالمته أو حلوله في أحد الأشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية
والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم أو بقائه
أو شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية أو قال بتناسخ الأرواح
وانتقالها أبد الآباد في الأشخاص وتعذيبها أو تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها
وتنعيمها
وكذلك من اعترف بالإلهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من أصلها
عموما أو نبوة نبينا خصوصا أو أحد من الأنبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه

بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والأروسية من النصارى
والغرابية من الروافض الزاعمين أن عليا كان المبعوث إليه جبريل وكالمعطلة
والقرامطة والإسماعيلية والعنبرية من الرافضة وإن كان بعض هؤلاء قد أشركوا
في كفر آخر مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا
صلى الله عليه وسلم ولكن جوز على الأنبياء الكذب فيما أتوا ادعى في ذلك المصلحة بزعمه
به ح
أو لم يدعها فهو كافر بإجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة
المتصوفة وأصحاب الإباحة فإن هؤلاء زعموا أن ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل
من الأخبار عما كان ويكون من أمور الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها
شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم إذ لم
يمكنهم التصريح لقصور أفهامهم فمضمن مقالاتهم إبطال الشرائع وتعطيل الأوامر
والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما أتوا به وكذلك من أضاف إلى نبينا صلى الله
عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه وأخبر به أو شك في صدقه أو سبه أو قال إنه لم يبلغ
أو استخف به أو بأحد من الأنبياء أو أزرى عليهم أو آذاهم أو قتل نبيا أو حاربه فهو
كافر بإجماع وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في أن في كل جنس من الحيوان
الحيوانات والدود ح
نذيرا أو نبيا من القردة والخنازير والدواب ويحتج بقوله تعالى وإن من أمة
إلا خلا فيها نذير إذ ذلك يؤدي إلى أن توصف أنبياء هذه الأجناس بصفاتهم
المذمومة وفيه من الإزراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع إجماع المسلمين على خلافه
وتكذيب قائله وكذلك نكفر من اعترف من الأصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا
صلى الله عليه وسلم ولكن قال كان أسود أو مات قبل أن يلتحي وليس الذي كان بمكة والحجاز
أو ليس بقرشي لأن وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك
من ادعى نبوة أحد مع نبينا صلى الله عليه وسلم أو بعده كالعيسوية من اليهود القائلين
بتخصيص رسالته إلى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكأكثر الرافضة
القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل إمام
عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيعية القائلين بنبوة بزيع وبيان
والبيانية منهم ح
وأشباه هؤلاء أو من ادعى النبوة لنفسه أو جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها

كالفلاسفة وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم أنه يوحى إليه وإن لم يدع
النبوة أو أنه يصعد إلى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء
كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر صلى الله عليه وسلم أنه خاتم النبيين
ولا نبي بعده وأخبر عن الله أنه خاتم النبيين وأنه أرسل كافة للناس وأجمعت الأمة
على حمل هذا الكلام على ظاهره وأن مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص فلا
شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا إجماعا وسمعا وكذلك وقع الإجماع على
تكفير كل من دافع نص الكتاب أو خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله
على ظاهره كتكفير الخوارج بإبطال الرجم ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين
من الملل أو وقف فيهم أو شك أو صحح مذهبهم وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده
واعتقد إبطال كل مذهب سواه فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك وكذلك
نقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به إلى تضليل الأمة وتكفير جميع الصحابة
كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم إذ لم تقدم
عليا وكفرت عليا إذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لأنهم
أبطلوا الشريعة بأسرها إذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن إذ ناقلوه كفرة على
زعمهم وإلى هذا والله أعلم أشار مالك في أحد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا
من وجه آخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم أنه عهد إلى
علي وهو يعلم أنه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله وآله
وكذلك نكفر بكل فعل أجمع المسلمون أنه لا يصدر إلا من كافر وإن كان صاحبه
مصرحا بالإسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم أو للشمس والقمر والصليب والنار
والسعي إلى الكنائس والبيع مع أهلها بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤوس فقد
أجمع المسلمون أن هذا لا يوجد إلا من كافر وأن هذه الأفعال علامة على الكفر
وإن صرح فاعلها بالإسلام وكذلك أجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل
أو شرب الخمر والزنا مما حرم الله تعالى بعد علمه بتحريمه كأصحاب الإباحة من
القرامطة وبعض غلاة الصوفية وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وأنكر
قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم

ووقع الاجماع المتصل عليه كمن انكر وجوب الخمس الصلوات وعدد ركعاتها وسجداتها
وتقول انما اوجب الله علينا في كتابه الصلوة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات
والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القرآن نص جلي والخبر به عن الرسول صلى الله عليه وسلم
خبر واحد وكذلك اجمع المسلمون على تكفير من قال من الخوارج ان الصلوة طرفي
النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان الفرايض اسماء رجال امروا بولايتهم
والخبايث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراة منهم وقول بعض المتصوفة
ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها واباحة
كل شي لهم ورفع عهد الشرايع عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة او البيت او
المسجد الحرام او صفة الحج وقال الحج واجب في القرآن واستقبال القبلة كذلك ولكن
كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري
هل هي تلك ام غيرها ولعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير
غلطوا ووهموا فهذا ومثاله لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط
المسلمين وامتدت صحبته لهم الا ان يكون حديث عهد بالاسلام فيقال له سبيلك
ان تسال عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة
الى معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة
هي مكة والبيت الذي هو فيها هي الكعبة والقبلة التي صلى بها الرسول صلى الله عليه وسلم
والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات عبادة الحج والمراد به
وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلوات المذكورة
هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله تعالى بذلك وابان حدودها
فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك او المنكر بعد
البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق لا يعذر بقوله لا ادري ولا يصدق فيه
بل ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز على جميع
الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه قول الرسول صلى الله عليه وسلم
وفعله وتفسير مراد الله به ادخل الاسترابة في جميع الشريعة اذ هم الناقلون لها
وللقرآن وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر القرآن

اوحرفا منه او غير شيا منه او زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية او زعم
انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام
الفوطي ومعمر الضمري انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك القول
وكذلك تكفيرهما بانكارهما ان يكون في ساير معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
حجة له او في خلق السموات والارض دليل على الله لمخالفتهم الاجماع والنقل
المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القرآن به
وكذلك من انكر شيا مما نص فيه القرآن بعد علمه انه من القرآن الذي
في ايدي الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا ولا قريب عهد بالاسلام
واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم
على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب للقرآن مكذب للنبي صلى الله
عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك من انكر الجنة والنار او البعث او
الحساب والقيامة فهو كافر باجماع للنص عليه واجماع الامة على صحة نقله
متواترا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر
والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان باطنة
كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم ان معنى القيامة
الموت او فنا محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة
وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الايمة افضل من الانبيا فاما
من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير والبلاد الذي لا ترجع الى ابطال
شريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك او مؤتة او وجود
ابي بكر وعمر او قتل عثمان او خلافة علي مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره
جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك او انكار وقوع العلم له اذ ليس في ذلك
اكثر من المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه فاما
ان ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه
الى ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر

الغوطي

واستفاض

المزيعه

عن الشارع فأكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع
الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عمومًا وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى الاية وقوله صلى الله عليه وسلم من خالف الجماعة قيد شبر
فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب
اخرون الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلماء وذهب
اخرون الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكاين عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع
لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به خارق للاجماع وقال القاضي ابو بكر
القول عندي ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه لا يكفر
احد بقول ولا راي الا ان يكون هو الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص الله ورسوله
او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل
قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون الا باحد ثلثة امور احدها الجهل
بالله والثاني ان ياتي فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك
لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنايس بالتزام الزنار مع اصحابها في اعيادهم
او يكون ذلك القول والفعل لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان الضربان وان لم يكونا
جهلا بالله فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما من نفى صفة من صفات الله
الذاتية او جحدها مستبصرًا في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه
ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ايمتنا على الاجماع على كفر من نفى عنه
تعالى الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا احمل قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر
وهو لا يكفر المتاولين كما قدمناه فاما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء
ههنا فكفره بعضهم وحكى ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال به ابو الحسن الاشعري
مرة وذهبت طايفة الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان واليه رجع الاشعري
قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادًا يقطع بصوابه ويراه دينًا وشرعًا وانما نكفر
من اعتقد ان مقاله حق واحتج هولاء بحديث السوداء وان النبي صلى الله عليه وسلم
وانما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القايل لين قدر الله علي وفي رواية فيه
لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها

لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الاخر عن هذا الحديث بوجوه منها ان قدر بمعنى
قدر ولا يكون شكه في القدرة على احيايه بل في نفس البعث الذي لا يعلم الا بشرع ولعله
لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه حينيذ كفرًا فاما ما لم يرد به
شرع فهو من مجوزات العقول او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه ازراء
عليها وغضبًا لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى
عليه من الجزع والخشية التي اذهلت لبه فلم يواخذ به وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي
صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة في كلامهم كقوله تعالى لعله
يتذكر او يخشى وقوله وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فاما من اثبت الوصف
ونفى الصفة فقال اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في ساير الصفات
على مذهب المعتزلة فمن قال بالمال لما يوديه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفره لانه
اذا نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا عنده بما ادى
اليه قولهم وهكذا عند هذا ساير فرق اهل التاويل من المشبهة والقدرية وغيرهم
ومن لم يراخذهم بمال قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم لم ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا
على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمال الذي الزمتموه لنا ونعتقد
نحن وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا لا يوول اليه على ما اصلناه فعلى هذين الماخذين
اختلف الناس في اكفار اهل التاويل واذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك
والصواب ترك اكفارهم والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران واجرا حكم الاسلام
عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر
المسلمين وساير معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر
حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الاول فيهم فقد كان نشا
على زمن الصحابة وبعدهم في التابعين من قال بهذه الاقوال من القدر
وراي الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرًا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثًا لكنهم
هجروهم وادبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر احوالهم لانهم فساق ضلال
عصاة اصحاب كباير عند المحققين واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافًا لمن راي
غير ذلك والله الموفق للصواب قال القاضي ابو بكر واما مسايل الوعد والوعيد

وقيل كان هذا في زمن الفترة حيث ينفع مجرد التوحيد
من بعض الروايه

والرؤية والمخلوق وخلق الأفعال وبقاء الأعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع
من إكفار المتأولين فيها أوضح إذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى ولا أجمع المسلمون
على إكفار من جهل شيئاً منها وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا
ما أغنى عن إعادته بحول الله **فصل** هذا حكم المسلم الساب لله تعالى وأما الذمي
فروي عن عبد الله بن عمر في ذمي تناول من حرمة الله غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه
فخرج ابن عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطه
وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله تعالى من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب قال ابن القاسم إلا أن يسلم قال في المبسوطه طوعاً
قال أصبغ لأن الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة
والشريك والولد وأما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد
قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير أهل الأديان الله تعالى بغير الوجه الذي
ذكر في كتابه قتل إلا أن يسلم وقال المخزومي في المبسوطه ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم
لا يقتل حتى يستتاب مسلماً كان أو كافراً فإن تاب وإلا قتل وقال مطرف وعبد الملك
مثل قول مالك وقال أبو محمد بن أبي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل
إلا أن يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ
الأندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به لله والنبي
وإجماعهم على ذلك وهو نحو القول الآخر فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه
الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين سب الله تعالى به وسب نبيه لأنا عاهدناهم على أن لا
يظهروا لنا شيئاً من كفرهم وأن لا يسمعونا شيئاً من ذلك فمتى فعلوا شيئاً منه فهو نقض
لعهدهم واختلف العلماء في الذمي إذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم
وأصبغ لا يقتل لأنه خرج من كفر إلى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لأنه
دين لا يقر عليه أحد ولا تؤخذ عليه جزية وقال ابن حبيب ما أعلم من قاله غيره
فصل هذا حكم من صرح بسبه تعالى وإضافة إلى ما لا يليق بجلاله وإلهيته
فأما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الإلهية أو الرسالة أو النافي أن يكون
الله خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب أو المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره أو غمرة

جنونه فلا اختلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته
على المشهور وتنفعه إنابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه
عن شديد العقاب ليكون ذلك زجراً لمثله عن قوله وله عن العود لكفره أو جهله إلا
من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما أتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب
توبته وصار كالزنديق الذي لا تأمن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك
حكم الصاحي وأما المجنون والمعتوه فما علم أنه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب
ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك في حال ميزه وإن لم يكن معه عقله وسقط
تكليفه أدب على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الأفعال ويوالى أدبه على ذلك
حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق علي بن أبي طالب
رضي الله عنه من ادعى له الإلهية وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي وصلبه وفعل
ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك بأشباههم وأجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم
والمخالف في ذلك من كفرهم كافر وأجمع علماء بغداد أيام المقتدر من المالكية وقاضي
قضاتها أبو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الإلهية والقول بالحلول وقوله
أنا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن
أبي العزاقير وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا أيام الراضي وقاضي قضاة بغداد يومئذ
أبو الحسين ابن أبي عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل وقال أبو حنيفة
وأصحابه من جحد أن الله خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القاسم
في كتاب ابن حبيب ومحمد والعتبية فيمن تنبأ يستتاب أسر ذلك أو أعلنه وهو كالمرتد
وقاله سحنون وغيره وقال أشهب في يهودي تنبأ وادعى أنه رسول إلينا إن كان معلناً
بذلك استتيب فإن تاب وإلا قتل وقال أبو محمد بن أبي زيد فيمن لعن بارئه وادعى
أن لسانه زل وإنما أراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول
الآخر من أنه لا يقبل توبته وقال أبو الحسن القابسي في سكران قال أنا الله أنا الله
إن تاب أدب وإن عاد إلى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لأن هذا كفر المتلاعبين
فصل وأما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه
وأهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه أو تمثل في بعض الأشياء

فقهاء

بعض ما عظم الله من ملكوته أو نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق إلا في حق خالقه غير
قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للإلحاد فإن تكرر هذا منه وعرف به
دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه
وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك إن كان ما أورده يوجب الاستخفاف والتنقص
لربه وقد أفتى ابن حبيب وأصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن
أخي عجب وكان خرج يوما فأخذه المطر فقال بدأ الخراز يرش جلوده وكان بعض
الفقهاء بها أبو زيد صاحب الثمانية وعبد الأعلى ابن وهب وأبان بن عيسى قد
توقفوا عن سفك دمه وأشاروا إلى أنه عبث من القول يكفي فيه الأدب وأفتى
بمثله القاضي حينئذ موسى ابن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي أيشتم ربا عبدناه
ثم لا ننتصر له إنا إذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس إلى الأمير بها
عبد الرحمن ابن الحكم الأموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه وأعلم باختلاف
الفقهاء فخرج الإذن من عنده بالأخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وأمر بقتله فقتل وصلب
بحضرة الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء
وسبهم وأما من صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن
تنقصا وإزراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة
حال قائلها وشرح سببها ومقارنها وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى
رجلا باسمه فأجابه لبيك اللهم لبيك قال إن كان جاهلا أو قاله على وجه
سفه فلا شيء عليه قال القاضي أبو الفضل وشرح قوله أنه لا قتل عليه والجاهل
يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد إنزاله منزلة ربه لكفر هذا
مقتضى قوله وقد أسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا
عظيم هذه الحرمة فأتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا وأقلامنا عن ذكره
ولولا أنا قصدنا نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما
حكيناه في هذه الفصول وأما ما ورد في هذا من أهل الجهالة وأغاليط اللسان
كقول بعض الأعراب: رب العباد ما لنا وما لكا ... قد كنت تسقينا فما بدا لكا
أنزل علينا الغيث لا أبا لكا ... في أشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف

تأديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقل ما يصدر إلا من جاهل يجب تعليمه وزجره والإ
غلاظ له عن العودة إلى مثله قال أبو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول والله تعالى منزه
عن هذه الأمور وقد روينا عن عون بن عبد الله أنه قال ليعظم أحدكم ربه أن يذكر اسمه
في كل شيء حتى يقول أخزى الله الكلب وفعل به كذا وكذا وكان بعض من أدركنا من مشايخنا قل
ما يذكر اسم الله تعالى إلا فيما يتصل بطاعته وكان يقول للإنسان جزيت خيرا وقل ما يقول
جزاك الله خيرا إعظاما لاسمه تعالى أن يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة أن الإمام
أبا بكر الشاشي كان يعيب على أهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته إجلالا
لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون بالله جل وعز وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله
في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم

فصل وحكم من سب سائر أنبياء الله تعالى وملائكته
واستخف بهم أو كذبهم فيما أتوا به أو أنكرهم وجحدهم حكم نبينا صلى الله عليه وسلم في ما
قدمناه قال الله تعالى إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله
ورسله الآية وقال تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم الآية إلى قوله
لا نفرق بين أحد منهم وقال تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد
من رسله قال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد وقاله ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد
الحكم وأصبغ وسحنون فيمن شتم الأنبياء أو واحدا منهم أو تنقصه قتل ولم يستتب ومن
سبهم من أهل الذمة قتل إلا أن يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الأنبياء من
اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر فاضرب عنقه إلا أن يسلم وقد تقدم الخلاف
في هذا الأصل وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض أجوبته من سب الله تعالى
وملائكته قتل وقال سحنون من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك فيمن
قال إن جبريل أخطأ بالوحي وإنما كان النبي علي بن أبي طالب استتيب فإن تاب وإلا قتل
ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم كان النبي صلى
الله عليه وسلم أشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال أبو حنيفة وأصحابه على أصلهم من كذب
بأحد من الأنبياء أو تنقص أحدا منهم أو برئ منه فهو مرتد وقال أبو الحسن القابسي في الذي
قال لآخر كأنه وجه مالك الغضبان لو عرف أنه قصد ذم الملك قتل قال القاضي
أبو الفضل وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين أو على معين ممن حققنا كونه

من الملائكة والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه وحققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق
عليه بالإجماع القاطع كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش
المذكورين في القرآن من الملائكة ومن سمي فيه من الأنبياء وكعزرائيل وإسرافيل ورضوان
والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهما فأما من لم تثبت الأخبار بتعيينه
ولا وقع الإجماع على كونه من الملائكة أو الأنبياء كهاروت وماروت في الملائكة والخضر ولقمان
وذي القرنين ومريم وآسية وخالد بن سنان المذكور أنه نبي أهل الرس وزرادشت
الذي تدعي المجوس والمؤرخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن
قدمناه إذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم وآذاهم ويؤدب بقدر
حال المقول فيه لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وإن لم تثبت نبوته وأما
إنكار نبوتهم أو كون الآخر من الملائكة فإن كان المتكلم في ذلك من أهل العلم فلا حرج لاختلاف
العلماء في ذلك وإن كان من العوام زجر عن الخوض في مثل هذا فإن عاد أدب إذ ليس
لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لأهل العلم فكيف للعامة

فصل واعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشيء منه أو سبهما أو جحده أو حرفا
منه أو آية أو كذب به أو بشيء منه أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر أو أثبت ما نفاه
أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك أو شك في شيء من ذلك فهو كافر عند أهل العلم بإجماع
قال الله تعالى وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد حدثنا الفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد رحمه الله حدثنا أبو علي حدثنا ابن عبد البر
حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة حدثنا أبو داود حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا يزيد
بن هرون حدثنا محمد ابن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
المراء في القرآن كفر تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
من جحد آية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك إن جحد التوراة والإنجيل
وكتب الله المنزلة أو كفر بها أو لعنها أو سبها أو استخف بها فهو كافر وقد أجمع المسلمون
أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه
الدفتان من أول الحمد لله رب العالمين إلى آخر قل أعوذ برب الناس أنه كلام الله
ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأن جميع ما فيه حق وأن من نقص منه

حرفا قاصدا لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف
الذي وقع الإجماع عليه وأجمع على أنه ليس من القرآن عامدا لكل هذا أنه كافر ولهذا رأى
مالك قتل من سب عائشة رضي الله عنها بالفرية لأنه خالف القرآن ومن خالف القرآن
قتل أي لأنه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال إن الله تعالى لم يكلم موسى تكليما
يقتل وقاله عبد الرحمن ابن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان
ليستا من كتاب الله يضرب عنقه إلا أن يتوب وكذلك من كذب بحرف منه قال وكذلك
إن شهد شاهد على من قال إن الله تعالى لم يكلم موسى تكليما وشهد آخر عليه أنه
قال إن الله تعالى ما اتخذ إبراهيم خليلا لأنهما اجتمعا على أنه كذب النبي صلى
الله عليه وسلم وقال أبو عثمان ابن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون على أن
الجحد بحرف من التنزيل كفر وكان أبو العالية إذا قرأ رجل عنده لم يقل له ليس كما
قرأت ويقول أما أنا فأقرأ كذا فبلغ ذلك إبراهيم فقال أراه سمع أنه من كفر
بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد الله بن مسعود من كفر بآية من القرآن فقد
كفر به كله وقال أصبغ ابن الفرج من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب
به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله وقد سئل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له
بالتوراة فقال الآخر لعن الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر أنه سأله
عن القضية فقال إنما لعنت توراة اليهود فقال أبو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب
القتل والشاهد الثاني علق الأمر بصفة تحتمل التأويل إذ لعله لا يرى اليهود
متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة مجردا
لضاق التأويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرئ أحد أئمة
المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته وإقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف
وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا أشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير
أبي علي ابن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وكان فيمن أفتى عليه بذلك أبو بكر الأبهري
وغيره وأفتى أبو محمد بن أبي زيد بالأدب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك
وقال أردت سوء الأدب ولم أرد القرآن قال أبو محمد وأما من لعن المصحف فإنه يقتل

فصل وسب آل بيته وأزواجه وأصحابه صلى الله عليه وسلم وتنقصهم

حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله حدثنا ابو الحسن الصيرفي
وابو الفضل العدل قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا ابو علي السنجي حدثنا ابن محبوب
حدثنا الترمذي حدثنا محمد بن يحيى حدثنا يعقوب ابن ابراهيم حدثنا عبيدة
بن ابي رايطة عن عبد الرحمن ابن زياد عن عبد الله ابن مغفل قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم
فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد
اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه
صرفا ولا عدلا وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فانه يجي قوم في اخر الزمان
يسبون اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا
فلا تعودوهم وعنه صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي فاضربوه وقد اعلم النبي صلى
الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم يوذيه واذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام وقال
لا توذوني في اصحابي ومن اذاهم فقد اذاني وقال لا توذوني في عايشة وقال في فاطمة
بضعة مني توذيني ما اذاها وقد اختلف العلما في هذا فمشهور مذهب مالك
في ذلك الاجتهاد والادب الموجع قال مالك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان او معاوية او عمرو بن العاصي فان قالوا كانوا
على ضلال وكفر قتل وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا
وقال بن حبيب من غلا من الشيعة الى بغض عثمان والبراة منه ادب ادبا شديدا
ومن زاد الى بغض ابي بكر وعمر فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه
حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر
احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى
ابو محمد بن ابي زيد عن سحنون ومن قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي انهم كانوا
على ضلالة وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي
عن مالك من سب ابا بكر جلد ومن سب عايشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف

القران وقال بن شعبان عنه لان الله سبحانه يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله
ابدا ان كنتم مومنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي
ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في القران ما نسبه اليه المشركون سبح
نفسه لنفسه لقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في اي كثيرة وذكر تعالى ما
نسبه المنافقون الى عايشة فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا
سبحانك سبح نفسه في تبريتها من السو كما سبح نفسه في تبريته من السو وهذا
يشهد لمالك في قتل من سب عايشة ومعنى هذا والله اعلم ان الله تعالى لما عظم سبها
كما عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه وقرن سب نبيه واذاه باذاه تعالى وكان
حكم موذيه تعالى القتل كان موذي نبيه كذلك كما قدمناه وشتم رجل عايشة
بالكوفة فقدم الى موسى ابن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال بن ابي ليلى انا
فجلده ثمانين وحلق راسه واسلمه الى الحجامين وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم في ذلك فقال
دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وروى
ابو ذر الهروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتي باعرابي يهجو الانصار
فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه قال مالك من انتقص احدا من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفي حق قد قسم الله الفي في ثلثة اصناف
فقال للفقرا المهاجرين الاية ثم قال والذين تبوو الدار والايمان الاية
وهولا الانصار ثم قال والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان الاية فمن تنقصهم فلا حق له في في المسلمين وفي كتاب
بن شعبان من قال في واحد منهم انه بن زانية وامه مسلمة حد عند بعض
اصحابنا حدين حدا له وحدا لامه ولا اجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل
هذا على غيره ولقوله صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي فاجلدوه قال ومن قذف
ام احدهم وهي كافرة حد حد الفرية لانه سب له فان كان احد من ولد
هذا الصحابي حيا قام بما يجب له والا فمن قام به من المسلمين كان على الامام قبول قيامه
قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هولا بنبيهم ولو سمعه الامام

واشهد عليه كان ولي القيام به قال ومن سب غير عايشة من ازواج النبي
صلي الله عليه وسلم ففيها قولان احدهما يقتل لانه سب النبي صلي الله عليه وسلم
بسب حليلته والاخر انها كساير الصحابة يجلد المفتري قال وبالاول اقول
وروي ابو مصعب عن مالك من انتسب الي بيت النبي صلي الله عليه وسلم يضرب
ضربا وجيعا ويشهر ويحبس حبسا طويلا حتي تظهر توبته لانه استخفاف
بحق الرسول صلي الله عليه وسلم وافتي ابو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل
انكر تحليف امراة بالليل وقال لو كانت بنت ابي بكر الصديق ما حلفت الا
بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه فقال ابو المطرف ذكر هذا لابنة
ابي بكر في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه الذي
صوب قوله هو احق باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم اليه في ذلك ويزجر
ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله

قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالي هنا انتهي القول بنا فيما حررناه
وانتجز الغرض الذي انتحيناه واستوفي الشرط الذي شرطناه مما ارجو ان
في كل قسم منه للمريد مقنع وفي كل باب منهج الي بغيته ومنزع وقد سفرت
فيه عن نكت تستغرب وتستبدع وكرعت في مشارب من التحقيق لم يورد لها
قبل في اكثر التصانيف مشرع واودعته غير ما فصل وددت لو وجدت قبلي
الكلام فيه او مقتدي يفيدنيه عن كتابه او فيه لاكتفي بما ارويه عما اروّيه
والي الله تعالي جزيل الضراعة في المنة بقبول ما منه لوجهه والعفو عما تخلله
من تزين وتصنع لغيره وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه
من شرف مصطفاه وامين وحيه واسهرنا به جفوننا لتتبع فضايله واعملنا فيه
خواطرنا من ابراز خصايصه ووسايله ويحمي اعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا
كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد اذا ذيد المبدل عن حوضه ويجعله لنا
ولمن تهمم باكتابه واكتتابه سببا يصلنا باسبابه وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس
ما عملت من خير محضرا نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصي زمرة نبينا
وجماعته ويحشرنا في الرعيل الاول واهل الباب الايمن من اهل شفاعته ونحمده تعالي

علي ما هدي اليه من جمعه والهم وفتح البصيرة لدرك حقايق ما اودعناه وفهم
ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد الذي لا يخيب
من امله ولا ينتصر من خذله ولا يرد دعوة القاصدين ولا يصلح عمل المفسدين وهو
حسبنا ونعم الوكيل وصلي الله علي سيدنا محمد خاتم النبيين وامام المتقين ورسول
رب العالمين وعلي اله وصحبه اجمعين تم الكتاب بحمد الله وعونه
ووافق الفراغ من كتابته في يوم الخميس المبارك تاسع ذي الحجه سنة
ثمانيه واربعين وثمان مايه علي يد العبد الفقير الي الله تعالي علي [illegible]
الاشرفي عفا الله عن خطاه وعمده وتداركه برحمة من عنده وغفر له
ولجميع المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات الاحيا منهم والاموات
برحمتك يا ارحم الراحمين

اللهم صلي علي سيدنا محمد واله وصحبه وازواجه وذريته وسلم تسليما
كثيرا دايما بدوام ملك امين الحمد لله رب العالمين حسبنا الله ونعم الوكيل
فرحم الله مصنفه ورضي عنه واثابه الجنة وهو القاضي العالم الفاضل الحجة
الحافظ ابو الفضل عياض ابن موسي ابن عياض ابن عمرون موسي اليحصبي
من اهل سبته ولد بها في نصف شعبان سنة سبع وسبعين واربع مايه واصله
من الاندلس وكان معنا في العلم ولي القضا بمدينه سبته وغرناطه ومات ليله
الجمعه تاسع جمادي الاخره سنه اربع واربعين وخمسمايه
والحمد لله رب العالمين

اموت ويبقي كل ما قد كتبته ... فياليت من يقرا كتابي دعا ليا
لعل الهي ان يمن بفضله ... ويرحم تقصيري وسوء فعاليا

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

فصل في فضايل الصحابه رضي الله عنهم وما أنزل الله تعالى في حقهم من الآيات في كتابه العزيز وكلامه القديم ٥ الحمد لله الذي حمى صفو مشروع اليقين عن كدر الارتياب
وكشف بحقايق الاطلاع على الحق المبين غمة الاحتجاب وشفا أمراض القلوب من علل
الشبهات بآيات فيها بصاير لأولي الألباب وسقى ضماير الأسرار كؤوسا من التعريف
تدار في خلوات الذكر على الاحباب شربوا علا بعد نهل فما روي الشارب ولا نفد الشراب
سكروا من الحب فلا يفيقون إلا بلقاء رب الارباب ذهبوا عن أنفسهم ذهابا ماله
سابر الابد اياب اتصلوا بذكر ربهم اتصالا انقطعت عنه علايق الارتياب
فهم في الدنيا في جنة من القرب قطوفها دانية من اللطف وارطالت أيدي الاكتساب
والخواطر الملكية تدخل على قلوبهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم تحت مطارف
التكلف يا أولي الألباب فابشروا في العقبى بالزلفا وحسن المآب هذا لهم في الدنيا
وفي الآخرة لهم عيان الملك الوهاب المنزه عن المثل والرؤيه كما يرون القمر ليلة البدر
لا يحجبه حجاب أحمده على نعم فات عنها العد والحساب وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة أعدها ذخرا ليوم الثواب وأشهد أن سيدنا محمدا
عبده ورسوله النبي الأواب وأصلي على سيد الاولين والآخرين محمد وآله وأصحابه
وخلفايه من بعده أبي بكر الصديق المقدم باجماع أهل البيت والاصحاب
وعمر الفاروق التقي المستطوذ لكم عمر بن الخطاب وعثمان ذي النورين
القايم بخط المفصل بيمينه من الكتاب وعلي بن أبي طالب ليث بني غالب الذي حسم
موارد الشرك والكفر لما سل السيف من القراب وأسلم تسليما كثيرا

فصل في فضايل أبي بكر الصديق رضي الله عنه وما أثنى الله عز وجل به عليه في القرآن العظيم ٥ أعلم أن الله تعالى سمى نفسه بألف التفصيل
في عشرة مواضع وسمى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه بألف
التفصيل في عشرة مواضع فأما ما سمى الله تعالى به أبا بكر الصديق رضي الله عنه
قوله تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم والثاني قوله تعالى وسيجنبها الأتقى
والثالث قوله تعالى أولئك أعظم درجة والرابع قول جبريل عليه الصلاة والسلام
لأبي بكر رضي الله عنه هو أعرف في السماء منه في الأرض والخامس والسادس